

توجيهات ومواقف علمية

إعداد

الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

ح

عبد العزيز عبد الله الحميدي ، ١٤٣٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميدي ، عبد العزيز عبد الله

توجيهات ومواقف علمية. عبد العزيز عبد الله الحميدي - ط ٢.

- مكة المكرمة ، ١٤٣٢ هـ

٢٠٧ ص ؛ .. سم

ردمك ٩-٨٠٦٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ - الاسلام والعلم أ. العنوان

١٤٣٢ / ٧٧٢٤

ديوي ٢٩١.٧

رقم الإيداع : ١٤٣٢ / ٧٧٢٤

ردمك : ٩-٨٠٦٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

توجيهات ومواقف علمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ
بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن
يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبد الله
ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى
يوم الدين .

وبعد : فهذه توجيهات ومواقف علمية ، وقد كان هذا الكتاب
عبارة عن مجموعة من مواقف السلف العلمية ، تمّ رصدها وترتيبها
والتعليق عليها، وقد رأيت أن أصدرها بنبذة يسيرة من التوجيهات
النبوية في فضل العلم والعلماء.

فضل العلم والعلماء

مما جاء في ذلك عن رسول الله ﷺ قوله « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » أخرجه أبو داود والترمذي والدارمي من رواية أبي الدرداء رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني ^(١) .

فهذا حديث عظيم في بيان فضل العلم الديني وفضل العلماء وطلاب العلم ، وهذا الفضل يبدأ من أول مرحلة في طلب العلم ، حيث يقول رسول الله ﷺ « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله

(١) سنن أبي داود ، رقم ٣٦٤١ (٥٧/٤) ، سنن الترمذي ، رقم ٢٦٨٢ (٤٨/٥) ،

سنن الدارمي ، رقم ٣٤٢ (١١٠/١) ، صحيح الجامع الصغير رقم ٦١٧٣ .

به طريقا من طرق الجنة » وذلك لأن طالب العلم قد بدأ بسلوك الطريق الذي يحمل به المسؤولية ، فالعلماء مسؤولون عن حمل العلم الديني وتبليغه للناس إفتاء وتعلما وتذكيرا وتطبيقا ، وذلك فيما يشمل الأفراد والجماعات والدول ، فلهذا استحق العالم هذا الفضل منذ بدئه في طلب العلم إذا صدق النية وعمل فيما علم ، فهو فضل عظيم وشرف له كبير متعلما وعالما ومعلما .

ولقد بين رسول الله ﷺ في هذا الحديث حفاوة الملائكة عليهم السلام بطالب العلم ، حيث تضع أجنحتها تعبيرا عن رضاها بهذا السلوك الحميد .

ولقد بلغ من رفعة قدر علماء الإسلام أنهم يستغفر لهم ساكنو السموات والأرض ، ويكفيهم شرفا وعملا صالحا أن يستغفر لهم الملائكة عليهم السلام ، وقد خص النبي ﷺ الحيتان في جوف الماء من بين أهل الأرض ، ولعل ذلك لخفاء إدراك دخول ذلك في العموم لعمق البحار وانفصال ما فيها عن اليابسة ، أو لعل ذلك لكثرة ساكنيها من الحيتان ، حيث تكوّن البحار نسبة أكبر من اليابسة .

وإذا كان المسلم العابد قد بلغ منزلة عالية في الرفعة والفضل ،
لكونه قد كبح جماح نفسه وزمَّها عن شهواتها وشغل كثيرا من وقته
بالعبادة فإن العالم الذي استنار قلبه بعلمه فاستقام به في حياته، وأفاد
به إخوانه المسلمين يزيد فضله على فضل العابد بقدر زيادة نور القمر
ليلة البدر على نور سائر الكواكب .

وهذا تشبيه بشيء معروف عند الناس مألوف لديهم ، وهو بيان
واضح لتفضيل العالم على العابد، وفي كل منهما خير ، والمقصود
بالعالم الذي يؤدي الواجبات والمستحبات المندوب إليها، مع أداء قدر
من النوافل المطلقة كصلاة الليل ، ويجتنب المحرمات والمكروهات ،
ثم يشغل ما بقي من وقته بالتعليم والإفتاء ، بينما يشغل العابد جل
وقته بعد الواجبات بفعل النوافل المطلقة كالصلاة والصيام والذكر .

وفي هذا الحديث بيان فضل للعلماء لا يدانيه فضل ، وهو أنهم
ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فما أعظمه من ميراث ! وما
أعظم الوارثين ! إن وراثته الدنيا بأسرها لاتساوي مسألة علمية يرثها
العالم ثم يورثها من بعده ، وإنه لا يقدر هذا الشرف المعنوي إلا

العظماء الذين تضاءلت نظراتهم المادية ، وتسامت نظراتهم المعنوية .
ويسمو العالم الديني في نظر النبي ﷺ حتى يشبّهه بنفسه الشريفة
حيث يقول : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، إن الله عز
وجل وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها ،
وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير » أخرجه أبو عيسى
الترمذي رحمه الله من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ،
وصححه الشيخ الألباني رحمه الله ^(١) .

وفي هذا حث كبير على تعلم العلم الديني وتعليمه على المنهج
الذي سار عليه رسول الله ﷺ ، فإن المشبه يلحق المشبه به ، فكل ماكان
من صفات النبي ﷺ في تعلم العلم وتعليمه يجب أن يتصف بها العالم .
وجاء ذكر ماسبق من دعاء الملائكة وأهل السموات والأرض
لمعلم الناس الخير، وخص النبي ﷺ بالذكر النملة في جحرها والحيتان،

(١) سنن الترمذي ، كتاب العلم، باب ١٩ / ٥ / ٥٠ رقم ٢٦٨٥ ، صحيح الجامع
الصغير (رقم ٤٠٨٩) .

وإن أبرز ما يجمع بين هاتين المجموعتين من خلق الله تعالى اختفاؤهما عن الأنظار فالنمل في جحورها تحت الأرض والحيتان تحت الماء.

هذا وإن من أسباب تفضيل العالم انتشار العلم على يديه ، كما جاء في قول رسول الله ﷺ : «نَصَّرَ اللهُ عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها ، ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فربَّ حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» رواه الحافظ أبو داود من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله ^(١) .

فهذا دعاء كريم من رسول الله ﷺ لطلاب العلم الذين يشتغلون برواية الحديث النبوي ، فيحملونه عبر الأجيال إلى من يسمعه منهم ، وليس كل رواة الحديث فقهاء ، لكنهم يحفظون الحديث ويؤدونه إلى من بعدهم ، ومن مجموعهم يخرج فقهاء في كل عصر يستنبطون الأحكام ويطبّقونها على واقع مجتمعهم .

(١) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب ١٠ (٤/١٨ رقم ٣٦٦٠) صحيح الجامع الصغير (رقم ٦٦٤٢) .

ومما جاء في فضل العلم قول رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا

يفقهه في الدين»^(١).

ففي هذا الحديث رَبط رسول الله ﷺ بين الخير والفقهِ في الدين ، وهذا يعني أن كل مسلم لابد له إذا أراد الخير لنفسه أن يكون له نسبة من الفقهِ في الدين ، والتفقهِ في الدين على نوعين: النوع الأول التفرغ لدراسة الدين حتى يصل فيه الدارس إلى درجة العلماء، وهذا لا يكون لعموم أبناء الأمة وإنما يتوافر لطائفة منهم، والثاني دراسة ما يكفي المسلم لأن يعبد الله تعالى على بصيرة وأن يعامل الناس على منهج الإسلام، ومن لم يحصل له هذا القدر الضروري من العلم الديني فإنه يكون قد فقد الخيرية ، لأنه إذا عبد الله تعالى عن جهل أو تعامل مع الناس على غير منهج الإسلام يكون قد ارتكب بعض المآثم وابتعد عن طريق الأخيار، وليس المقصود النوع الأول فقط لأن «مَنْ»

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم، باب ١٠ (١٥٩/١) ، صحيح مسلم، كتاب

العلم، كتاب الإمارة، باب ٥٣ (٣/١٥٢٤ رقم ١٩٢٣).

الشرطية من أدوات العموم ، فلا يختص الحديث بالعلماء ، وإنما يدخلون فيه دخولا أوليا ، وعلى قدر التفقه في الدين يكون قدر الخيرية والفضل .

ومما جاء في معنى هذا الحديث ما أخرجه الشيخان رحمهما الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يارسول الله من أكرم الناس ؟ قال : أتقاهم ، فقالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فعن معادن العرب تسألوني ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا^(١) .

فهذا يبين أهمية الفقه في الإسلام ، حيث جعل النبي ﷺ ذلك شرطا لتمام الخيرية ، وفي الحديث إشارة إلى أن اسباب الكمال في الإنسان منها ما يكون متأصلا في الإنسان بحكم الوراثة والتربية ،

(١) صحيح البخاري ، رقم ٢٣٥٣ ، كتاب الأنبياء ، باب ٨ (٦ / ٣٨٧) صحيح

مسلم ، رقم ٢٣٧٨ ، كتاب الفضائل ، باب ٤٤ (ص ١٨٤٦) .

فيكون ميالا إلى فعل الخير والإحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم ،
فإذا اجتمع مع ذلك الإسلام والفقہ في الدين فإن هذه الميول الخيرية
تتحول إلى وجهها الصحيح ، فبدلا من الكرم الحاتمي الذي يراد به
الذكر الدنيوي ، كما قال حاتم الطائي :

أما ويّ إن المال غادٍ ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر
فإن الكرم يتحول إلى إرادة الأجر الأخرى ، وبدلا من أن يبذل
الكريم هذا الكرم إلى أصحاب اللسان والشهرة ليحصل منهم على
الذكر الدنيوي فإنه في الإسلام يبذله لمستحقه وإن كانوا فقراء
مغمورين ، لأنه لا يطلب ثناءهم وإنما يطلب الأجر من عند الله تعالى ،
وبدلا من الافتخار بالكرم ليحصل على أثره الذكر يكون إخفاء
الصدقة في الإسلام ليكون الأجر في الآخرة أكبر .

والشجاعة بدلا من أن تكون للذكر والفخر بين الناس فإنها في
الإسلام مع الفقہ في الدين تكون لا بتغاء رضوان الله تعالى والدار
الآخرة .

وهذه الأخلاق الكريمة بدلا من أن تكون قاصرة على البروز

عند رؤية الناس واطلاعهم تكون في الإسلام مع الفقه سارية المفعول في كل الأحوال ، لأن المسلم الذي يتحلى بها يطلب اطلاع الله جل وعلا، وهو مطلع على عبادته في كل أحوالهم ، ولذلك فإن أعمال الخير في الإسلام مع الفقه في الدين تكون مضاعفة لأنها غير محدودة بمكان معين أو زمان معين .

وفي تصوير شغف طلاب العلم يقول رسول الله ﷺ : « منهومان لا يشبعان : منهوم في علم لا يشبع ، ومنهوم في دنيا لا يشبع » .
أخرجه أبو عبد الله الحاكم رحمه الله من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه،
وصححه على شرط الشيخين وأقره الحافظ الذهبي رحمه الله ^(١) .
ولكن فرق كبير بين الطالبين ، فطالب العلم يغذي بطلب العلم عقله وتفكيره ، وطالب المال يغذي بهاله عاطفته وهواه ، وفرق كبير بين من يحدد أهدافه من خلال عقله وفكره ومن يحددها من خلال عاطفته .
ومما جاء في بيان فضل تعليم العلم قول رسول الله ﷺ « من علم

(١) المستدرک ٩٢/١ .

علما فله أجر من عمل به ، لا ينقص من أجر العامل» أخرجه الحافظ ابن ماجه من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله^(١) .

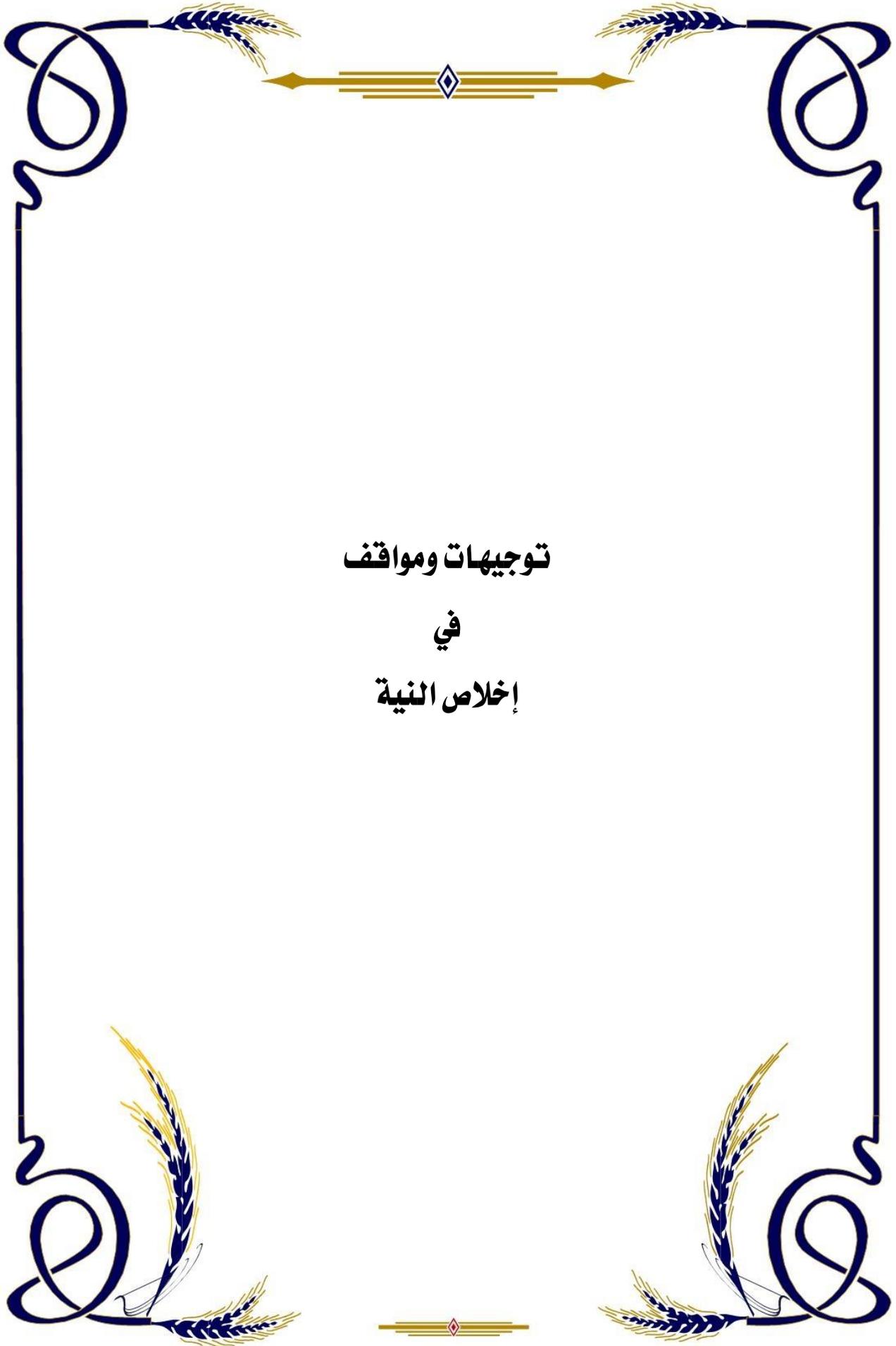
فهذا فضل كبير لمعلم العلم الديني إذا خلصت نيته ولم يرد بذلك كسبا دنيويا ، فهو يحصل أولا على أجر التعليم ، ثم يحصل على أجر العمل بما علم ، ثم يحصل على مثل أجر من عمل بذلك العلم الذي علّمه ، وكلما زاد عدد الذين تعلموا منه زاد أجره ، فكأنه بذلك قد عاش في هذه الحياة أعمارا مديدة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .
أما العالم الذي لا ينتفع الناس بعلمه فإنه يكون محروما من هذه النتائج الطيبة ويكون آثما بكتمان العلم، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ:
« إن علما لا يُنتفع به ككنز لا يُنفق منه في سبيل الله» أخرجه الحافظ ابن عساكر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الشيخ

(١) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب ٢٠ (رقم ٢٤٠) صحيح الجامع الصغير (رقم ٦٢٧٢) .

الألباني رحمه الله^(١) .

وفي هذا يشبه النبي ﷺ العلم الذي لا يُتفَع به بكنز المال المخزون الذي لا يُنْفَق منه في سبيل الله تعالى، وكلاهما صاحبه مذموم، فالأول أنعم الله جل وعلا عليه بنعمة العلم فلم يرعها وكتّم العلم، والثاني أنعم الله سبحانه عليه بنعمة المال فلم يشكر وأمسك المال ولم ينفق منه.

(١) صحيح الجامع الصغير رقم ٢١٠٨ .



توجيهات ومواقف

في

إخلاص النية

قبل أن أذكر المواقف الإسلامية في هذا الموضوع أحب أن أقدم
لذلك بذكر حديث عظيم كان له أثر بالغ في إخلاص كثير من العلماء
على مر العصور ، وقد أخرج هذا الحديث الإمام أبو عيسى الترمذي
وحسنه من حديث الوليد أبي عثمان المدائني عن عقبة بن مسلم أن
شُفياً الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة ، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه
الناس ، فقال : من هذا ؟ فقالوا أبو هريرة ، فدنوت منه حتى قعدت
بين يديه وهو يحدث الناس ، فلما سكت وخلا قلت له أنشدك بحق
وبحق لما حدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته ،
فقال أبو هريرة أفعل ، لأحدثك حديثاً حدثني رسول الله ﷺ عقلته
وعلمته ، ثم نشغ^(١) أبو هريرة نشغاً ، فمكث قليلاً ثم أفاق ، فقال :
لأحدثك حديثاً حدثني رسول الله ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد
غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغاً أخرى ، ثم أفاق فمسح وجهه

(١) نشغ نشغاً : أي شهق حتى كاد يغمى عليه ، ويحصل ذلك للإنسان إذا اشتد أسفه
على فائت .

فقال: لأحدثك حديثاً حدثنيهِ رسول الله ﷺ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغَةً أُخرى ثم أفاق ومسح وجهه فقال: أفعلُ لأحدثك حديثاً حدثنيهِ رسول الله ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره، ثم نشغَ أبو هريرة نشغَةً شديدة ، ثم مالَ خَارًا على وجهه فأسندته علي طويلاً .

قال : ثم أفاق فقال : حدثني رسولُ الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزلُ إلى العباد ليقضي بينهم وكلُّ أمةٍ جاثيةٌ ، فأولُ من يدعو به رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قُتِلَ في سبيلِ الله، ورجلٌ كثير المال ، فيقولُ الله للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال: بلى ياربُّ . قال: فماذا عملت فيما علّمت ؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار . فيقول الله له كذبت . وتقولُ له الملائكة كذبت . ويقول الله : بل أردتَ أن يُقال إن فلانًا قارئٌ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال: بلى ياربُّ . قال: فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدقُ ، فيقول الله له كذبت، وتقولُ له الملائكة

كذبت . ويقول الله تعالى : بل أردت أن يقال فلانٌ جوادٌ فقد قيل ذلك . ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله ، فيقول الله له : فيماذا قتلت ؟ فيقول : أمرتُ بالجهاد في سبيلك فقاتلتُ حتى قتلت . فيقول الله تعالى له كذبت ، وتقول له الملائكة كذبت . ويقولُ الله : بل أردت أن يُقال فلانٌ جريءٌ فقد قيل ذلك ، ثم ضرب رسولُ الله ﷺ على ركبتي فقال : يا أبا هريرة ، أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعرُ بهم النار يوم القيامة .

وقال الوليد أبو عثمان : فأخبرني عقبه بن مسلم أن شفيًا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا ، قال أبو عثمان : وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيّافًا لمعاوية فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة ، فقال معاوية : قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاءً شديدًا حتى ظننا أنه هالك . وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشر ، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

إِلَّا النَّارُ وَحِيطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَدِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾
[هود: ١٥-١٦] ^(١) .

ففي هذا الحديث تصوير بليغ لمصائر هؤلاء الثلاثة الذين وقعوا في الرياء ولم يخلصوا أعمالهم لله تعالى، وإنما كانوا هم السابقين إلى الاصطلاء بنار جهنم لأن أعمالهم تلك كانت مشتملة على الاستهانة بالله عز وجل ، فكان ظاهرها أنها أعمال صالحة ، ولكن حقيقتها أنها من كبائر الذنوب لأنها قد تحولت إلى شرك ، وفي هذا تحذير شديد من الوقوع في الرياء الذي قد يقع الإنسان فيه وهو لا يشعر .

وفي التحذير من الرياء يقول رسول الله ﷺ : « قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ^(٢) .

(١) سنن الترمذي ، رقم ٢٣٨٢ ، كتاب الزهد (٤/٥٩١ - ٥٩٣) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم ٢٩٨٥ ، كتاب الزهد (ص ٢٢٨٩) .

وفي بيان أنواع الرياء يقول الحافظ ابن رجب : واعلم أن العمل
لغير الله أقسام : فتارة يكون رياء محضا بحيث لا يراد به سوى مراعاة
المخلوقين لغرض دنيوي كحال المنافقين في صلاتهم .

قال : وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض
الصلاة والصيام ، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج وغيرهما من
الأعمال الظاهرة ، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز،
وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت
والعقوبة .

وتارة يكون العمل لله ويشاركة الرياء ، فإن شاركه من أصله
فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضا .

وقد ذكر أحاديث في ذلك ثم قال : وأما إن كان أصل العمل لله
ثم طرأت عليه نية الرياء فإن كان خاطرا ودفعه فلا يضره بغير
خلاف، وإن استرسل معه فهل يحبط به عمله أم لا يضره ذلك
ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد
حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري ، ورجحا أن عمله لا يبطل

بذلك ، وأنه يجازى بنيته الأولى ، وهو مروى عن الحسن البصري وغيره ، وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج ، فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية .

قال : فأما إذا عمل العمل خالصا ، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك ، ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره ذلك ^(١) .

وفي هذا الحديث بيان لما كان يتصف به حافظ الأمة أبو هريرة رضي الله عنه من خشية الله تعالى ، حيث أصيب بالإغماء أربع مرات وهو يشرع بالتحديث بهذا الحديث ، وإنما اعتراه الخوف وعلته الخشية لأنه من العلماء الذين ينشرون علمهم ، والحديث قد ذكر فيه القراء المراءون ، وهذا يشمل قراء القرآن الذين يراءون الناس

(١) جامع العلوم والحكم ١/٩٧ - ٨٣ .

بتلاوتهم أو بصلاتهم ، كما يشمل العلماء الذين يراؤون الناس بنشر علمهم ، فخشي أبو هريرة أن يكون صدر منه شيء يسير من الرياء ، مع ما اشتهر به من الورع والتقوى .

وكذلك يظهر في هذا الحديث اتصاف أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه بالخشية ، حيث بكى بكاء شديداً وأغمي عليه عند سماعه هذا الحديث ، وقد أجاد حينما استشهد بقول الله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هُود: ١٥-١٦] فالدنيا لا تجتمع مع أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا التكارُّ وحِطُّ ما صنعُوا فيها وبَطْلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [هود: ١٥ - ١٦] فالدنيا لا تجتمع مع الآخرة من حيث الغاية ، فمن كانت الدنيا هي غايته في العمل خسر سعادة الآخرة وباء بشقائها ، ومن كانت الآخرة هي غايته فاز بسعادتها ونجا من شقائها مع حصوله في الدنيا على ما كتب له من خيرها .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في تفسير قول الله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا .. ﴾ : وقد سئل شيخنا

المصنف رحمه الله عن هذه الآية فأجاب بما حصله: ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه .

فمن ذلك : العمل الصالح الذين يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله : من صدقة وصلاة ، وصلة واحسان إلى الناس ، وترك ظلم ، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله ، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة ، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته ، أو حفظ أهله وعياله ، أو إدامة النعمة عليهم ، ولاهمة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب . وهذا النوع ذكره ابن عباس .

النوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف ، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية : أنها نزلت فيه : وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيتته رياء الناس ، لا طلب ثواب الآخرة .

النوع الثالث : أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالا ، مثل أن ينج مال يأخذه أو يهاجر لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، أو يجاهد لأجل المغنم ، فقد ذكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية، وكما

يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم ، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيرًا.

النوع الرابع : أن يعمل بطاعة الله مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له ، ولكنه على عمل يكفره كفرًا يخرج به عن الإسلام ، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله ، أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية ، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة ، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم ، فهذا النوع أيضًا قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره ، وكان السلف يخافون منها ، قال بعضهم لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] .

ثم قال : بقي أن يقال : إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالبًا ثواب الآخرة ، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا قاصدًا بها الدنيا ، مثل أن يحج فرضه لله ، ثم يحج

بعده لأجل الدنيا كما هو واقع ، فهو لما غلب عليه منهما . وقد قال بعضهم : القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخالص وأهل النار الخالص ، ويسكت عن صاحب الشائبتين ، وهو هذا وأمثاله أ.هـ^(١) .

من مواقف أبي الدرداء رضي الله عنه^(٢) :

من مظاهر الإخلاص في طلب العلم أن يكون العلم من أجل العمل، ولقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يهتم بالتربية مع التعليم حيث كان يبحث تلامذته على العمل بما علموا، كما جاء في قوله: لن تكون عالما حتى تكون متعلما ، ولا تكون متعلما حتى تكون بما علمت عاملا، إن أخوف ما أخاف إذا وقفت للحساب أن يقال لي : ما عملت فيما علمت؟

وقال : أيضًا في هذا المعنى: ويل للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات^(٣) .

(١) فتح المجيد / ٢٧٩ .

(٢) هو عويمر بن زيد الأنصاري اشتهر بكنيته ، وتوفي في آخر خلافة عثمان .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٤٧ .

من مواقف أبي جعفر القاريء رحمه الله :

كان العلماء يهتمون بالعمل الصالح مع العلم النافع ، ولا يعدُّون العلم نافعاً إذا لم يصاحبه العمل الصالح ، وفي ذلك يقول عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم رحمه الله : قال رجل لأبي جعفر - وكان في دينه فقيها وفي دنياه أبله - : هنيئاً لك ما آتاك الله من القرآن ، قال: ذلك إذا أحللت حلاله وحرمت حرامه وعملت بما فيه ^(١) .

وأبو جعفر هو يزيد بن القعقاع المدني القاريء أحد الأئمة العشرة في القراءات .

من مواقف سفيان الثوري وفضيل بن عياض رحمهما الله :

لقد كان علماء السلف يهتمون بإخلاص النية في طلب العلم لله تعالى، ويحثون طلابهم على ذلك، ومما رُوي في ذلك أن سفيان الثوري وفضيل بن عياض رحمهما الله التقيا فتذاكرا فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة ، فقال له

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٨٨ .

فضيل: لكنني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه شؤماً، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك فتزيتت به لي وتزيتت لك ، فعبدتني وعبدتك ؟ فبكى سفيان حتى علا نحيبه ، ثم قال: أحيتني أحياءك الله^(١) .

وهكذا وجدنا هذين العالمين العابدين يلتقيان فيبكيان من ذكر الله تعالى، فيشعر سفيان الثوري بالفرح من تلك النتيجة الطيبة التي خرجا بها من ذلك المجلس ، ولكن فضيل بن عياض يذكره بأن ماتذاكرا به من العلم الذي أثار فيهما خشية الله تعالى يُخشى أن لا يكونا وصلا به إلى درجة التجرد التام من ملاحظة النفس ، خشية أن يكون خطر في بالهما تزئين كل واحد منهما للآخر بخير ما عنده من العلم ، فيؤثر ذلك على إخلاص النية لله تعالى .

وإذا كان هذان السيدان الجليلان اللذان ملأت شهرتهما الأرض بالتقوى والعلم والورع والزهد قد خافا على أنفسهما من الرياء

(١) سيرة أعلام النبلاء ٧ / ٢٦٧ .

والسمعة فكيف بمن هو دونهما في هذه المحامد بمراحل؟!
ولأهمية إخلاص النية نجد سفيان الثوري رحمه الله يقول :
مانعلم شيئاً أفضل من طلب العلم بنية^(١) .

يعني أن يطلب المسلم العلم ابتغاء وجه الله تعالى وحده ، وإنما
جعل سفيان ذلك أفضل من أداء نوافل العبادة مثلاً لأن الإخلاص
في طلب العلم عسير المنال عند كثير من طلاب العلم ، فهو يحتاج إلى
مكابدة ومجاهدة للنفس حتى تستقيم على النية الخالصة وتتجرد من
الرياء والسمعة .

ولقد بين سفيان الثوري رحمه الله منزلة العالم الصادق في
إصلاح الأمة حيث يقول : المال داء هذه الأمة والعالم طبيب هذه
الأمة، فإذا جر العالم الداء إلى نفسه فمتى يبرىء الناس؟^(٢) .

(١) سيرة أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤ .

(٢) سيرة أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣ .

نعم ، متى يبرئ الناس وهو مريض ، كما قال الشاعر :

طبيب يداوي الناس وهو عليل

إن مجموعة أدواء الأمة أكثرها يترتب على عبادة المال ، فعبيد المال لا يتورعون عن الكسب الحرام بطرقه المختلفة ، ولا يتورعون عن إنفاق المال في الوجوه المحرمة ، إلى جانب اتصافهم بالحسد والغل والكذب والنفاق وغير ذلك من الأخلاق السيئة التي يجر إليها محاولة كسب أكبر قدر ممكن من المال ، والانحراف في تصريفه .

والطبيب الذي يستطيع بإذن الله تعالى تشخيص أمراض القلوب ثم تطهيرها من تلك الأمراض هو عالم الدين الذي نور الله بصيرته ، وشغل قلبه بمحبته ومحبة رسوله ﷺ ومحبة دينه، وبالاهتمام الدائم بتشخيص أمراض الأمة والبحث في علاجها .

أما إذا كان العالم الديني قد رتع فيما رتع فيه مرضى القلوب فمن لهؤلاء المرضى ؟

أين من يشخص أمراضهم ويلتمس شفاءهم من تلك الأمراض ؟

وهكذا شخّص سفيان الثوري رحمه الله أدواء الأمة وبيّن سببها الأساسي ، وعلى يد مَنْ يكون علاجها ، ومتى يتمكن هؤلاء الأطباء من شفاء الأمة من أدوائها .

ولقد كان وراء هذا العالم الرباني وأمثاله غالبًا آباء مربون وأمّهات مربيات ، كما جاء عن وكيع بن الجراح رحمه الله قال : قالت أم سفيان لسفيان : اذهب فاطلب العلم حتى أعوّلك بمغزلي، فإذا كتبت عدة عشرة أحاديث فانظر هل تجد في نفسك زيادة فاتبعه ، وإلا فلا تتعنّ^(١) .

نعم لقد كان وراء هذا العالم الكبير أم صالحة مربية كانت تعمل بيديها في طلب الرزق لتكفي ابنها مؤنة النفقة حتى يتفرغ للعلم .
لقد علّمته الاستقامة على العمل الصالح قبل أن يتعلم العلم .
ولقد أخذ من أمه مقاصد العلم فوعاها ، وأصبح رقيب نفسه، فهو يزنها كلما تعلم مجموعة من الأحاديث .

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٩ .

هل تقوّى إيمانه ؟ هل ازداد عمله الصالح .

هل نما يقينه وذكره الله تعالى والدار الآخرة ؟

وهكذا تفاعل هذا العالم في سنوات الطلب مع العلم الذي تلقاه، واقتبس خير ما وجدته من تربية العلماء وسلوكهم حتى أصبح من كبار علماء الأمة المرين .

وكان أساس ذلك وبذرتّه الأولى تربيّة أمه له ووصيئتها الغالية التي كانت منارًا لطريقه العلمي .

ومما روي عن الثوري في الإخلاص في طلب العلم وتقدير أصحاب النية الصادقة ما أخرجه القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي من حديث محمد بن إسحاق بن عبد الله الكوفي قال: سمعت أبي يقول : جاء رجل إلى سفيان الثوري وهو في مجلسه بعد العصر وحوله أصحاب الحديث ، فقال له : يا شيخ ما يمنعك أن تنشر ما عندك وتحدث به هؤلاء ؟ فقال سفيان : لو علمتُ أن الذي يطلب هذا الله لكنت آتية في منزله حتى أحدثه ^(١) .

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي / ١٨٤ .

من مواقف سفيان بن عيينة رحمه الله :

من ذلك مارواه محمد بن قدامة الحمصي قال: كنا نواظب على ابن عيينة فقال: تتركون الصلاة والطواف وتأتوني؟ فقال بعضنا: لعلنا نسمع منك بعض ماينفعنا الله به، فقال: لوددت أني أرى من يطلبه الله فأتيه وأحدثه^(١).

فهذا اهتمام بالغ من هذا العالم بتصحيح النية في طلب العلم، وتواضع كبير منه حينما بين أنه لو وجد من يطلب العلم لله تعالى فإنه سيأتيه ويحدثه، وبسبب هذا الاهتمام البالغ من هذا العالم وأمثاله بالإخلاص لله تعالى توافر التجرد في كثير من طلاب العلم من النظر إلى حظ النفس وتصححت نيتهم في طلب العلم فتفوقوا في التحصيل العلمي ونشر العلم بعد ذلك.

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي / ١٨٤ .

من مواقف هشام الدستوائي رحمه الله :

بعض العلماء نفى عن نفسه الإخلاص تواضعا لشدة حذرهم من اختلاط النية كما رُوي عن هشام بن سَنَبَرِ الدستوائي أنه قال: والله ما أستطيع أن أقول إني ذهبت يوما قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عز وجل .

ذكره الإمام الذهبي وقال : قلت : ولا أنا ، فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا وصاروا أئمة يُقتدى بهم ، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله ، وحصلوه ثم استقاموا وحاسبوا أنفسهم، فَجَرَّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق ، كما قال مجاهد وغيره : طلبنا هذا العلم ومالنا فيه كبير نية ، ثم رزق الله النية بعد ، وبعضهم يقول : طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، فهذا أيضا حسن ثم نشره بنية صالحة^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٥٢ .

ولاشك أن اتهام هذين العالمين الجليلين أنفسهما بعدم التجرد
والإخلاص في طلب العلم إنما هو من باب التواضع منهما ، وهذا هو
اللائق بمقامهما الرفيع .

من مواقف الإمام الشافعي رحمه الله :

من الأمثلة على الإخلاص والتجرد من حظ النفس مارواه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال : سمعت أبي يقول : قال الشافعي :
أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا ، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني
حتى أذهب إليه ، كوفيا كان أو بصريا أو شاميا^(١) .

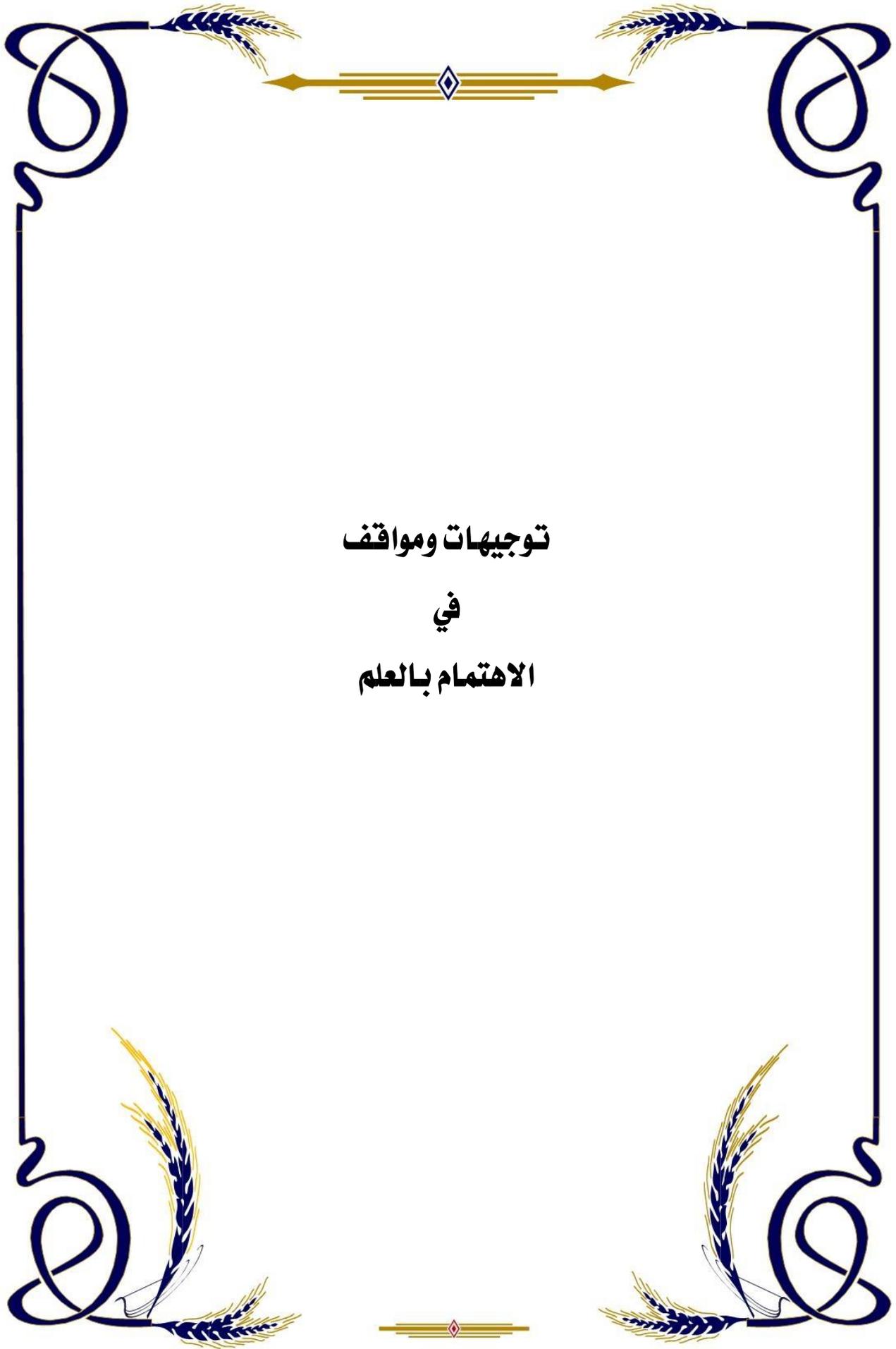
وقول الإمام محمد بن إدريس الشافعي هذا إلى جانب كونه من
التواضع حيث إنه من شيوخ الإمام أحمد فإنه دليل على قوة إيمان
الشافعي ورغبته الصادقة في معرفة الحق المتمثل في الكتاب
والسنة، وتجرده من هوى النفس، فهو على استعداد تام للرجوع عن
رأيه إذا ثبت عنده حديث يخالفه ، وهذا يعني أنه لا يتعمد مخالفة السنة
اتباعاً لقواعد علمية قَعَّدها أو فتاوى صدرت عنه .

وهكذا اطلعنا على نماذج طيبة من إخلاص العلماء في تعليم
العلم وحثهم طلاب العلم على إخلاص النية في طلبه ، وقد صاروا

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٣٣ ، طبقات الحنابلة ١/٢٨٢ .

بذلك قدوة صالحة لطلاب العلم على مر العصور ، فإن طالب العلم حينما ينشأ فيرى شيوخه لا ينافسون أهل الدنيا في دنياهم ، ولا يطلبون في مقابل علمهم مالاً ولا جاهاً فإنه يقتدي بهم في هذه الأخلاق العالية .

أما إذا نشأ طالب العلم فرأى من حوله من العلماء ينافسون الناس في طلب المال والجاه فإنه قد يعتقد مشروعية ذلك ، وأن طلب المال والجاه هدف مشترك بين علماء الدين وغيرهم وإن اختلفت الوسائل الموصلة إلى ذلك ، فربما سلك طريق التعليم الديني للوصول إلى ذلك الهدف، وهذا هو الذي حذر منه العلماء المخلصون أبلغ تحذير .



توجيهات ومواقف

في

الاهتمام بالعلم

من مواقف أبي هريرة رضي الله عنه :

كان أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه أبرز أصحاب رسول الله ﷺ في نشر السنة ، ولقد انتشر العلم عنه وكثر تلامذته في المدينة وحملوا علمه إلى الآفاق .

وإلى جانب ما كان يقوم به من تعليم العلم فإنه كان يهتم بوعظ الناس بالسنة وتذكيرهم في أيام اجتماعهم ، كما روى عاصم بن محمد عن أبيه قال : رأيت أبا هريرة يخرج يوم الجمعة ، فيقبض على رمانتي المنبر قائما ، ويقول : حدثنا أبو القاسم ﷺ الصادق المصدوق ، فلا يزال يحدث حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام جلس .

أخرجه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ثم قال : قد تحريت الابتداء من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه لحفظه لحديث المصطفى ﷺ وشهادة الصحابة والتابعين له بذلك فإن كل من طلب حفظ الحديث من أول الإسلام وإلى عصرنا هذا فإنهم من أتباعه وشيعته، هو أولهم وأحقهم باسم الحفظ .

وقد أقره الإمام الذهبي على تصحيح هذا الحديث^(١).

من مواقف تميم الداري رضي الله عنه :

من ذلك ما ذكره الإمام الذهبي من حديث الإمام الزهري عن حميد بن عبد الرحمن : أن تميماً استأذن عمر في القصص سنين ويأبى عليه ، فلما أكثر عليه قال : ماتقول ؟ قال : أقرأ عليهم القرآن وأمرهم بالخير وأنهاهم عن الشر ، قال عمر : ذاك الربح ، ثم قال : عِظْ قبل أن أخرج إلى الجمعة^(٢).

وفي هذا الخبر والذي سبق عن أبي هريرة رضي الله عنه دلالة على مشروعية الوعظ قبل صلاة الجمعة .

من مواقف أبي الدرداء رضي الله عنه :

مما يبين اهتمام السلف بالعلم كثرة عدد التلاميذ في الحلقات العلمية ، ومن الذين كان التلاميذ يزدحمون في حلقاتهم أبو الدرداء

(١) المستدرک ٣ / ٥١٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٤٧ .

عويمر بن زيد الأنصاري رضي الله عنه ، وهو أحد القراء الثلاثة الذين بعثهم أمير المؤمنين عمر لتفقيه أهل الشام ، وقد استقر بدمشق فصار سيد القراء والعلماء بها، وقد لُقِّبَ بحكيم الأمة لكثرة ما صدر عنه من الحكم والمواعظ .

وفي الشام ازدحم عليه طلاب العلم حتى بلغوا المئين كما جاء في رواية عن مسلم بن مشكم قال قال لي أبو الدرداء : أعدد من في مجلسنا قال: فجاءوا ألفاً وستمائة ونيفا ، فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة ، فإذا صلى الصبح انفتل وقرأ جزءاً فيُحدقون به يسمعون ألفاظه، وكان ابن عامر مقدماً فيهم^(١) .

من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

لقد كان ابن عباس رضي الله عنهما حريصاً على العلم دؤوباً في جمعه وتحصيله حتى استوعب علم أكابر الصحابة إلى جانب ما

(١) سيرة أعلام النبلاء ٢/٣٤٦، وابن عامر هو عبد الله بن عامر الذي كان أميراً على

البصرة في عهد عثمان رضي الله عنه.

استفاده من النبي ﷺ ، ومن شواهد ذلك ما أخرجه الإمام الدارمي بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير ، فقال : واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى ، فترك ذلك وأقبلت على المسألة ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل ^(١) ، فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب ، فيخرج فيراني فيقول يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك ! فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث ، قال : فبقي الرجل حتى رأني وقد اجتمع الناس عليّ فقال: كان هذا الفتى أعقل مني ^(٢) .

أما تلاميذ ابن عباس فقد كانوا كثيرين جداً حتى كان موكبه يشبه مواكب الخلفاء ، كما جاء عن يزيد بن الأصم قال: خرج معاوية

(١) أي نائم في القيلولة .

(٢) سنن الدارمي / المقدمة ١ / ١٤١ .

حاجًا معه ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم^(١) .

وذكر الحافظ ابن كثير من خبر شقيق بن سلمة قال : خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرأها ويفسرها، فجعلت أقول مارأيت ولاسمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت^(٢) .

فهذا مثل من سعة علم حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وتعمقه في تأويل القرآن .

وقول أبي وائل « لو سمعته فارس والروم لأسلمت » دليل على قوة تأثير ابن عباس على السامعين لقوة تأثيره هو بما يقول ، وحسن اختياره للمعاني والألفاظ .

(١) سيرة أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١ .

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٣٠٣ .

من مواقف مكحول الدمشقي رحمه الله :

من ذلك ما روي عن مكحول الدمشقي رحمه الله أنه قال :
عُتِقَتْ بمصر فلم أَدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت
العراق فلم أَدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت العراق
فلم أَدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت المدينة فلم أَدع
بها علما إلا احتويت عليه ، ثم أتيت الشام فغربلتها ، كل ذلك أسأل
عن النَّفْلِ فلم أجد أحدا يخبرني عنه حتى مررت بشيخ من بني تميم
يقال له : زياد بن جارية جالسا على كرسي ، فسألته فقال : حدثني
حبيب بن مسلمة قال : شهدت رسول الله ﷺ نفل في البُدَاءَةِ الربع ،
وفي الرجعة الثلث .

قال الإمام الخطابي رحمه الله: البداءة ابتداء السفر للغزو وإذا
نهضت سرية من جملة العسكر فإذا أوقعت بطائفة من العدو فما غنموا
كان لهم فيه الربع ويشركهم سائر العسكر في ثلاثة أرباعه، فإن هم
قفلوا من الغزاة ثم رجعوا فأوقعوا بالعدو ثانية كان لهم مما غنموا

الثالث، لأن نهوضهم بعد القفل أشق لكون العدو على حذر وحزم^(١).

ومكحول عالم أهل الشام من التابعين ، كان مولى لرجل مصري من هذيل فأعتقه ، وكان إماما في العلم ، وهذا الخبر يدل على شدة اهتمامه بالمعرفة حيث ظل سنوات يبحث عن هذا الحكم الشرعي ويسأل عنه أهل العلم حتى وجده عند أحد الشيوخ .

من مواقف أبي عبد الله عكرمة رحمه الله :

مما يدل على حرص طلاب العلم آنذاك على التحصيل ماكان يحصل بينهم من التزاحم على أبواب العلماء وفي حلقاتهم وتنافسهم في الوصول إليهم .

ومن الأمثلة على ذلك ماجاء عن أيوب السخيتاني أنه قال : قدم علينا عكرمة فاجتمع الناس عليه حتى صعد فوق ظهر بيت .

وقال أيوب : كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة إلى أفق من الآفاق فإني لفي سوق البصرة إذا رجل على حمار ، فقيل لي : عكرمة ، فاجتمع الناس إليه ، فقمت إليه ، فما قدرت على شيء أسأله ، ذهبتُ مني المسائل ،

(١) سيرة أعلام النبلاء ١٥٨/٥ .

فقمتم إلى جنب حمارة ، فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظ^(١) .
وعكرمة هو العلامة المفسر أبو عبد الله البربري المدني مولى عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما كان إماما في التفسير والحديث ، وهذا
الخبر يدل على منزلة العلماء في ذلك الوقت وحرص طلاب العلم
على الأخذ عنهم حتى وهم يسيرون في الأسواق .

من مواقف أبي الزناد رحمه الله :

من الأمثلة على كثرة طلاب العلم في عهد التابعين مارواه الليث
ابن سعد عن عبد ربه بن سعيد قال: دخل أبو الزناد^(٢) مسجد رسول
الله ﷺ ومعه من الأتباع - يعني طلبة العلم - مثل مامع السلطان فمن
سائل عن فريضة ومن سائل عن الحساب ، ومن سائل عن الشعر
ومن سائل عن الحديث ومن سائل عن معضلة^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٥ .

(٢) هو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان القرشي الفقيه الحافظ كان من أكابر علماء
المدينة .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٠٨ / ٥ .

من مواقف أبي بكر الباغندي رحمه الله :

كان العلماء لاهتمامهم بالعلم يعتنون به أكثر من عنايتهم بمصالحهم الخاصة ، فمن ذلك ما جاء في خبر أبي بكر الباغندي الحافظ أنه كان ينتخب على شيخ - يعني يسمع منه أحاديث مختارة - فكان يقول له : كم تُضجرتني ؟ أنت أكثر حديثاً مني وأحفظ ، فقال : إني قد جئت إلى الحديث ، بحسبك أني رأيت النبي ﷺ في النوم فلم أسأله الدعاء ، وإنما قلت : يا رسول الله أيما أثبت في الحديث منصور أو الأعمش ؟ فقال: منصور منصور^(١) .

يعني منصور بن المعتمر رحمه الله ، فأبو بكر الباغندي حينما رأى رسول الله ﷺ في النوم كان أول ما تبادر إلى ذهنه أن يسأله عن هذه القضية العلمية ، ونسي أن يسأله الدعاء له ، مما يدل على أن الذي كان يشغل باله هو الاهتمام بالعلم .

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٠٨ . وأبو بكر الباغندي هو محمد بن محمد بن سليمان .

من مواقف سعيد بن المسيب وقتادة رحمهما الله :

من ذلك ما رَوَى الإمام مالك عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه قال: إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد^(١) .
وسعيد بن المسيب من أكبر سادة التابعين وعالم أهل المدينة في وقته أبو محمد المخزومي القرشي، وقد حصل له ابتلاء في حياته على يد بعض ولاة المدينة ، فقد ضُربَ وأُوقف في الشمس، ومع ذلك لم يتركه طلاب العلم بل حاولوا الاستفادة منه وهو في تلك الحال كما جاء في رواية عن قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله قال : أتيت سعيد بن المسيب وقد أُلبِسَ تَبَّانَ الشعر وأُقيم في الشمس فقلت لقائدي : أذُنِي منه فأذنانِي ، فجعلت أسأله خوفا من أن يفوتني ، وهو يجيبني حَسْبَةً والناس يتعجبون^(٢) .

وهو موقف يثير العجب فعلا عند عامة الناس ، ولكنه بالنسبة لطلاب العلم أمر معتاد ، فكم خاطروا بحياتهم في الأسفار ، وكم كابدوا من المشاق في سبيل طلب العلم !

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٢٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٣٢ .

من مواقف أبي حنيفة النعمان رحمه الله :

من أخبار العلماء في الجد في طلب العلم وطول ملازمة الشيوخ
ماروي عن الإمام أبي حنيفة قال: قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل
عن شيء إلا أجبت فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب،
فجعلت على نفسي أن لا أفارق حمادًا حتى يموت ، فصحبته ثماني
عشر سنة^(١) .

يعني شيخه حماد بن أبي سليمان رحمه الله .

ومن مواقف الإمام أبي حنيفة وتلميذه أبي يوسف رحمهما الله
ماذكره الحافظ ابن كثير من خبر الإمام القاضي أبي يوسف يعقوب بن
إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة قال: توفي أبي وأنا صغير فأسلمتني
أمي إلى قصار^(٢) ، فكنت أمرُّ على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها ،
فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار ، ثم

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٨ .

(٢) القصار الصانع أو مبيض الثياب .

كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة، فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة: إن هذا صبي يتيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي، وإنك قد أفسدته علي، فقال لها: اسكتي يارعناء^(١)، هاهو ذا يتعلم العلم وسيأكل الفالودج بدهن الفستق في صحون الفيروزج، فقالت له: إنك شيخ قد خرفت، قال أبو يوسف: فلما وليت القضاء - وكان أول من ولاه القضاء الهادي، وهو أول من لُقّب قاضي القضاة، وكان يقال له: قاضي قضاة الدنيا لأنه كان يستناب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة - قال أبو يوسف: فبينما أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتني بالفالودج في صحن فيروزج، فقال لي: كل من هذا فإنه لا يُصنع لنا في كل وقت، وقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: الفالودج، قال: فتبسمت فقال: مالك تتبسم؟ فقلت: لا شيء أبقى الله أمير المؤمنين، فقال: لتخبرني، فقصصت عليه القصة، فقال: إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة، ثم قال: رحم الله أبا حنيفة فلقد

(١) أي ياحمقاء.

كان ينظر بعين عقله ، مالا ينظر بعين رأسه ^(١) .

ففي هذا الخبر مثل على اهتمام الطلاب آنذاك بالعلم ، حيث تنبه الإمام أبو يوسف إلى أهمية العلم وهو طفل ، وفراسة عالية وتقدير للعلم من الإمام أبي حنيفة حيث أخبر بما سيؤول إليه أمر أبي يوسف ، وموقف لأمر المؤمنين هارون الرشيد في إعزاز العلماء وتقديرهم .

من مواقف هاشم السلمي وشيخه أبي شيبة رحمهما الله :

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير في ترجمة أبي معاوية هاشم بن بشير بن أبي حازم السلمي ، قال : كان أبوه طباحا للحجاج بن يوسف الثقفي ، ثم كان بعد ذلك يبيع الكوامخ ^(٢) ، وكان يمنع ابنه من طلب العلم ليساعده على شغله ، فأبى إلا أن يسمع الحديث ، فاتفق أن هاشمًا مرض فجاءه أبو شيبة قاضي واسط عائدًا له ومعه خلق من الناس ، فلما رآه بشير فرح بذلك وقال : يا بني أبلغ من أمرك أن جاء

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢) جمع كامخ ، معرّب ، وهو اسم لما يؤتدم به .

القاضي إلى منزلي؟ لا أمتنعك بعد هذا اليوم من طلب الحديث^(١) .
وهكذا عرف بشير بن أبي حازم قيمة العلم ومنزلة أهله حينما
جاء قاضي واسط ومعه أهل العلم لزيارة ابنه هاشم الذي كان -
آنذاك- من طلاب العلم، وكم كانت فرحته حينما جاء القاضي
لزيارته لما سترتب على ذلك من تقدير أبيه للعلم وأهله ، وهذا
موقف يذكر لأبي شيبة قاضي واسط في تقديره لطلاب العلم ، ولقد
رفعت هذه الزيارة الحرج عن هاشم بن بشير ، حيث أصبح أبوه
لايمنعه بعد ذلك من العلم .

من مواقف عبد الملك بن جريج رحمه الله :

قال عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج : مادون هذا العلم
تدويني أحد ، جالست عمرو بن دينار بعدما فرغت من عطاء سبع
سنين ، وقال: لم يغلبني على يسار عطاء عشرين سنة أحد، فقليل له :

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٩٠ .

فما منعك من يمينه ؟ قال : كانت قريش تغلبني عليه ^(١) .
وقال أيضاً : أقمت على عطاء إحدى وعشرين حجة ، يخرج
أبواي إلى الطائف وأقيم أنا تخوفاً أن يفجعني عطاء بنفسه ^(٢) .

من مواقف مالك بن أنس رحمه الله :

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» قال : هذا
كتبته من حفطي وغاب عني أصلي : أن عبد الله العمري العابد كتب
إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل ^(٣) ، فكتب إليه مالك : إن الله
قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فربَّ رجل فُتِح له في الصلاة ولم
يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم ،
وآخر فتح له في الجهاد ، فنشُر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد
رضيت بما فُتِح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو

(١) سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٣٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٣٦ .

(٣) يعني على العزلة والتعبد .

أن يكون كلانا على خير وَبِرٍّ^(١) .

وهكذا أبان الإمام مالك فضل العلم ، وبين لذلك العابد شمول العبادة ، حيث ذكر له أن نشر العلم من أفضل الأعمال الصالحة ، وأن العالم الذي ينشر علمه ليس بأقل عملا ممن قَصَرَ عمله على أداء الشعائر التعبدية .

وهذه نظرة مهمة في بيان شمول العبادة حيث تشمل كل عمل مشروع أراد به فاعله وجه الله تعالى، وإن من أفضل الأعمال التي تدخل في ذلك نشر العلم ، بل إنه أفضل من الاقتصار على أداء الشعائر التعبدية من النوافل ، لأن هذه نفعها قاصر على فاعلها ، ونشر العلم يصل نفعه إلى من قام به ومن استفاد من ناشره .

هذا إضافة إلى الأدلة الصحيحة الصريحة التي تدل على فضل نشر العلم والدعوة به إلى الإسلام، كما جاء في قول رسول الله ﷺ

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ١٠٢ .

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١) ، وقوله «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُرِ النعم»^(٢) وقوله «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن^(٣) كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولاريح لها»^(٤) وهذا صريح في تفضيل معلم العلم الديني على من اقتصر على العبادات الخاصة .

بل أصرح من ذلك قوله ﷺ « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن .

(٢) صحيح البخاري ، رقم ٤٢١٠ (٤٧٦/٧) .

(٣) يعني يعلمه الناس .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل القرآن ، صحيح مسلم ، كتاب

صلاة المسافرين ، باب فضيلة حافظ القرآن .

الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم ، فمن
أخذه أخذ بحظّ وافر^(١) .

ولو أن الإمام مالكا وأمثاله من العلماء ساروا على منهج ذلك
العابد الذي أشار عليه بالعزلة والاشتغال بنوافل العبادة لما انتشر
العلم ولعبد الناس ربهم على جهل ، وما ذلك الاهتمام الذي تمتع به
ذلك العابد إلا بسبب ما بلغه من العلم من طريق العلماء الذين تقربوا
إلى الله تعالى بنشر العلم .

ومن المواقف في الاهتمام بالعلم ما رواه ابن مهدي قال : سألت
رجل مالكا عن مسألة فقال: لا أحسنها ، فقال الرجل : إني ضربت
إليك من كذا وكذا لأسألك عنها ، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى
مكانك وموضعك فأخبرهم أني قد قلت لك : إني لا أحسنها^(٢) .

فهذا مثل على ورع الإمام مالك وقوة إيمانه ، فقد كان لا يفتي إلا

(١) سنن أبي داود ، رقم ٣٦٤١ ، صحيح الجامع الصغير ، رقم ٦١٧٣ .

(٢) حلية الأولياء ٦ / ٣٢٣ .

متمكنا من معرفة الحكم، ولا يبالي أن يوصف بنقص العلم إذا اعتذر عن الجواب، لأنه لا يعمل من أجل الناس وإنما يعمل من أجل الله تعالى ، والعالم إذا سئل عن مسألة فأجاب يكون قد خلص نفسه من الناس ، ولكنه إذا أجاب بغير علم يكون قد ورط نفسه وأوقعها في مهلكة ، فالعالم التقي يوازن بين مشكلة الدنيا التي قد تنقص من جاهه ومكانته عند الناس ، وبين مشكلة الآخرة ، حينما يقف للحساب بين يدي الله تعالى فيسأله عن الفتوى بغير علم ، فيفضل الخلاص من مشكلة الآخرة وإن حصل له نقص في جاهه ومنزلته في الدنيا .

وهكذا فعل الإمام مالك حينما اعتذر عن الفتيا في تلك المسألة مع أن ذلك زاده شرفا ومنزلة عند العلماء ، لأنهم عدّوا ذلك دليلا على ورعه وتقواه .

وقد بين في خبر آخر عنه أنه يخشى من إجابة السائلين القادمين من الآفاق البعيدة أن يرجع عن فتواه إلى ما يراه أقرب إلى الصواب ، فلا يستطيع بعد ذلك العثور على السائلين لإخبارهم بذلك، كما

أخرج أبو نعيم بإسناده عن عمرو بن يزيد أنه قال قلت لمالك : يا أبا عبد الله يأتيك الناس من بلدان شتى قد أنصوا مطاياهم ، وأنفقوا نفقاتهم يسألونك عما جعل الله عندك من العلم تقول لا أدري ! فقال: يا عبد الله يأتيني الشامي من شامه ، والعراقي من عراقه ، والمصري من مصره، فيسألونني عن الشيء لعلي أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به فأين أجدهم؟^(١) .

وهذا أبلغ في التحري والورع حيث يكون له اجتهاد في المسألة ويخشى أن يتغير اجتهاده .

موقف لعبد الله القعبي رحمه الله :

من العلماء من بالغ في الورع فترك نشر الحديث خشية الوقوع في مآثم بسبب ذلك مثل احتمال مداخلة الرياء والسمعة أو وقوع الخلاف مع العلماء الآخرين ونحو ذلك ورأى بسبب ذلك أن يتفرغ لأداء الشعائر التعبدية .

(١) حلية الأولياء ٦/٣٢٤ .

ومن هؤلاء الإمام عبد الله بن مسلمة القعنبى ، ولكنه بعد التوقف رجع إلى التحديث بسبب رؤيا صالحة رآها ، كما رُوي عن أبي سبرة المدينى قال : قلت للقعنبى : حدّثتَ ولم تكن تحدث! قال: إني رأيت كأن القيامة قد قامت ، فصِيحَ بأهل العلم ، فقاموا وقمت معهم ، فنودي لي : اجلس ، فقلت: إلهي ألم أكن أطلب ؟ قال: بلى ولكنهم نشروا وأخفيته ، قال : فحدثت^(١) .

فهذه الرؤيا جاءت تذكيرا وإيقاظا لهذا الإمام لما أراد الله تعالى به من الخير ، وإلا فهو على علم غالبا بالأحاديث التي تحث على نشر العلم وتُبيِّن أن ذلك من أزكى الأعمال الصالحة ، لكن غلب عليه الورع ، فغلب جانب اتقاء الأثم المحتمل على التزود بالعمل الصالح المتيقن مع صلاح النية .

(١) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٦١ - ٢٦٢ .

موقف هشام بن عمار رحمه الله :

أمثلة اهتمام العلماء بطلب العلم ما روي عن هشام بن عمار قال:
دخلت على مالك^(١) فقلت له : حدثني ، فقال : اقرأ ، فقلت : لا بل
حدثني ، فقال : اقرأ ، فلما أكثر عليه، قال: يا غلام تعال اذهب بهذا
فاضربه خمسة عشر ، فذهب بي ف ضربني خمس عشرة دِرَّة^(٢) ، ثم جاء
بي إليه، فقال : قد ضربته ، فقلت له : لم ظلمتني ؟ ضربتني خمس
عشرة درةً بغير جرم ، لا أجعلك في حل ، فقال مالك : فما كفارته ؟
قلت: كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثاً، قال: فحدثني بخمسة
عشر حديثاً، فقلت له :زد من الضرب وزد في الحديث، فضحك مالك
وقال: اذهب^(٣) .

فهذا مثل بليغ في اهتمام طلاب العلم بالتحصيل العلمي في

(١) يعني الإمام مالك بن أنس .

(٢) الدرّة بكسر الدال العضا الصغيرة .

(٣) سير أعلام النبلاء ١١ / ٤٢٩ .

رواية السنة النبوية وقد كانوا يرون أن تحديث الشيخ إياهم أعلى من قراءتهم عليه ولكن علماء المدينة اعتادوا على قراءة تلاميذهم عليهم ، فقد احتمل هشام بن عمار الضرب في سبيل العلم، وكان يريد المزيد من العلم وإن ناله مزيد من الضرب في سبيل ذلك .

وفيه مثل من اهتمام الإمام مالك بتأديب الطلاب الذي قد يصل إلى حد الضرب ، ومع أنه قد فعل ذلك على سبيل التأديب فإنه لما تظلم إليه هشام بن عمار غلب عليه جانب الخوف من الله تعالى فسأل ذلك الطالب عن كفارة ما حصل منه نحوه ، وهذا دليل على قوة إيمانه وشدة استحضاره لرقابة الله عز وجل والحساب الأخروي .

من مواقف أبي يوسف يعقوب الفسوي رحمه الله :

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير في ترجمة الإمام أبي يوسف يعقوب بن أبي معاوية الفسوي قال: وقد رحل في طلب الحديث إلى البلدان النائية ، وتغرَّب عن وطنه ثلاثين سنة ، وروى ابن عساكر عنه قال: كنت أكتب في الليل على ضوء السراج في زمن الرحلة، فبينما أنا ذات ليلة إذ وقع شيء على بصري فلم أبصر معه السراج ، فجعلت أبكي على مافاتني من ذهاب بصري، وما يفوتني بسبب ذلك من كتاب الحديث ، وما أنا فيه من الغربة ، ثم غلبتني عيني فتمت فرأيت رسول الله ﷺ فقال : مالك ؟ فشكوت إليه ما أنا فيه من الغربة ومافاتني من كتابة السنة، فقال: اذنُ مني ، فدنوت منه فجعل يده على عيني، وجعل كأنه يقرأ شيئاً من القرآن، ثم استيقظت فأبصرت وجلست أسبح الله^(١) .

وهكذا كان اهتمام الإمام الفسوي سبباً فيما نزل به من الغم

(١) البداية والنهاية ١١/٦٣ - ٦٤ .

الشديد حينها فقد بصره ، فلم يفكر - آنذاك - بأمر دنياه وإنما كان
بأله مشغولاً بما سيفوته من كتابة السنة النبوية بسبب فقد البصر ، وقد
رحمه الله تعالى فشفاه بواسطة رقية رسول الله ﷺ إياه في المنام ، وأكرم
بها من واسطة !

من مواقف عبد الله بن المبارك وابن شقيق رحمهما الله :

من أمثلة اهتمام العلماء بالعلم وهيامهم بمذاكرته ما روي عن علي بن الحسن بن شقيق رحمه الله قال : قمت لأخرج مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد ، فذاكرني عند الباب بحديث أو ذاكرته فما زلنا نتذاكر حتى جاء المؤذن للصبح^(١) .

فهذان العالمان الجليلان يستغرقان في مذاكرة الحديث ليلة كاملة عند باب المسجد، ولم يعكّر عليهما ما كان من برودة الجو لأن اشتيقاهما إلى المذاكرة واستغراق أفكارهما في العلم ينسيهما لوافح البرد وسائم الحر .

من مواقف إسماعيل بن عياش رحمه الله :

من الأخبار التي تدل على اهتمام العلماء بالعلم وتذكره مارواه محمد بن عوف عن أبي اليمان قال: كان منزل إسماعيل [يعني ابن عياش] إلى جانب منزلي ، فكان يجيئ الليل ، وكان ربها قرأ ، ثم يقطع

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٣٩ .

ثم رجع فقرأ من الموضوع الذي قطع منه ، فلقيته يوماً فقلت: يا عم قد رأيت منك في القراءة كيت وكيت ، قال: يا بني وما سؤالك؟ قلت : أريد أن أعلم ، قال: يا بني إني أصلي فأقرأ، فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها فأقطع الصلاة فأكتبه ثم أرجع إلى صلاتي فأبتدئ من الموضوع الذي قطعت منه ^(١) .

وقوله « فأقطع الصلاة» يعني القراءة ثم يتم الركعتين خفيفتين ثم يعود إلى القراءة بعد كتابة الحديث في صلاة أخرى ، لأنه يبعد من ذلك العالم أن يقطع صلاته بالكلية .

وفي هذا الخبر دلالة على اهتمام العلماء البالغ بالعلم وتذكره وتدوينه ، فقد كان التفكير في العلم يدخل عليهم حتى في صلاتهم التي كانت أعلى شيء في حياتهم ، فهذا العالم الجليل يوقف قراءته ويخفف صلاته ليدون ما خطر في فكره من العلم خشية فواته ، وهذا دليل على فهمهم الصحيح لمنزلة العلم وأهميته .

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٢٨٠ .

موقف لأبي جعفر المنصور مع أحد العلماء رحمهما الله :

ذكر الإمام محمد بن جرير الطبري في ترجمة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور قال : ودخل على المنصور رجل من أهل العلم فازدراه واقتحمته عينه ، فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده ، فقال له : أنى لك هذا العلم ! قال : لم أبخل بعلم علمته ، ولم أستح من علم أتعلمه ، قال : فمن هناك ^(١) .

وهكذا رفع العلم هذا الرجل الذي احتقره أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور في أول الأمر ، فالعلم النافع رفعة ونور لصاحبه في الدنيا والآخرة ، وقد أبان هذا العالم للمنصور سبب حفظه العلم واستيعابه إياه بأمرين : الأول أنه لم يبخل بعلمه ، بل نشره وعلمه غيره ، وتعليم العلم هو من أهم وسائل حفظه وتذكُّره ، والثاني أنه لم يمنع الحياء من طلب العلم حيث كان يسأل عما خفي عليه منه ، وهذا يعطيه فرصة أكبر في التزود من العلم ومعرفة مسأله الخفية .

(١) تاريخ الطبري ٨ / ٨٨ .

من مواقف عاصم بن علي رحمه الله :

من أمثلة كثرة طلاب العلم وتزاحمهم على العلماء ماجاء عن عمر بن حفص السدوسي قال: سمعنا من عاصم بن علي ، فوجه المعتصم من يحزر مجلسه في رحبة النخل التي في جامع الرصافة، وكان يجلس على سطح ، وينتشر الناس ، حتى إني سمعته يوما يقول: حدثنا الليث بن سعد ، ويُستعاد، فأعاد أربع عشرة مرة ، والناس لا يسمعون، وكان هارون المستملي يركب نخلة معوجة يستملي عليها، فبلغ المعتصم كثرة الخلق فأمر بحزهم ، فوجّه بقطّاعي الغنم فحزروا المجلس عشرين ومائة ألف^(١) .

فهذا مثال على كثرة طلاب العلم والمستمعين للدروس العلمية ، وخاصة مايتعلق بالسنة النبوية ، حيث إن دروسها هي التي كانت تحظى بالعدد الكبير من الطلاب والمستمعين .

وإذا نحن قارنا بين تلك العصور وعصرنا الحاضر نجد أن الله تعالى

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٦٣ ، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٤٨ .

مَنْ عَلِينَا فِي هَذَا الْعَصْرِ بِالْوَسَائِلِ الَّتِي يَسْتَطِيعُ بِهَا أَهْلُ الْعِلْمِ أَنْ يُبَلِّغُوا الْعِلْمَ وَمِنْ ذَلِكَ مَكْبَرَاتُ الصَّوْتِ، بَيْنَمَا كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ سَابِقًا يَضْطَرُّونَ إِلَى عِدَدٍ مِنَ الْمُبَلِّغِينَ إِذَا كَثُرَ طُلَّابُ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ يَأْخُذُ عَلَيْهِمْ وَقْتًا طَوِيلًا. إِضَافَةً إِلَى مَا تَوَافَرَ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنَ الْآلَاتِ الْآخَرَى الَّتِي يَتِمُّ بِهَا نَشْرُ الْعِلْمِ بِسُرْعَةٍ وَحِفْظِهِ كَالْمَسْجَلَاتِ وَالْآلَاتِ الطَّبَاعَةِ وَالتَّصْوِيرِ. وَإِنْ مِنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ عَلَى أَوْلَادِ هَذَا الْجِيلِ أَنْ يَسْتَخْدِمُوا هَذِهِ الْوَسَائِلَ فِي تَكْثِيفِ الْإِنْتِاجِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي وَفَّرَتْهُ هَذِهِ الْوَسَائِلُ.

من مواقف علي بن عاصم رحمه الله :

من ذلك ما ذكره الإمام الذهبي عن الخضر بن أبان قال : سمعت علي بن عاصم يقول: خرجت من واسط أنا وهشيم إلى الكوفة للقي منصور - يعني ابن المعتز - فلما خرجت فراسخ لقيني أبو معاوية، فقلت: أين تريد؟ قال: أسعى في دين علي، فقلت: ارجع معي فإن عندي أربعة آلاف أعطيك منها ألفين، فرجعت فأعطيته ألفين، ثم خرجت فدخل هشيم الكوفة غداة، ودخلتها العشي فذهب

فسمع من منصور أربعين حديثاً، ودخلت أنا الحمام ، ثم أصبحت
فأتيت باب منصور فإذا جنازته ، فقعدت أبكي ، فقال شيخ هناك :
يافتى مايبكيك ؟ قلت : قدمت لأسمع من هذا الشيخ فمات ، قال:
فأدلك على من شهد عرس أم ذا ؟ قلت : نعم ، قال: اكتب: حدثنا
عكرمة عن ابن عباس ، فجعلت أكتب شهراً ، فقلت : من أنت ؟
قال: أنا حصين بن عبد الرحمن ماكان بيني وبين أن ألقى ابن عباس
إلا تسعة دراهم، وكان عكرمة يسمع منه ثم يجيء فيحدثني^(١) .
ففي هذا الخبر مواقف عالية :

فالموقف الأول في رجوع علي بن عاصم الواسطي ليقضي دين
أحد العلماء وهو أبو معاوية، وهذا مثل من الكرم المتأصل في النفس ،
حيث أجّل سفره من أجل هذه المهمة ، ولم يطلب منه أبو معاوية وإنما
ذكر فقط بأنه خرج من أجل طلب سداد دين عليه ، وليس غريباً هذا
الكرم على علماء الدين بل هو الغالب عليهم وخاصة فيما بينهم ومع
طلابهم لأنهم كانوا يريدون وجه الله تعالى والدار الآخرة ، ولأن مثل

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٩ .

هذا الموقف يكون بعيداً عن الخيلاء والمباهاة ، وهم كانوا أحرص شيء على توقّي أمراض القلوب .

والموقف الثاني : في بكاء علي بن عاصم حينما فاته السماع من منصور بن المعتمر ، والبكاء أثر من آثار حرقة النفس وكمدتها على فوات المحبوب ، وقد كان العلم أعزَّ محبوب من المطالب عند أهل العلم .

وقد كان علي بن عاصم يستطيع سماع ما فاته من مرويات منصور بن المعتمر من تلامذته الذين سمعوا منه ، ولكنه كان يريد علو الإسناد ، وكان ذلك مطلباً عزيزاً عند أهل الحديث رحمهم الله تعالى ، وقد عوّضه الله سبحانه بما يشفي وجده ذلك بما سمع من حصين بن عبد الرحمن الذي لم يكن بينه وبين ابن عباس رضي الله عنهما إلا عكرمة .

والموقف الثالث : فيما قام به حصين بن عبد الرحمن من مواساة علي بن عاصم حينما رأى مصيبته بفقد منصور بن المعتمر ، حيث جلس يحدثه شهراً ، فعوضه عما فاته مما قدم الكوفة من أجله، وقد

كان العلماء يقدرّون طالب العلم الذي يلمسون منه إخلاصا في طلب العلم .

وإلى جانب حرص الطلاب في ذلك الزمن على تعلم العلم نجد الآباء يشجعون أبناءهم ويوجهونهم إلى العلماء ، ويبذلون في سبيل ذلك الكثير من أموالهم كما جاء عن عاصم بن علي أنه قال: دفع إليّ أبي مائة ألف درهم ، وقال : اذهب فلا أرى لك وجهًا إلا بمائة ألف حديث^(١) .

فهذا مثل من أمثلة اهتمام الآباء بتوجيه أبنائهم نحو العلم مع ما يكلفهم ذلك من أموال ، فقد كانوا أسخياء بأموالهم في سبيل تعليم أبنائهم ، وإذا كان طلب العلم لا يحصل إلا بهذا الجهد البدني والمالي فإنه أبقى له وأجدر بالانتفاع به .

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٢/٩ ، تاريخ بغداد ٤٤٧/١١ .

موقف لعبد الله بن داود الخريبي رحمه الله :

ويشبهه موقف علي بن عاصم مارواه الكديمي عن عبد الله بن داود الخريبي أنه قال : كان سبب دخولي البصرة لأن ألقى ابن عون فلما صرت إلى قناطر سردارا تلقاني نعيه ، فدخلني ما الله به عليم ^(١) .

موقف لابن المديني رحمه الله :

من أمثلة حرص العلماء على طلب العلم ماجاء عن إبراهيم بن المنذر الحزامي قال : قدمت البصرة فجاءني علي بن المديني فقال : أول شيء أطلب أن تخرج إليّ حديث الوليد بن مسلم ، فقلت : يا ابن أمّ، سبحان الله وأين سماعي من سماعك ؟ فجعلت أباي ، ويلح ، فقلت له : أخبرني عن إلحاحك ماهو ؟ قال أخبرك : إن الوليد رجل أهل الشام ، وعنده علم كثير ، ولم استمكن منه ، وقد حدثكم بالمدينة في المواسم ، وتقع عندكم الفوائد ، لأن الحجاج يجتمعون بالمدينة من الآفاق فيكون مع هذا بعض فوائده ومع هذا شيء .

(١) سير أعلام النبلاء ٣٤٨ / ٩ ، تهذيب الكمال ٦٧٨ .

قال: فأخرجت إليه ، فتعجب من كتابه، كاد أن يكتبه على الوجه^(١) .
فهذا مثال لحرص العلماء على نواذر العلم ، كما أنه مثال
لتواضعهم في الطلب فإن عليّ بن المديني أشهر من إبراهيم بن المنذر ،
ومع ذلك يذهب إليه ابن المديني ليأخذ منه الفوائد العلمية .
وهو إضافة إلى ذلك مثال لما كانت تعمر به مكة والمدينة في أيام
المواسم من النشاط العلمي المترتب على وفود العلماء وطلاب العلم
من الآفاق ، وهذه منفعة عظيمة من المنافع التي ذكرها الله جل وعلا
بقوله ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ لَهُمْ ﴾ [الحج : ٢٨] .

من مواقف أبي حاتم وزملائه رحمهم الله :

من ذلك ما روي عن أبي حاتم^(٢) أنه قال عن عبد الله بن مسلمة
القعنبي : سأله أن يقرأ علينا الموطأ ، فقال : تعالوا بالغداة ، فقلنا :
لنا مجلس عند حجاج بن منهال ، قال : فإذا فرغتم من حجاج ، قلنا :

(١) سير أعلام النبلاء ٩ / ٢١٤ .

(٢) هو الإمام الحافظ محمد بن إدريس التميمي الرازي .

نأتي مسلم بن إبراهيم ، قال: فإذا فرغتم ، قلنا :يكون وقت الظهر ونأتي أبا حذيفة النهدي ، قال: فبعد العصر،قلنا : نأتي عارمًا أبا النعمان،قال: فبعد المغرب ، فكنا نأتيه بالليل فيخرج علينا وعليه كبل^(١) ماتحته شيء في الصيف في الحر الشديد ، فكان يقرأ علينا وعليه كساؤه ولو أراد لأعطى الكثير^(٢) .

فهذا مثل لعمران البلاد آنذاك بمجالس العلم ، فأبو حاتم وزملاؤه في طلب العلم يحضرون خمسة دروس في اليوم في الحديث ، وإذا تذكرنا أنهم يحفظون ما يسمعون عن ظهر قلب غالبا عرفنا الجهد الكبير الذي كان يبذله طلاب العلم آنذاك في حمل العلم .
ولقد كان بعض تلك الأحاديث من مسموعاتهم قديما ولكنهم يجبون أن يسمعوها من أكثر من شيخ زيادة في الثبت والتحري .

(١) أي فرو كبير .

(٣) الجرح والتعديل ٥ / ١٨١ ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٦٠ .

من مواقف سليمان بن حرب رحمه الله :

من أمثلة كثرة طلاب العلم في دروس الحديث النبوي ما أخرج ابن أبي حاتم قال: سمعت أبي يقول : لقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد ، فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل ، وكان مجلسه عند قصر المأمون ، فبني له شبه منبر فصعد سليمان وحضر حوله جماعة من القواد عليهم السواد^(١) والمأمون فوق قصره ، قد فتح باب القصر ، وقد أرسل سترٌ يشفُّ وهو خلفه يكتب ما يُملى ، فسُئل أول شيء حديث حوشب بن عقيل ، فلعله قد قال: حدثنا حوشب بن عقيل أكثر من عشر مرات وهم يقولون : لانسمع فقام مستملاً ومستمليان وثلاثة ، كل ذلك يقولون : لانسمع ، حتى قالوا: ليس الرأي إلا أن يحضر هارون المستملي ، فذهب جماعة فأحضره ، فلما حضر قال: من ذكرت ؟ فإذا صوته خلف الرعد ، فسكتوا ،

(١) أي لبس السواد وهو شعار العباسيين .

وقعد المستملون كلهم، فاستملى هارون ، وكان - يعني سليمان بن حرب - لا يُسأل عن حديث إلا حدث من حفظه ، وسئل عن حديث فتح مكة فحدثنا به من حفظه ، فقمنا من مجلسه فأتينا عفان - يعني ابن مسلم - فقال: ما حدثكم أبو أيوب ؟ وإذا هو يعظمه ^(١) .

فهذا الخبر مثل لكثرة طلاب العلم في عصور الإسلام الزاهرة ، فهذا الإمام الجليل سليمان بن حرب قد اجتمع في درسه أربعون ألف طالب ، وهؤلاء يعادلون طلاب جامعة من أكبر جامعات الدنيا في العصر الحاضر .

وفي المقارنة بين الوسائل المتاحة للعلماء وطلاب العلم في هذا العصر وما أتىح لهم في العصور السابقة نجد فرقا كبيرا ، فقد كانوا مضطرين سابقا إلى تكليف عدد من المبلغين لكثرة الحضور وعدم سماعهم صوت الشيخ ، وحينما يوجد رجل جهوري الصوت من أهل العلم فإنه يكون نعمة على الشيوخ والتلاميذ كما هو الحال في

(١) الجرح والتعديل ٤/١٠٨-١٠٩ ، سير أعلام النبلاء ١٠/٣٣١-٣٣٢ .

هارون المستملي الذي جاء ذكره في هذا الخبر .
وكان القادة يستفيدون أيضاً من أصحاب الأصوات الجهورية
في إبلاغ البلاغات العسكرية، ولهم في ذلك أسوة حسنة برسول الله
ﷺ يوم حنين ، حيث كلف عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
بنداء أفراد الجيش ، وكان جهوري الصوت .
أما أبناء هذا العصر فقد هياً الله تعالى لهم مكبرات الصوت التي
تحيل الصوت الخافت إلى صوت جهوري ، يصل إلى أبعاد طويلة ،
فاستفاد من ذلك العلماء والخطباء والقادة وغيرهم في اختصار الوقت
الذي كان سابقاً يذهب في التبليغ .
أما ماجاء في هذا الخبر من كون سليمان بن حرب لا يسأل عن
حديث إلا حدث به من حفظه فهو مثل من أمثلة كثيرة تكشف عما
كان يبذله العلماء من جهود كبيرة في حفظ السنة النبوية بأسانيدھا .
وأخيراً موقف كريم للعالم الجليل عفان بن مسلم الذي كان
معاصراً لسليمان بن حرب، ويساميه في الحفظ والعلم ، فلما سأل عنه
طلاب العلم الذين حضروا هذا المجلس وأخبروه عنه أثنى عليه

وعظمه .

من مواقف يحيى بن معين رحمه الله :

من مواقف العلماء المشهورة شدة تحريمهم ودقة تثبتهم في رواية الحديث النبوي ، ومن أمثلة ذلك مارواه أحمد بن منصور الرمادي قال: خرجت مع أحمد ويحيى إلى عبد الرزاق خادماً لهما^(١) . قال : فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى بن معين : أريد أن أختبر أبا نعيم^(٢) فقال أحمد: لا تُرِدْ فالرجل ثقة ، قال يحيى : لا بد لي ، فأخذ ورقة فكتب فيها ثلاثين حديثاً وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه ، ثم إنهم جاؤوا إلى أبي نعيم ، فخرج وجلس على دكان طين ، وأخذ أحمد بن حنبل فأجلسه عن يمينه ، ويحيى عن يساره ، وجلست أسفل الدكان، ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث ، فلما قرأ الحادي عشر قال أبو نعيم: هذا ليس من

(١) يعني أن أحمد الرمادي خرج مع الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين من العراق

إلى اليمن لسماع الحديث من محدث اليمن عبد الرزاق الصنعاني .

(٢) هو الحافظ الفضل بن دُكين ، ودكين لقب اشتهر به أبوه عمرو بن حماد .

حديثي ، اضرب عليه ، ثم قرأ العشر الثاني وأبو نعيم ساكت ، فقرأ الحديث - يعني من الأحاديث التي أدخلها في أحاديث أبي نعيم - فقال أبو نعيم : ليس هذا من حديثي فاضرب عليه ، ثم قرأ العشر الثالث ، ثم قرأ الحديث الثالث ، فتغير وجه أبي نعيم وانقلبت عيناه ، ثم أقبل على يحيى فقال : أما هذا - وذراع أحمد بيده - فأورع من أن يعمل مثل هذا ، وأما هذا - يريدني - فأقل من أن يفعل ذلك ولكن هذا من فعلك يا فاعل ، وأخرج رجله فرفس يحيى فرمى به من الدكان ، وقام فدخل داره ، فقال أحمد بن حنبل ليحيى : ألم أمْنَعَكَ وأَقْلُ لك : إنه ثبت ، قال : والله لَرَفَسْتُهُ أحب إلي من سفرتي ^(١) .

فهذا الإمام الكبير والحافظ الخبير يحيى بن معين يقوم باختبار شيخه أبي نعيم ، لا على سبيل التعنت والإحراج وإنما ليصل بذلك إلى توثيق آلاف الأحاديث التي رواها عنه ، وقد كان الإمام أحمد واثقاً من شيخه أبي نعيم ويعتقد أنه ثقة ، ولكن يحيى أصر على

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ٣٥٣ - ٣٥٤ ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٤٨ - ١٤٩ .

الاختبار ليحصل على مزيد من الثقة .

ونجح الشيخ أبو نعيم رحمه الله تعالى في ذلك الاختبار ، ولكنه غضب غضباً شديداً ، وكَبُرَ عليه أن يحصل ذلك من تلاميذه وهذا هو الذي كان يخشى منه أحمد بن حنبل .

وتلقَّى يحيى ضريبة عمله ذلك رفسة أطاحت به من قدم شيخه ولكن هذه الرفسة كانت عند يحيى أحلى من فرحة العودة من سفرته العلمية إلى اليمن .

لقد استقرت نفس يحيى واطمأن بعد ذلك الاختبار لحديث أبي نعيم الكثير فلم لا يكون ذلك أحلى عنده مما جمعه من عبد الرزاق الصنعاني في سفرته إلى اليمن ؟

إن سعادة هؤلاء العلماء النفسية ومتعتهم الروحية تتحقق فيما يقدمونه لسنة رسول الله ﷺ من خدمة في جمعها وتنقيتها ومعرفة درجات رواتها في القوة والضعف ، ومن أجل هذه السعادة استحلى يحيى تلك الرفسة من أبي نعيم فرحمهم الله تعالى رحمة واسعة .

ومن أمثلة اهتمامهم أنهم كانوا يكتبون الحديث مرات عديدة

كما رُوي عن يحيى بن معين أنه قال: لو لم نكتب الحديث خمسين مرة
ما عرفناه^(١).

ولعل ذلك بتعدد الروايات عن الشيوخ حيث يروون الحديث
الواحد مرات عديدة بأسانيد متعددة، وهذا دليل على الجد والمثابرة
في جمع العلم حيث لم يكتفوا برواية واحدة للحديث الواحد أو
روايات قليلة، وكلما تكرر متن الحديث زادوا به معرفة وإتقاناً
وضبطاً، وبهذا نالوا مرتبة الحفظ التام والإتقان الكامل.

ومما روي من توسع يحيى بن معين في العلم ما ذكره أحمد بن
عقبة قال: سألت يحيى بن معين: كم كتبت من الحديث؟ قال:
كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث.

قال الإمام الذهبي: يعني بالمكرر.

وقال صالح بن أحمد الحافظ: سمعت أبا عبد الله محمد بن
عبد الله يقول: سمعت أبي يقول: خلف يحيى بن معين مائة قِمَطْرٍ

(١) سير أعلام النبلاء ١١ / ٨٤.

وأربعة عشر قمطرًا وأربعة حَبَابٍ شرايية مملوءة كتباً^(١) .
وهذا يعني أن الحافظ يحيى بن معين قد استوعب أكثر السنة
رواية ، وقد سبق عنه أنهم كانوا يروون الحديث الواحد بأسانيد
متعددة فالمقصود هنا الأسانيد وليس المتون ، فالتون تكون مكررة
كما ذكر الذهبي .
وهذه الخزائن الكُتُبِيَّة التي خَلَّفَهَا ابن معين كلها من مروياته
لأن الكتب إذا نُسبت إلى العالم فإنها يقصدون بذلك كتب الأحاديث
التي رواها .

(١) سير أعلام النبلاء ١١ / ٨١ ، [والقمطر هو وعاء يصنع من القصب ، والحَبَاب
الجرار الضخمة] .

من مواقف الشقيقي رحمه الله :

من أمثلة تثبت العلماء - رحمهم الله تعالى - في رواية الحديث ما روي عن أبي عمار الحسين بن حريث قال: قلت للشقيقي^(١) : سمعت من أبي حمزة كتاب الصلاة ؟ قال : قد سمعت ولكن نهق حمار يوماً فاشتبه حديثاً فلا أدري أي حديث هو ، فتركت الكتاب كله^(٢) .

من مواقف أبي رجاء قتيبة رحمه الله :

من ذلك ما ذكره أحمد بن سيار المروزي عن الحافظ أبي رجاء قتيبة مولى الحجاج بن يوسف حيث قال عن كثرة مروياته : وكان كثير الحديث ، لقد قال لي : أقم عندي هذه الشّتوة حتى أخرج لك مائة ألف حديث عن خمسة أناسي ، فقلت : لعل أحدهم عمر بن هارون؟ قال: لا ، كنت كتبت عن عمر بن هارون وحده أكثر من

(١) هو الحافظ علي بن الحسن بن شقيق المروزي .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٥١ - ٣٥٢ .

ثلاثين ألفاً، ولكن وكيع بن الجراح، وعبد الوهاب الثقفي، وجرير،
ومحمد بن بكر البرسّاني ونسيت الخامس^(١).

وإذا كانت روايات أبي رجاء مائة ألف حديث عن خمسة
شيوخ فكيف برواياته عن بقية شيوخه!

من مواقف أحمد بن حنبل وأبي زرعة وابن راهويه رحمهم الله :

لقد كان اهتمام العلماء بالعلم يصل أحياناً إلى حد الانشغال به
عن بعض نوافل العبادات، ومن أمثلة ذلك ما رواه عبد الله بن الإمام
أحمد قال: لما قدم أبو زرعة نزل عند أبي، فكان كثير المذاكرة
له، فسمعت أبي يوماً يقول : ماصليت غير الفرض، استأثرت
بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي^(٢).

وهذا يفيد بأن مذاكرة العلم والاشتغال به أفضل من نوافل
العبادة والمقصود بذلك النوافل المطلقة، أما المقيدة بأوقات محددة

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٧ .

فلا ينبغي تركها ، وإنما كان الاشتغال بالعلم أفضل من نوافل العبادة المطلقة لأن العلم يتعدى نفعه للمسلمين بخلاف نوافل العبادة فإن نفعها يقتصر على فاعلها، والمقصود بالعبادة هنا المعنى الاصطلاحي الشائع وهو إطلاق ذلك على الشعائر التعبدية وإلا فإن العبادة تشمل جميع الأعمال الصالحة .

وقد يغلب على العلماء خاطر الاشتغال بالعلم فيشغلهم حتى عن نوافل الوقت المحددة كما جاء في خبر عن الحافظ إسحاق بن راهويه قال : كنا عند عبد الرزاق أنا وأحمد بن حنبل ، فمضينا معه إلى المصلّى يوم عيد فلم يكبر هو ولا أنا ولا أحمد ، فقال لنا : رأيتُ معمرًا والثوريّ في هذا اليوم كبرًا وإني رأيتكما لم تكبرا فلم أكبر فلم تكبرا ؟ قلنا : نحن نرى التكبير ولكن شُغلنا بأي شيء نبتدئ من الكتب^(١) .

وكون هذين الإمامين العابدين شغلا عن التكبير بالتفكير في

(١) سير أعلام النبلاء ١١/١٩٣ .

العلم دليل على عظمة اهتمامها بالسنة النبوية .

ولقد كانوا يروون الحديث الواحد من عدة طرق فلا يكتفون بإسناد واحد ، وقد كان هذا من أسباب ضبط السنة لأنه إذا أخطأ راو أو أكثر في بعض الحديث فيمكن تصحيحه من الطرق الأخرى ، وفي بيان ذلك يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة لم نضبطه ، فكيف يضبطه من كتبه من وجه واحد؟!

وقال عبد الله بن أحمد : قال لي أبو زرعة : أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، فقيل : وما يدريك؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب^(١) .
فهذا مثال لاهتمام العلماء برواية السنة حيث يروونها من طرق متعددة ، وكثيراً ما رحلوا مسافات طويلة من أجل زيادة هذه الطرق ، وإن من مزايا ذلك ضبط ألفاظ الأحاديث وتقوية أسانيدها ، وقد يقتصر العالم عند تدوين السنة على طريق أو أكثر ويجذف بعض

(١) سير أعلام النبلاء ١١ / ١٨٧ .

الطرق على سبيل الاختصار أو لكونها لا تخلوا من ضعف .
والمقصود بقول الحافظ أبي زرعة : «أبوك يحفظ ألف ألف
حديث» الأسانيد وليس المتون ، فالحديث الواحد الذي يَرُدُّ بعدة
أسانيد يُحسب بعددها ، وقد كانوا يعدُّون الأحاديث بالأسانيد لشدة
اهتمامهم بجمع الطرق الكثيرة للحديث الواحد .
ومن ذلك ما رواه الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم قال :
وسمعت أبي يقول : رأيت أحمد في المنام ^(١) ، فرأيته أضخم مما كان
وأحسن وجهها وسَخْنًا ^(٢) مما كان ، فجعلت أسأله عن الحديث ^(٣) .
ففي هذا الخبر بيان اهتمام العلماء بدراسة السنة النبوية ، حيث
يتذكرون في الحديث حتى في رُؤَى المنام ، فهذا يدل على أن هذا
العلم هو أهم شيء عندهم .

(١) يعني الإمام أحمد بن حنبل .

(٢) يعني الهيئة واللون .

(٣) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٤٥ .

ومن ذلك ما زوي عن صالح بن الإمام أحمد قال : عزم أبي علي الخروج إلى مكة ليقضي حجة الإسلام ، ورافق يحيى بن معين ، فقال : نمضي إن شاء الله فنقضي حجتنا ونمضي إلى عبد الرزاق إلى صنعاء نسلم منه ، وكان يحيى بن معين يعرف عبد الرزاق وقد سمع منه [قال : يحيى بن معين] فوردنا مكة وطفنا طواف الورد ، فإذا عبد الرزاق في الطواف يطوف ، فطاف وخرج إلى المقام فصلى ركعتين وجلس ، فتممنا طوافنا أنا وأحمد وجئنا وعبد الرزاق جالس عند المقام ، فقلت لأحمد : هذا عبد الرزاق قد أراحك الله من مسيرة شهر ذاهباً وجائياً ومن النفقة ، فقال : ما كان الله يراني وقد نويت له نية أفسدها ولا أتمها^(١) .

فهذا الخبر مثل من الحرص الشديد على العمل الصالح ، فقد كان الإمام أحمد قد نوى السفر إلى اليمن للسمع من الإمام عبد الرزاق الصنعاني فأبى إلا أن يتيم على نيته ولم يكتف بقاء عبد الرزاق

(١) طبقات الحنابلة ١/ ١٧٥ .

في مكة ليكتب الله تعالى له ذلك العمل الصالح الذي نواه ، وحينما
تَدْخُلُ النية الصالحة في طلب العلم فإن الله جل وعلا يبارك في أي
جهد يبذله المتعلم ، إضافة إلى تحول طلب العلم والسفر من أجله إلى
عمل صالح يُرفع لصاحبه .

ومن أخبار العلماء في الشوق إلى العلم ما روي عن عبد الله بن
الإمام أحمد قال: سمعت أبي يقول: لما قدمت صنعاء اليمن - أنا
ويحيى بن معين - في وقت صلاة العصر ، فسألنا عن منزل عبد
الرزاق ف قيل لنا : بقرية يقال لها الرمادة ، فمضيت لشهوتي للقاءه ،
وتخلف يحيى بن معين، وبينها وبين صنعاء قريب ، حتى إذا سألت
عن منزله قيل لي : هذا منزله ، فلما ذهبت أدقُّ الباب قال لي بقال
تجاه داره : مَهْ ، لاتدق فإن الشيخ مهوب ، فجلست حتى إذا كان
قبل صلاة المغرب خرج للصلاة فوثبت إليه وفي يدي أحاديث قد
انتقيتها ، فقلت له : سلام عليكم ، تحدثني بهذه رحمك الله فإنني
رجل غريب ، فقال لي : ومن أنت ؟ قلت : أنا أحمد بن حنبل ، فتقاصر
ورجع وضمني إليه وقال : بالله أنت أبو عبد الله ؟ ثم أخذ الأحاديث

فلم يزل يقرؤها حتى أشكل عليه الظلام ، فقال للبقال:هلمَّ

بالمصباح،حتى خرج وقت صلاة المغرب^(١) وكان يؤخرها.

قال عبد الله : فكان أبي إذا ذكر أنه نُؤّه باسمه عند عبد الرزاق

بكي^(٢) .

فهذا الخبر فيه مثل من حرص الإمام أحمد على العلم ، فمنذ أن

وصل إلى اليمن بادر إلى سماع الأحاديث من الإمام عبد الرزاق

الصنعاني ولم ينتظر حتى يستريح .

وفي الخبر مثل من تقدير أهل الفضل والتقدم في العلم والدين ،

فمنذ أن عرف عبد الرزاق أحمد بن حنبل ضمه وأكرمه وتواضع له .

وأخيرا مثل من الخشية والخوف من الله تعالى حيث كان الإمام

أحمد يبكي كلما ذكر حفاوة عبد الرزاق الصنعاني به ، المبنية على سبق

شهرته إليه .

(١) أي خرج أول وقتها .

(٢) طبقات الحنابلة ١ / ١٨١ - ١٨٢ .

ومن أمثلة ما روي عن الحافظ أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم
الرازي رحمه الله تعالى أنه قال: كل شيء قال الحسن [يعني البصري]
قال رسول الله ﷺ وجدت له أصلاً إلا أربعة أحاديث^(١).

وهكذا فليكن العلم ! فقد قام أبو زرعة بحصر مراسلات
الحسن البصري رحمه الله تعالى فوجد لها أصلاً موصولاً ماعداً أربعة
أحاديث ، وبهذا وأمثاله استحق أبو زرعة أن يكون من أبرز حفاظ
زمانه ، وجدير بهذا العالم الحافظ الناقد أن يحكم على الأحاديث وأن
يعمل العلماء بحكمه.

ولقد كان رحمه الله تعالى محتفظاً بحفظه حتى وهو يعاني من
سكرات الموت كما قال أبو جعفر محمد بن علي ورّاق أبي زرعة :
حضرنا أبا زرعة بـ «ماشهران» وهو في السّوق^(٢) وعنده أبو حاتم
وابن وارة والمنذر بن شاذان وغيرهم ، فذكروا حديث التلقين «لقنوا

(١) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٦٩ .

(٢) يعني قد حضره الموت .

موتاكم لا إله إلا الله» واستحيوا من أبي زرعة أن يلقنوه فقالوا :
تعالوا نذكر الحديث ، فقال ابن واره : حدثنا أبو عاصم حدثنا عبد
الحميد بن جعفر عن صالح ، ولم يجاوز ، والباقون سكتوا ، فقال أبو
زرعة وهو في السّوق : حدثنا بندار حدثنا أبو عاصم حدثنا عبد
الحميد عن صالح بن أبي عَرِيب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل
قال قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل
الجنة » ، وتوفي رحمه الله تعالى ^(١) .

وهكذا كان أبو زرعة حافظاً للأحاديث وهو في النزاع الأخير
مما يدل على أن علم السنة قد خالط روحه وهيمن على تفكيره ،
وكذلك كان الحفاظ الكبار رحمهم الله تعالى .

(١) سير أعلام النبلاء ٧٧/١٣ ، تاريخ بغداد ١٠/٣٣٥ .

موقف للأصمعي رحمه الله ^(١) :

من المواقف المذكورة في بيان أهمية علم النحو ماجاء عن أبي داود السنجي قال: سمعت الأصمعي يقول : إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله عليه السلام : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ^(٢) .

فالأصمعي رحمه الله تعالى يبين أهمية تعلم اللغة العربية وخاصة في رواية الحديث النبوي ، فالحديث لا يكون مشكولاً كالقرآن غالباً ، فإذا نسبه روايه إلى رسول الله ﷺ ولحن فيه يكون كأنما نسب اللحن إلى رسول الله ﷺ ، فيكون كأنما كذب عليه حيث نسب إليه قولاً لم يُقله على نفس الوجه الذي أورده وإنما قاله باللغة العربية الفصحى .
ويكون الخطبُ أعظم حينما يخطئ القارئ خطأً يحيل المعنى لأنه بهذا يلبس الأمر على السامع ويوصله في الفهم إلى خلاف مقصود الحديث .

(١) هو العلامة الأديب أبو سعيد عبد الملك بن قُريب ، وهذا لقب ابيه عاصم .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٧٨ .

ولاشك أن هناك خطأً مشتركاً في عدم العناية بالسنة النبوية من هذا الجانب ، فُدور النشر لاتهم كثيراً بتشكيل الأحاديث النبوية ، والقراء لا يهتمون بتعلم اللغة العربية ، فيحصل بسبب ذلك اللحنُ البسيط واللحن الفاحش في رواية السنة ، وخاصة من بعض الوعاظ الذين لم يتمكنوا من تعلم اللغة العربية .

موقف لأبي بكر أحمد الرمادي رحمه الله :

لقد بلغ من شدة اهتمام العلماء بحديث رسول الله ﷺ أنهم كانوا يستشفون بسماعه من المرض كما رُوي عن الإمام أبي بكر أحمد بن منصور الرمادي أنه كان إذا مرض يَستشفي بأن يسمعوا عليه الحديث^(١) .

فهل سمع طلاب العلم بأعجب وأجمل من هذا!؟

متى كان الاشتغال بالعلم شفاء من الأمراض !

إنه كذلك بالنسبة لهؤلاء العظماء الذين كان العلم هو قضيتهم

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٩٠ .

الكبرى وشغلهم الشاغل في حياتهم .

إن أعراض المرض تظهر على الجسم فتسبب أنواعاً من الآلام ، ولكن حينما يُشغَل الفكر شغلاً كاملاً بشيء مَّا إلى حد الهيام به فإن تأثير ذلك على الأعصاب يكون أقوى من تأثير أعراض المرض ، فينسى المريض تلك الآلام لأنه شُغِلَ بشيء أكبر ، كالمجاهد الذي يُجرح أو يقطع عضو من أعضائه فلا يحسّ بذلك كثيراً بل يستمر في الجهاد وينسى آلام الجراح حتى تهدأ المعركة فتعود بعد ذلك الآلام .

من مواقف محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله :

من ذلك ماُرُوي عن الإمام أبي عبد الله البخاري أنه قال :
ما وضعت في كتابي «الصحیح» حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك واصلت
ركعتين^(١) .

فهذا تعظيم من هذا الإمام لحديث رسول الله ﷺ ، وكونه يلتزم
بأمر غير لازم شرعاً دليل على مكانة السنة النبوية في قلبه ، وعلى قدر

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٢ ، تاريخ بغداد ٩/٢ .

هذا التعظيم يضع الله تعالى القبول للعمل في الأرض، وهكذا تبوأ
صحيح الإمام البخاري أعلى منزلة بين كتب السنة .

فكم اغتسل هذا الإمام وصلى من ركعات من أجل تدوين هذا
السفر العظيم ! وكم أفاده ذلك من عمل صالح زائد على ثواب
العمل العلمي الكبير الذي قام به !

وكان لغزارة علمه ودقة فهمه يجتمع في درسه آلاف التلاميذ كما
روى الحافظ الخطيب البغدادي من خبر محمد بن يوسف بن عاصم
قال : رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد، وكان اجتمع
في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل^(١) .

ومن أمثلة شهرة العلماء بكثرة الروايات ما ذكره محمد بن أبي
حاتم وراق الإمام البخاري حيث يقول عن البخاري : سمعته يقول:
دخلت بلخ فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثاً فأملت
ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم .

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٠ .

قال : وسمعتة قبل موته بشهر يقول : كتبت عن ألف وثمانين
شيخا ليس فيهم إلا صاحب حديث ، كانوا يقولون الإيمان قول
وعمل يزيد وينقص^(١) .

فهذا مثالان على توسع الإمام البخاري في الأخذ عن الشيوخ
وهذا يدل على كثرة مروياته.

وقوله « كانوا يقولون الإيمان قول وعمل » أراد بذلك الرد على
المرجئة الذين يقولون الإيمان اعتقاد فقط ، وهذا مثل من اهتمام الإمام
البخاري بأمور العقيدة .

وقد ورد عنه أنه انتخب كتابه الجامع الصحيح من ستمائة ألف
حديث ، وهذه الأحاديث كلها من مروياته .

وهذه نماذج يسيرة من أمثلة كثيرة تدل على توسع علماء
الحديث في الرواية ، وأصحاب مئات الألوف عددهم كبير في
مختلف العصور ، فكم هو الجهد الذي بذله هؤلاء العلماء في جمع

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٩٥ .

هذه الروايات وتحريرها وحفظها أو حفظ بعضها !
ومن أمثلة اهتمام الإمام البخاري بتدوين السنة النبوية ما ذكره
الإمام الذهبي عن محمد بن يوسف البخاري قال : كنت مع محمد بن
إسماعيل - يعني الإمام البخاري - بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه
أنه قام وأسرج - يعني أضاء السراج - يستذكر أشياء يعلّقها في ليلة
ثمان عشرة مرة^(١) .

فهذا دليل على اهتمام الإمام البخاري بالعلم حيث لا يكاد ينام
إلا ويوقظه تفكيراً في مسائل علمية فينهض لتسجيلها ، وبهذا التفكير
المتواصل بالعلم كان الإمام البخاري أحفظ أهل زمانه، وعلى قدر
اهتمام الإنسان بالعلم يكون حفظه واستيعابه والإبداع فيه .
ومن ذلك ما ذكره هانئ بن النضر قال : كنا عند يوسف الفريابي
بالشام ، وكنا ننتزه فعل الشباب في أكل الفرساد ونحوه^(٢) ، وكان محمد

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٠٤ .

(٢) يعني ما يتسلى به عادة كحب البطيخ .

ابن إسماعيل معنا وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه ويكبُّ على العلم^(١).
فهذا مثل للاهتمام بالعلم ، لأن التسليُّ بالأشياء المذكورة مضيعة
للوقت، والوقت عند أبي عبد الله البخاري ونحوه من أكابر العلماء
أغلى من جميع جواهر الدنيا ، وبهذا الجد والعمل الدائب صار عمر
الواحد منهم كأعمار عدد من الذين يضيعون بعض أوقاتهم .

من مواقف عبد الرحمن بن أبي حاتم وزملائه رحمهم الله :

من الأمثلة الرائعة لحفظ العلماء لأوقاتهم ما رواه علي بن أحمد
الخوارزمي قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول : كنا بمصر
سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة ، كل نهارنا مقسَّم لمجالس الشيوخ ،
وبالليل : النسخ والمقابلة ، قال : فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا ،
فقالوا : هو عليل ، فرأينا في طريقنا سمكا أعجبنا فاشتريناه ، فلما
صرنا إلى البيت حضر وقت مجلسٍ ، فلم يمكننا إصلاحه ومضينا إلى
المجلس ، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام ، وكاد أن يتغير فأكلناه

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٠٥ .

نبيّاً ، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه ، ثم قال : لا يُستطاع العلم
براحة الجسد ^(١) .

فهذا مثل بليغ في الاجتهاد في طلب العلم وحفظ الوقت ،
فالأكل من الضرورات ومع ذلك لم يتركوا وقتاً لإعداده لاشتغالهم
طوال الوقت بالسماع على الشيوخ والنسخ من الكتب .

من مواقف مسلم بن الحجاج رحمه الله :

من أمثلة اهتمام العلماء بالعلم مارواه الخطيب البغدادي من
حديث أحمد بن سلمة قال: عُقِدَ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج مجلسٌ
للمذاكرة ، فذُكِرَ له حديثٌ لم يعرفه ، فانصرف إلى منزله وأوقَدَ
السراج وقال لمن في الدار : لا يدخلنَّ أحد منكم هذا البيت ، فقيل له :
أهديت لنا سلة فيها تمر ، فقال : قدّموها لي ، فقدموها إليه ، فكان
يطلب الحديث ويأخذ ثمرة ثمرة يمضغها ، فأصبح وقد فني التمر

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٦٦ ، تذكرة الحفاظ ٣/٨٣٠ .

وَوَجَدَ الْحَدِيثَ ^(١) .

فهذا اهتمام كبير من الإمام مسلم بمعرفة السنة ، فقد شغله البحث عن هذا الحديث الذي لم يعرفه عن أموره الأخرى ليلة كاملة حتى وجدته .

وبهذه المهمة العالية كان أثر هذا العالم الجليل وأمثاله واضحاً في حفظ السنة النبوية وتدوينها.

من مواقف أبي مسلم الكجّي رحمه الله ^(٢) :

من ذلك ما أخرجه الخطيب البغدادي من خبر أبي بكر أحمد بن جعفر بن سلم قال: لما قدم علينا أبو مسلم الكجّي أملى الحديث في رحبة غسان، وكان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه، وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابر ، وحُسِبَ

(١) تاريخ بغداد ١٣/١٠٣ .

(٢) هو الإمام الحافظ إبراهيم بن عبد الله الكجّي صاحب السنن .

من حضر بِمِخْبَرَةٍ فبلغ ذلك نيفا وأربعين ألف محبرة سوى النظارة^(١) .

وذكرها الإمام الذهبي وقال: إسنادها صحيح^(٢) .

وهذا عدد كبير يدل على عزة العلماء ومكانتهم وشدة إقبال الطلاب عليهم ، ولو تمت المقارنة مع الدراسة في هذا العصر لكان هؤلاء الطلاب الذين يجتمعون في درس واحد يعادلون طلاب جامعة من أكبر الجامعات .

موقف لأبي حاتم الرازي رحمه الله :

كان العلماء يتدرجون في العلم ، فالقرآن أولاً ، ثم السنة ثم العلوم الأخرى ، ومن أمثلة ذلك ما روي عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : لم يدعني أبي أشغل في الحديث حتى قرأت القرآن على الفضل بن شاذان الرازي ، ثم كتبت الحديث^(٣) .

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٦٥ .

فهذا الحافظ عبد الرحمن بن الحافظ أبي حاتم الرازي أراد التوجه إلى تلقي الحديث وحفظه من صغره ، وذلك لشهرة هذا العلم آنذاك ، ولكن أباه منعه من ذلك حتى يتقن القرآن الكريم على الشيوخ .

ويشبه اندفاع ابن أبي حاتم نحو علم الحديث مايتوجه إليه بعض المبتدئين في هذا العصر من طلب دراسة مصطلح الحديث ، وبعضهم لا يحسن قراءة القرآن ، وإن أحسنوا ذلك فإنهم قد أهملوا المرحلة الثانية وهي قراءة كتب السنة على الشيوخ .

فهؤلاء المبتدئون الذين يتوجهون أولاً لدراسة مصطلح الحديث إن كان هدفهم من هذه الدراسة أن يجعلوا من أنفسهم حكاما يحكمون على الأحاديث ويخطئون العلماء فليعلموا أنهم ليسوا على منهج صحيح ، وليدخلوا البيوت من أبوابها ، وليتدرجوا في التعلم كما سلك أهل العلم من قبلهم .

من مواقف علي بن أبي طاهر رحمه الله :

من الاهتمام بالعلم بالعناية بالكتب العلمية ، ومن أمثلة عناية العلماء بذلك ما روي عن سليمان بن يزيد : أن علي بن أبي طاهر لما رحل إلى الشام وكتب الحديث جعل كتبه في صندوق وقيره^(١) وركب البحر ، فاضطربت السفينة وماجت فألقى الصندوق في البحر ، ثم سكنت السفينة ، فلما خرج منها أقام على الساحل ثلاثا يدعو الله ، ثم سجد في الليلة الثالثة وقال : إن كان طلبي ذلك لوجهك وحب رسولك فأعطني برد ذلك ، فرفع رأسه فإذا الصندوق مُلقَى عنده ، فقدم وأقام برهة ، ثم قصدوه لسماع الحديث فامتنع منه .

قال : فرأيت النبي ﷺ في منامي ومعه علي رضي الله عنه ، فقال النبي ﷺ : يا علي^(٢) من عامل الله بما عاملك به علي شط البحر ؟ ! لا تمتنع من رواية أحاديثي ، قال : فقلت : قد تبت إلى الله ، فدعالي

(١) يعني طلاه بالقار حتى لا يصل إليه الماء .

(٢) يعني علي بن أبي طاهر .

وحثني على الرواية^(١) .

فهذا مثل من العناية بكتب العلم حيث حفظها علي بن أبي طاهر من وصول الماء إليها، وكان حفظه لها متقناً حيث بقيت مدة في البحر ولم يتسرب الماء إليها ، وهو بهذا قد أخذ بجانب الحذر والاحتياط ولم يغتر بجانب السلامة التي هي الغالب وهذا دليل على الحزم وبُعد النظر .

وقد حصل له بفقد كتبه حزن شديد جعله ينفرد من قافلته ويبقى على شط البحر ثلاثة أيام يدعو الله تعالى أن يمنَّ عليه بعودة صندوق كتبه ، وكان في حال تلهف ورجاء بالغ ولم ييأس من رحمة الله تعالى ، فأكرمه سبحانه واستجاب دعاءه وردَّ عليه كتبه سليمة لم يؤثر عليها البحر .

ولكنه رحمه الله تعالى غفل عن أهم مجال من مجالات شكر المنعم تبارك وتعالى على تلك النعمة ، حيث امتنع عن نشر العلم ، فتداركه

(١) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٨٨ .

الله سبحانه برحمته وهياً له تلك الرؤيا الصالحة التي غيّر بسببها منهجه واهتم بنشر العلم .

من مواقف أبي بكر الإسماعيلي رحمه الله :

من أمثلة حرص العلماء الشديد على طلب العلم حتى في سنِّ مبكرة ما روي عن أبي بكر الإسماعيلي أنه قال : لما ورد نعي محمد بن أيوب الرازي بكيث وصرخت ومزقت القميص ووضعت التراب على رأسي ، فاجتمع عليّ أهلي وقالوا : ما أصابك ؟ قلت : نُعي إليّ محمد بن أيوب ، منعموني الارتحال إليه ، فسَلُوني وأذنوا لي في الخروج إلى «نسا» إلى الحسن بن سفيان، ولم يكن ها هنا شعرة - وأشار إلى وجهه - ^(١) .

فهذا مثل من الشوق البالغ والتلهف على لقاء الشيوخ ، فقد كان أبو بكر الإسماعيلي يستأذن أهله ويلحُّ عليهم في السفر إلى محمد ابن أيوب ويأبون عليه ، ولما مات ابن أيوب عدَّ موته مصيبة كبرى

(١) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٢٩٥ - ٢٩٦ .

حلت به حتى أفرع من حوله بصياحه عليه ، وقد كان هذا المنظر المؤثر شافعا له ليأذن له أهله في السفر إلى الحسن بن سفيان ، وقد كان كما ذكر الذهبي أقل من محمد بن أيوب الرازي في علو الإسناد ، وكان أهل العلم يهتمون بذلك ، لأنه كلما قل رجال الإسناد كان أكثر مظنة للسلامة .

وكون هذا الشوق الكبير يصدر من طلاب العلم وهم في أول سن الشباب دليل على ارتفاع مستوى التعليم في تلك العصور وسمو الأهداف عندهم ، حيث إن المظنون في من كانوا في تلك السن الميل نحو متاع الدنيا وهوها .

من مواقف محمد بن يعقوب السناني رحمه الله :

قال أبو عبد الله الحاكم : سمعت الأصم ^(١) وقد خرج ونحن في مسجده ، وقد امتلأت السكة من الناس في ربيع الأول سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، وكان يملي عشية كل يوم اثنين من أصوله ، فلما

(١) هو الإمام محمد بن يعقوب السناني النيسابوري .

نظر إلى كثرة الناس والغرباء وقد قاموا يُطَرِّقون له ، ويحملونه على عواتقهم من باب داره إلى مسجده ، فجلس على جدار المسجد ، وبكى طويلا ، ثم نظر إلى المستملي فقال: اكتب : سمعت محمد بن إسحاق الصَّغاني يقول : سمعت الأشجَّ ، سمعت عبد الله بن إدريس يقول: أتيت يوما باب الأعمش بعد موته فدققت الباب ، فأجابتنني جارية عرفتني : هاي هاي ، تبكي: يا عبد الله ، ما فعل جماهير العرب التي كانت تأتي هذا الباب ؟ ثم بكى الكثير ، ثم قال : كأني بهذه السكة لا يدخلها أحد منكم ، فإني لا أسمع وقد ضعف البصر ، وحان الرحيل وانقضى الأجل^(١) .

ففي هذا الخبر مثل على كثرة طلاب العلم وازدحامهم حول بيوت الشيوخ ومساجدهم، كما أنه شاهد على ما كان يقوم به طلاب العلم من احترام العلماء وإعزازهم .

وماذا يريد ذلك الجم الغفير من الحافظ محمد بن يعقوب ؟ هل

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٥٨ - ٤٥٩ .

لديه مال يصيبون منه ؟ أو جاه دنيوي يتوصلون به إلى ما يريدون من
مناصب الدنيا ؟

بلى ، إن لديه كنز الدنيا والآخرة .

إن لديه ميراث النبي ﷺ ، فلا عجب أن ازدحم حول بيته
ومسجده طلاب العلم الوافدون من الآفاق .

من مواقف أبي علي النيسابوري رحمه الله :

من ذلك ما روي عن أبي علي الحسين بن علي النيسابوري قال :
قدمت بغداد على الفريابي وقد قطع الرواية فبكيت بن يديه ، فما
حدثني ، ورأيت حسرة^(١) .

فهذا مثل من الاهتمام العالي بالعلم إلى الحد الذي يصل إلى حد
البكاء حسرة على فواته .

إن بكاء الرجال ليس بالأمر اليسير ، وإنما يدفع إليه في مثل هذه
الأحوال تأثر نفسي ضاغط من الأسى والحزن على فوات شيء
محبوب ، وهذا دليل واضح على أهمية تحصيل العلم عند هذا العالم
الجليل .

(١) سير أعلام النبلاء ٥٦/١٦ .

من مواقف أبي نعيم الأصبهاني رحمه الله :

من ذلك ما ذكره أحمد بن محمد بن مردويه عن الحافظ أبي نعيم الأصبهاني^(١) قال: كان أبو نعيم في وقته مرحولا إليه ، ولم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه ، كان حُفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ، فكان كل يوم نوبة واحد منهم ، يقرأ ما يريد به إلى قريب الظهر ، فإذا قام إلى داره ربما كان يُقرأ عليه في الطريق جزء ، وكان لا يضجر ، لم يكن له غداء سوى التصنيف والتسميع^(٢) .

فهذا مثل من العز الذي كان فيه العلماء ، وإنما نالوا ذلك العز وأقبل طلاب العلم عليهم ذلك الإقبال الشديد لقيامهم بخدمة سنة رسول الله ﷺ تعلموا وحفظا وتدوينا وتعلّما ، وكلما تأخرت وفاة العالم كان أكثر عزا وأقبل عليه الكبار والصغار لعلو إسناده ، وقد جاء في رواية عن حمزة بن العباس العلوي قال : كان أصحاب الحديث

(١) هو الحافظ أحمد بن عبد الله الأصبهاني .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٥٩ / ١٧ .

يقولون : بقي أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير لا يوجد شرقاً ولا غرباً أعلى منه إسناداً ولا أحفظ منه^(١) .

وبهذا الحفظ القوي المتقن لدى العلماء حتى مع تقدم السن ، وبالرغبة الشديدة في السماع من الشيوخ حُفِظَت السنة النبوية وأصبحت حية ماثلة في أفكار طلاب العلم ، لمداومة التعلم والمذاكرة والتعليم .

من مواقف أبي الفضل محمد بن طاهر رحمه الله :

من الأخبار الجيدة في بيان شوق طلاب العلم وحرصهم الشديد على التحصيل العلمي ما رُوي عن الإمام أبي الفضل محمد بن طاهر قال : كنت يوماً أقرأ على أبي إسحاق الحبَّال جزءاً فجاءني رجل من أهل بلدي وأسرَّ إليّ كلاماً قال فيه : إن أخاك قد وصل من الشام ، وذلك بعد دخول الترك بيت المقدس وقتل الناس بها ، فأخذت في القراءة فاختلطت عليّ السطور ولم يمكنني أن أقرأ ، فقال أبو إسحاق :

(١) سير أعلام النبلاء ٤٥٩/١٧ .

مالك؟ قلت: خير، قال: لا بد أن تخبرني، فأخبرته، فقال: وكم لك لم تر أخاك؟ قلت: سنين، قال: ولم لاتذهب إليه؟ قلت: حتى أتمّ الجزء، قال: ما أعظم حرصكم يا أهل الحديث! قد تمّ المجلس، وصلى الله على محمد، وانصرف^(١).

فهذا مثل من حرص طلاب العلم الشديد على العلم، فابن طاهر قد غلبت عليه الفرحة بقدوم أخيه الذي كأنها ولد من جديد، بسلامته من الحروب التي جرت آنذاك في الشام بين المسلمين وأعدائهم، وكان في شوق بالغ للقاءه فغلب عليه ذلك حتى خلط في قراءته، ومع ذلك استمر في الدرس، وهذه الصورة الحية من الصور التي تبين لنا سبب تفوق طلاب العلم الظاهر في العصور السابقة في الحفظ والفهم، فهم غير مجبرين على التعلم، ولا مسوقين إليه بحكم العادة أو خوف الملامة من الأهل والأقارب بتركه، وإنما أقبلوا عليه بشغف بالغ وشوق قاهر غلب على مشاعرهم حتى نَحَوَ والديهم

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٦٧.

وأقاربهم أحياناً ، فأنتجوا تلك المؤلفات العظيمة ، وعمروا عصورهم
بالعلم الزاهر الحي .

وكان ابن طاهر كثير الرحلة في طلب الحديث حتى إنه سافر من
أجل سماع حديث واحد كما قال عن نفسه : رحلت من طوس إلى
أصبهان لأجل حديث أبي زرعة الرازي الذي أخرجه مسلم عنه ،
ذاكرني به بعض الرحالة بالليل ، فلما أصبحت سرت إلى أصبهان ولم
أحلل عني حتى دخلت على الشيخ أبي عمرو ، فقرأته عليه عن أبيه
عن القطان عن أبي زرعة ، ودفع إليّ ثلاثة أرغفة وكُمَّشَراتين ، فما كان
لي قوت تلك الليلة غيره ، ثم لزمته إلى أن حصّلت ما أريد ، ثم
خرجت إلى بغداد فلما عدت كان قد توفي^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء ٣٦٦/١٩ ، والحديث المذكور هو قول رسول الله ﷺ « اللهم
إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك »
كما ذكر محقق الكتاب .

من مواقف أبي عبد الله محمد الحميدي رحمه الله :

من أمثلة اجتهاد العلماء في تدوين السنة ما ذكره يحيى البناء قال :
كان الحميدي من اجتهاده ينسخ بالليل في الحر، فكان يجلس في
إِجَانَةٍ^(١) في ماء يتبرد به^(٢) .

فهذا العالم الجليل أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي يكتب
العلم في شدة الحر ويَتَّقِي الحر بالجلوس في الماء ، فكيف بأهل العلم
اليوم الذين سُخِّرَتْ لهم الوسائل التي تحيل الصيف ربيعاً! ومع توافر
هذه الوسائل وحصول الراحة الكبيرة فإن إنتاج علماء اليوم أقلُّ بكثير
من إنتاج علماء العصور السابقة ، فلا بد من دراسة الأسباب التي
سببت انخفاض الإنتاج العلمي في هذا العصر .

(١) الإِجَانَةُ بتشديد الجيم إناء يغسل فيه الثياب .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩/١٢٢ .

موقف لأبي عبد الله محمد المازري رحمه الله :

مما يستحق الإعجاب والثناء ما قام به الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازري من دراسة علم الطب إلى جانب تفوقه في العلوم الدينية ، قال الإمام الذهبي : قيل إنه مرض مَرَضَةً فلم يَجِدْ من يعالجه إلا يهودي ، فلما عوفي على يده قال : لولا التزامي بحفظ صناعتي لأعدمتك المسلمين ، فأثر هذا عند المازري فأقبل على تعلم الطب حتى فاق فيه ، وكان مما يفتي فيه كما يفتي في الفقه^(١) .

وهذا الخبر يصور لنا حقد الأعداء على المسلمين وخاصة على علماء الدين الذين يعتقدون أنهم سبب قوة المسلمين ، وامتداد حيويتهم ووعيتهم على مر الأجيال .

فمن منطلق هذا الحقد الدفين صرح ذلك الطبيب اليهودي أنه يود قتل ذلك العالم الجليل حتى يضر بقتله المسلمين .

وقد دفع ذلك هذا العالم إلى أن تعلم الطب حتى فاق فيه وأصبح

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/١٠٥-١٠٦ .

مرجعاً للأطباء، وقد قيل عنه إنه أحد الأذكياء الموصوفين فساعده ذكاؤه
على تعلم الطب والبراعة فيه، مع انشغاله بالعلوم الأخرى .
وإن في هذا الخبر درساً بليغاً للمسلمين كي يصلوا إلى كفاية
أنفسهم في مختلف العلوم حتى لا يحتاجوا إلى غيرهم ، بل إن المفترض
فيهم أن يكونوا أئمة وهداة في كل علم نافع ، وأن يسخرُوا علمهم
للدعوة إلى دينهم .

من مواقف أبي بكر محمد بن موسى الحازمي رحمه الله :

من أمثلة الاهتمام بالعلم ما روي عن ابن النجار قال : سمعت أبا القاسم المقرئ جازنا يقول - وكان صالحا - : كان الحازمي رحمه الله في رباط البديع فكان يدخل بيته في كل ليلة ويطالع ويكتب إلى طلوع الفجر ، فقال البديع للخادم : لاتدفع إليه الليلة بزراً للسراج^(١) لعله يستريح الليلة .

قال : فلما جنَّ الليل اعتذر إليه الخادم لأجل انقطاع البزر ، فدخل بيته وصف قدميه يصلي ويتلو إلى أن طلع الفجر ، وكان الشيخ قد خرج ليعرف خبره فوجده يصلي^(٢) .

ففي هذا الخبر مثل من الاهتمام بالعلم وحفظ الوقت وعدم شغله إلا بالأمور الجدية، فهذا العالم الجليل مشغول طول الليل بالكتابة في العلم ، ولما فقد المصباح لم يسترح في فراشه بل عدل إلى

(١) يعني الوقود .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ١٦٩ .

العبادة بالصلاة ، وكان يرى أن الاشتغال بالعلم أفضل لأن ذلك مما يتعدى نفعه للآخرين، فلما حيل بينه وبين الكتابة عدل إلى صلاة الليل ، وكل ذلك عبادة وعمل صالح ، وإنما تتفاوت درجات العمل بمقدار كثرة نفعه وإخلاص فاعله .

إن النفوس السامية التي شغلها همّ بالمطالب العالية لاتهنأ بلزيد النوم ، ولا تجد سعادتها في الراحة ، وإنما تجد سعادتها في مواصلة العمل الذي يدفع بها نحو الوصول إلى أهدافها العليا .

من مواقف أبي الوفاء ابن عقيل رحمه الله :

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن رجب أن أبا الوفاء علي بن عقيل قال في فنونه : قال حنبلي-يعني نفسه-أنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي حتى أختار سفّ الكعك وتحسّيه بالماء على الخبز لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ توفراً على مطالعةٍ أو تسطير فائدة لم أدركها فيه^(١) .

فهذا مثل بليغ في حفظ الوقت وشغله بما ينفع ، وإذا كان هذا العالم

(١) طبقات الحنابلة ٣/١٤٦ .

وأمثاله يفكرون في اختصار وقت الأكل فإنهم لن يضيعوا أوقاتهم الأخرى بما لافائدة فيه ولا حاجة إليه من نوم أو كلام أو كسل .

من مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية :

اشتهر شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية بقوة الحفظ وسرعة التذكر ، فكان وهو يتحدث كأنها يقرأ من عدد من الكتب ، وكان يكتب النقول في كثير من مؤلفاته من ذاكرته .

وفي ذلك يقول الحافظ ابن رجب فيما نقله عن الحافظ الذهبي :
وقد كتب الذهبي في تاريخه الكبير للشيخ ترجمة مطولة ، وقال فيها :
وله خبرة تامة بالرجال ، وجرحهم وتعديلهم ، وطبقاتهم ، ومعرفة بنفون الحديث ، وبالعالی والنازل ، والصحيح والسقيم ، مع حفظه لمتونه ، الذي انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ، ولا يقاربه ، وهو عجيب في استحضاره ، واستخراج الحجج منه ، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة ، والمسند ، بحيث يصدق عليه أن يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث .

وقال : ولما كان معتقلا بالإسكندرية التمس منه صاحب سبته أن يجيز لأولاده ، فكتب لهم في ذلك نحوًا من ستمائة سطر ، منها سبعة أحاديث بأسانيدھا ، والكلام على صحتها ومعانيها ، وبحث

وعمل ما إذا نظر فيه المحدث خضع له من صناعة الحديث . وذكر
أسانيده في عدة كتب . ونَبَّه على العوالي . عمل ذلك كله من حفظه ،
من غير أن يكون عنده ثَبَّت أو من يراجعه .

ولقد كان عجبياً في معرفة علم الحديث . فأما حفظه متون الصحاح
وغالب متون السنن والمسند: فما رأيت من يُدانيه في ذلك أصلاً .

قال : وأما التفسير فمسلَّم إليه . وله من استحضار الآيات من
القرآن - وقت إقامة الدليل بها على المسألة - قوة عجيبة . وإذا رآه
المقريء تحير فيه . ولفرط إمامته في التفسير وعظم اطلاعه يبين خطأ
كثير من أقوال المفسرين . ويوهي أقوالاً عديدة . وينصر قولاً واحداً ،
موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث . ويكتب في اليوم واللييلة من
التفسير ، أو من الفقه ، أو من الأصولين ، أو من الرد على الفلاسفة
والأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد .

قلت : وقد كتب « الحموية » في قعدة واحدة . وهي أزيد من
ذلك . وكتب في بعض الأحيان في اليوم ما يبيض منه مجلد^(١) .

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤/ ٣٩١ .

توجيهات ومواقف
في
بذل الجهد في حظ السنة

لقد حظيت السنة النبوية بجهود ضخمة من علماء الإسلام في حفظ متونها وأسانيدها على مرّ العصور ، وقد دوّن علماء التراجم أخبار أولئك العلماء في قوة الحفظ وسرعة التذكر .

والمقصود من عرض هذه الأخبار أمران :

الأول : الإشادة بالجهود الضخمة التي بذها أولئك العلماء في الحفظ ، حيث يحتاج ذلك إلى وقت طويل ، وإجهد فكري ، ثم يحتاج الأمر إلى جهد متواصل في التذكر والمذاكرة حتى يستطيعوا الاحتفاظ بتلك الكمية الكبيرة من النصوص في ذاكرتهم .

والثاني : إبراز نماذج من عباقرة الأمة الإسلامية الذين ضربوا أروع الأمثال في التفوق العلمي المبني على حدة الذكاء وقوة الحافظة وسرعة الذاكرة .

وإن من أهم ما يدفع إلى عرض هذه النماذج ما يوجد في بعض الأوساط العلمية من التمثيل للأذكاء والعباقرة بمفكري بلاد الغرب .

وإن من الدوافع التي دفعت هؤلاء الكتاب إلى الاستشهاد

بمفكري الغرب كونهم يجدون أسماءهم مدونة في الكتب المؤلفة في هذا الموضوع ، ويرجعون إليها بسهولة لما حَظِيَتْ به من خدمة وتسهيل ، بينما لا يجدون ذلك بسهولة في الكتب الإسلامية .
وإنه ينبغي أن نستفتح هذه النماذج بذكر أمثلة من تفوق الصحابة رضي الله عنهم وعلماء القرون المفضلة بقوة الحافظة وسرعة التذكر .

من أخبار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

من ذلك ما روي عن هشام بن عروة بن الزبير رحمه الله وأباه ورضي عن جده قال : لقد صحبت عائشة فما رأيت أحدا قط كان أعلم بأية نزلت ، ولا بفريضة ولا بسنة ولا بشعر ، ولا أروى له ولا بيوم من أيام العرب ولا بنسب ولا بكذا ولا بكذا ، ولا بقضاء ولا طب منها ، فقلت لها : يا خالة الطَّبُّ من أين عَلِمْتِه ؟ فقالت : كنت أُمْرَضُ فَيُنْعَتُ لي الشيء ، ويُمْرَضُ المريض فينعت له ، وأسمع

الناس يَنعت بعضهم لبعض فأحفظه^(١) .

وكذلك قال عروة عنها : وربما روت عائشة القصيدة ستين بيتا

والمائة بيت^(٢) .

ولهذا فإنه ليس غريبا أن تكون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

من المكثرين من رواية الحديث النبوي بإتقان وضبط .

من أخبار زيد بن ثابت رضي الله عنه :

من أمثلة تفوق الصحابة رضي الله عنهم في هذا المجال ما

أخرجه أبو عبد الله الحاكم من حديث خارجة بن زيد قال قال زيد بن

ثابت رضي الله عنه : أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتابة اليهود ،

وقال : إني والله ما آمن يهود على كتابي ، فتعلمته ، فلم يمر بي نصف

شهر حتى حدفته ، قال : إني كنت أكتب له إذا كتب وأقرأ له إذا كُتب

إليه .

(١) سير أعلام النبلاء ٢ / ١٨٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ٧٢ - ٧٣ .

وقال الحاكم هذا حديث صحيح وأقره الذهبي^(١) .
وقد أخرج هذا الحديث الإمام البخاري تعليقا^(٢) .
وهذا الخبر يدل على حدة ذكاء زيد بن ثابت وقوة حافظته حيث
تعلم لغة اليهود في نصف شهر.
ومن مواقفه رضي الله عنه في ذلك قيامه بجمع القرآن في
المصحف بعد أن كان متفرقا ، كما جاء في رواية الإمام البخاري من
حديث عبيد بن السبّاق « أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل
إليّ أبو بكر الصديق مقتلاً أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده ،
قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر بن الخطاب أتاني فقال : إن القتل
قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحرّ القتل
بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع
القرآن، قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال

(١) المستدرک ١/ ٧٥ .

(٢) صحيح البخاري ، الأحكام رقم ٧١٩٥ (٣/ ١٨٥) .

عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه قال : فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتتبع القرآن أجمعه من العُسْب واللِّخاف وصدور الرجال^(١) .

وجمع القرآن الكريم في مصحف كان من أعظم الأعمال الإسلامية التي تمت في عهد أبي بكر رضي الله عنه بأمره ، وقد اشترك في هذا الموقف الكبير عمر بن الخطاب الذي أشار على أبي بكر بذلك

(١) صحيح البخاري / فضائل القرآن / ب ٣ (عمدة القاري ١٦/٢٠) ، والعُسْب

جريد النخل والمراد الجزء العريض منه واللخاف الحجارة الرقيقة وفي رواية أخرى

للبخاري والرقاع وهي تكون من الورق أو الجلد ونحوه .

وألح عليه فيه وزيد بن ثابت الذي قام بهذا العمل رضي الله عنهم
أجمعين .

وفي قول أبي بكر لزيد : إنك رجل شاب عاقل لانتهمك وقد
كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ أربعة أمور ترشح زيدياً لهذا
التكليف الكبير : الأول أنه رجل شاب ، وسنُّ الشباب أفضل
مراحل العمر فيما يتعلق بالحفظ وقوة الذاكرة ، وهذا هو المؤهل
الأكبر لجمع القرآن ، وإن كان سنُّ الكهولة والشيخوخة أفضل فيما
يتعلق بالفكر والتخطيط والإدارة .

الثاني : أنه عاقل ، وكمال العقل مؤهل مهم لجميع الأعمال
الكبيرة .

الثالث : الأمانة وهي شرط أساسي لنجاح أي عامل وقد ذكر
ذلك بقوله « لانتهمك » .

الرابع : الكفاءة والخبرة وهي أيضاً شرط أساسي ، وقد ذكرها
بقوله « وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ » يعني أنه خبير
بذلك، وقد ذكر الله سبحانه هذين الأمرين على لسان ابنة شعيب

حينما وصفت موسى عليه السلام بذلك بقولها ﴿قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَتَأَتَّى
أُسْتَجِرَهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص : ٢٦]
فالكفاءة في ذلك العمل تعني قوة البدن وقد توافرت في موسى عليه
السلام مع اتصافه بالأمانة ، كما ذكرهما الله سبحانه على لسان يوسف
عليه السلام حين قال لملك مصر ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي
حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٥٥] فالحفظ هو الأمانة ، والعلم هو
الكفاءة والخبرة .

من أخبار أبي هريرة رضي الله عنه :

إن أبرز حفاظ الإسلام أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه محدث
الأمّة الأكبر وحافظها الأول، حيث قد فرّغ وقته لملازمة رسول الله
ﷺ وحفظ أحاديثه ، ولم ينشغل عن ذلك بمتابعة أمور الدنيا ، بل كان
يكتفي من الطعام بلقيّيات يُقْمَنُ صُلبه ، وفضل أن يبقى في الصفة مع
المساكين ليتفرغ لملازمة النبي ﷺ واستيعاب أكبر قدر من أحاديثه ،
فكان بذلك أكثر الصحابة حفظاً للسنة النبوية ولم يقاربه في ذلك
أحد، وبلغ عدد تلاميذه الذين رَوَوْا عنه أكثر من ثمانمائة .

ومع كثرة روايته فإنه كان حافظاً متقناً لم تتغير روايته على مرّ السنين ، ومن أدلة ذلك ما روي عن أبي الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم : أن مروان أرسل إلى أبي هريرة فجعل يسأله ، قال: وأجلسني خلف السرير وأنا أكتب ، حتى إذا كان رأس الحول دعا به ، فأقعه من وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب فما زاد ولا نقص ولا قدّم ولا أخرّ .

ذكره الإمام الذهبي وقال : هكذا فليكن الحفظ ^(١) .

وإذا كان كذلك فلا عجب في أن يكون قد حفظ أكثر من خمسة آلاف حديث بمجرد سماعها ، واحتفظ بها في ذاكرته إلى أن وافاه الأجل ، مادام الله تعالى قد وهبه هذا الحفظ القوي وسرعة التذكر . وكانت له مقدرة فائقة على سرد الأحاديث النبوية مما يدل على قوة حفظه وتمكنه من مروياته ، ومن أمثلة ذلك ما رواه مكحول الشامي قال : تواعد الناس ليلةً إلى قبة من قباب معاوية، فاجتمعوا

(١) سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٢ .

فيها فقام فيهم أبو هريرة يحدثهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبح^(١) .
وقد كان لكثرة أحاديثه مثار إعجاب الصحابة والتابعين ، وإن
كان بعض التابعين يستنكر كونه أكثر روايةً من كبار الصحابة ، ولقد
دافع عنه في ذلك بعض كبار الصحابة ، كما جاء في خبر رواه ابن
إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبي أنس مالك بن عامر قال : كنت
عند طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فدخل عليه رجل فقال : يا أبا
محمد والله ماندرى هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم ؟ أم هو
يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل ؟ - يعني أبا هريرة - فقال طلحة :
والله مانشكُّ أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم ،
إننا كنا قوماً أغنياء لنا بيوت وأهلون ، كنا نأتي نبي الله ﷺ طرفي النهار
ثم نرجع ، وكان أبو هريرة مسكيناً لا مال له ولا أهل ولا ولد ، إنما
كانت يده مع يد النبي ﷺ وكان يدور معه حيث دار ، ولانشكُّ أنه قد
علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع ، ولم يتهمه أحد منا أنه تقوّل على

(١) سير أعلام النبلاء ٥٩٩/٢ .

رسول الله ﷺ ما لم يقل .

أخرجه أبو عبد الله الحاكم وقال : هذا حديث صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي ^(١) .

ولقد اعترف له بعض الصحابة بأنه أعلم الناس بالسنة كما جاء

في خبر رواه الوليد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

أنه مرَّ بأبي هريرة رضي الله عنه وهو يحدث أن رسول الله ﷺ قال :

«من تبع جنازة فله قيراط» فقال : انظر ما تحدث عن رسول الله ﷺ ،

فقام أبو هريرة فأخذ بيده إلى عائشة رضي الله عنها فقال لها : أنشدك

الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تبع جنازة ... » الحديث

فقال : اللهم نعم .

فقال أبو هريرة : لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غرس الوديّ ^(٢)

ولا صفق بالأسواق ، وإنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمة

(١) المستدرک ٣/ ٥١٢ .

(٢) يعني فراخ النخل .

يعلمُنيها أو أكلة يطعمُنيها .

فقال ابن عمر : كنتَ ألزمتُ لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه .

ذكره الإمام الذهبي وقال : رواه ثقات ^(١) .

فبعد الله بن عمر استغرب منه ذلك الحديث الذي لم يسمعه من غيره من الصحابة فأراد أن يتثبت منه ولم يكن في شك من حفظ أبي هريرة ولا أمانته ، فلما أيدته في سماع ذلك الحديث عائشة اعترف لأبي هريرة بأنه أعلم الصحابة بالسنة .

ولقد جرت له قصة مع بعض مشيخة الصحابة دلّت على سعة علمه وقوة حفظه وذاكرته، وذلك فيما روى محمد بن عمار بن عمرو ابن حزم أنه قعد في مجلسٍ فيه أبو هريرة وفيه مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ ، بضعة عشر رجلا ، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن النبي ﷺ بالحديث فلا يعرفه بعضهم ، ثم يتراجعون فيه، فيعرفه بعضهم ، ثم يحدثهم بالحديث فلا يعرفه بعضهم ثم يعرفه، حتى فعل ذلك مرارا.

(١) سير أعلام النبلاء ٦١٦/٢ .

قال : فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله ﷺ^(١) .
ولقد كان حفظ أبي هريرة القوي وذاكرته الجيدة من بركة
رسول الله ﷺ كما أخرج الإمام البخاري من حديث أبي هريرة رضي
الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إني سمعت منك حديثا كثيرا فأنساه ،
قال : ابسط رداءك ، فبسطته فغرف بيده فيه ثم قال : ضمه ، فضمته
فما نسيت حديثا بعد^(٢) .

من أخبار عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

من أخبار الصحابة رضي الله عنهم في سعة العلم وقوة الحفظ
مارواه الحافظ أبو نعيم من حديث أبي صالح قال : لقد رأيت من ابن
عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا ، لقد رأيت
الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحد يقدر على أن
يجيء ولا أن يذهب ، قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ،

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٦١٧ .

(٢) صحيح البخاري رقم ٣٦٤٨ ، المناقب (٦/٦٣٣) .

فقال لي : ضع لي وَضوءًا ، قال: فتوضأ وجلس وقال : اخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل . قال : فخرجت فأذنتهم ، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به ، وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا .

ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل ، قال: فخرجت فأذنتهم ، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا .

ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، فخرجت فقلت لهم : قال : فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا .

ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل ، قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت

والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال:
إخوانكم ، فخرجوا .

ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن العربية والشعر
والغريب من الكلام فليدخل، قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت
والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، قال أبو
صالح : فلو أن قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا ، فما رأيت هذا
لأحد من الناس^(١) .

فهذا خبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي جمع بين
هذه العلوم المتنوعة وتفوق فيها كلها ، مما يدل على قوة حافظته وحدة
ذكائه .

ومن شواهد سعة علمه ما أخرجه الحاكم من حديث أبي وائل
قال : حججت أنا وصاحب لي ، وابن عباس على الحجج [يعني أميرا]
فجعل يقرأ سورة النور ويفسرها فقال صاحبي : ياسبحان الله ماذا

(١) حلية الأولياء /١ /٣٢٠ - ٣٢١ ، البداية والنهاية ٨ /٣٠٢ .

يخرج من رأس هذا الرجل ، لو سمعتُ هذا الترك لأسلمتُ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي ^(١) .
ومع سعة علمه فإنه كان غَوَّاصاً على دقائق المسائل ولطائف المعاني ، ومن شواهد ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث عكرمة أن علياً رضي الله عنه حرَّق قوماً فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرِّقهم لأن النبي ﷺ قال : « لا تُعذِّبوا بعذاب الله » ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ « من بدلَّ دينه فاقتلوه » ^(٢) .
وذكره الإمام الذهبي من طريق آخر عن عكرمة وزاد فيه : فبلغ ذلك علياً فقال: ويح ابن أم الفضل ، إنه لغواص على الهنات ^(٣) .
وهذه كلمة تدل على إعجاب عليٍّ بدقة علم ابن عباس وعمقه ، حيث يغوص على النوادر والغرائب من العلم .

(١) المستدرک ٣/٥٣٧ .

(٢) صحيح البخاري / الجهاد رقم ٣٠١٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٦ .

ومما يشهد لغزارة علم ابن عباس ما روي عن طاووس قال:
أدرکت نحوًا من خمسمائة من الصحابة إذا ذاکروا ابن عباس فخالقوه
لم یزل یقرّرهـم حتی ینتهوا إلى قوله^(١) .

ولقد أشاد العلماء بعلم ابن عباس ، ومن ذلك كلمات صدرت
من أحد كبار العلماء في المدينة وهو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن
مسعود حيث يقول : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال ، بعلم
ماسبق ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ونائل ،
ومارأت أحدًا أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ ، ولا بقضاء
أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أعلم بما مضى ، ولا أثقب رأيا فيما
احتيج إليه منه ، ولقد كنا نحضر عنده فيحدثنا العشية كلها في
المغازي، والعشية كلها في النسب ، والعشية كلها في الشعر^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٠ .

من أخبار ابن شهاب الزهري رحمه الله :

قال الإمام الليث بن سعد عن الإمام الزهري : كان ابن شهاب

يقول: ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته^(١) .

وكذلك مرواه الإمام مالك قال: حدثنا الزهري بحديث طويل

فلم أحفظه فسألته عنه، فقال: أليس قد حدثتكم به ؟ قلنا: بلى، قلت:

كنت تكتب ؟ قال : لا ، قلت: أما كنت تستعيد ؟ قال: لا^(٢) .

وعن معمر بن راشد أن الزهري قال : ما قلت لأحد قط أعد

علي^(٣) .

ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير من رواية الحافظ ابن عساكر

عن الإمام الزهري أنه قال : أصاب أهل المدينة جهد شديد فارتحلت

إلى دمشق ، وكان عندي عيال كثيرة، فجئت جامعها فجلست في

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٣ .

أعظم حلقة ، فإذا رجل قد خرج من عند أمير المؤمنين عبد الملك فقال: إنه قد نزل بأمر المؤمنين مسألة ، وكان قد سمع من سعيد بن المسيب فيها شيئاً وقد شذ عنه في أمهات الأولاد يرويه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقلت : إني أحفظ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ، فأخذني فأدخلني على عبد الملك، فسألني ممن أنت؟ فانتسبت له وذكرت له حاجتي وعيالي ، فسألني ، هل تحفظ القرآن؟ قلت : نعم والفرائض والسنن ، فسألني عن ذلك كله فأجبتة ، فقضى ديني وأمر لي بجائزة ، قال لي : اطلب العلم فإني أرى لك عينا حافظة وقلبا ذكيا، قال: فرجعت إلى المدينة أطلب العلم وأتبعه^(١) .

وهكذا رأينا أن العلم قد أعز الله تعالى به أهله ورفعهم إلى منازل عالية ، فقد أوصل العلم الإمام الزهري وهو في شبابه إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ونال عنده وعند الخلفاء من بعده مكانة رفيعة .

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٥٤ .

وكان الزهري قوي الحافظة سريع التذكر ، ومن أخباره في ذلك ما ذكره الحافظ عبد الرحمن ابن مهدي قال : سمعت مالكا يقول: حدّث الزهري يوما بحديث فلما قام أخذت بلجام دابته فاستفهمته فقال : أتستفهمني ؟ ما استفهمت عالماً قط ولا رددت على عالم قط، قال ابن مهدي : فتلك الطوال وتلك المغازي^(١) .

وروى يعقوب بن سفيان بإسناده عن سعيد بن عبد العزيز : أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يكتب لبيه شيئاً من حديثه، فأملى على كاتبه أربعمئة حديث ، ثم خرج على أهل الحديث فحدثهم بها ، ثم إن هشاماً قال للزهري : إن ذلك الكتاب ضاع، فقال: لأعليك ، فأملى عليهم تلك الأحاديث ، فأخرج هشام الكتاب الأول فإذا هو لم يغادر حرفاً واحداً ، وإنما أراد هشام امتحان حفظه^(٢) .

فهذا الخبر وأمثاله فيها شاهد على قوة حفظ الإمام الزهري

(١) البداية والنهاية ٣٥٦/٩ .

(٢) البداية والنهاية ٣٥٦/٩ .

ودقته في الرواية ، وهذا يكسب مروياته ثقة وطمأنينه عند الرواة .
وكان شديد الاهتمام بالمذاكرة والتعليم وفي ذلك يقول الحافظ
ابن كثير : وكان ابن شهاب ينزل بالأعراب يعلمهم لئلا ينسى
العلم^(١) .

وذكر عن أبي إسحاق قال : كان الزهري يرجع من عند عروة -
يعني ابن الزبير - فيقول لجارية عنده فيها لكنة : حدثنا عروة حدثنا
فلان ، ويسرد عليها ما سمعه منه ، فتقول له الجارية : والله ما أدري
ما تقول ، فيقول لها : اسكتي لكاع^(٢) ، فإني لا أريدك إنما أريد نفسي^(٣) .
فهذا مثل من اهتمام الإمام الزهري باستذكار العلم وتأكيده
الحفظ ، فإن أبلغ الوسائل في ذلك تعليم العلم ، وحيث إن الزهري
آنذاك حديث السن ولم يجتمع حوله طلاب يأخذون عنه العلم فإنه

(١) البداية والنهاية ٣٥٦/٩ .

(٢) أي يالئيمة .

(٣) البداية والنهاية ٣٥٥/٩ .

صار يحاول تثبيت حفظه بإلقائه على جاريته .

ولقد أثنى العلماء عليه في حفظه وشدة اهتمامه بالعلم ، فمن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير من خبر الإمام الليث بن سعد قال: مارأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ، ولو سمعته يحدث في الترغيب والترهيب لقلت ما يحسن غير هذا ، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب قلت لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الأعراب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بدعا جامعا^(١) .

وقال عنه أيضًا الإمام الليث ابن سعد : وُضِعَ الطست بين يدي ابن شهاب فتذكر حديثا فلم تزل يده في الطست حتى طلع الفجر وصححه^(٢) .

وهذا يدل على استغراق فكره بالعلم إلى الحد الذي يُنسيه

(١) البداية والنهاية ٩/٣٥٦ .

(٢) البداية والنهاية ٩/٣٥٨ .

ماحوله، وبهذا الاهتمام الكبير حوى فكره علما عظيما .
ويقول الإمام الزهري عن نفسه في بيان شدة ملازمته العلماء:
خدمت عبيد الله بن عتبة^(١) حتى إن كان خادمه ليخرج فيقول: من
بالباب؟ فنقول الجارية: غلامك الأعمش، فتظن أني غلامه، وإن
كنت لأخدمه حتى أستقي له وضوءه^(٢) .

من أخبار قتادة السدوسي رحمه الله :

من ذلك مارواه معمر في قوة حفظ الحافظ قتادة بن دعامة
السدوسي ، قال: سمعت قتادة يقول : ما في القرآن آية إلا وقد سمعت
فيها شيئاً ، وقال : ما سمعت شيئاً إلا وحفظته^(٣) .

وكذلك مارواه معمر في ذلك قال : قال قتادة لسعيد بن المسيب:
يا أبا النصر : خذ المصحف فعرض عليه سورة البقرة فلم يُحْطِ فيها

(١) هو الإمام عبيد الله بن عتبة بن مسعود ابن أخ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ،
وكان من أئمة التابعين .

(٢) البداية والنهاية ٣٥٨ / ٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٧١ / ٥ .

حرفاً، فقال : يا أبا النضر أحكمتُ ؟ قال: نعم ، قال: لأنَّنا لصحيفة
جابر أحفظ مني لسورة البقرة ، قال : وكانت قرئت عليه الصحيفة
التي يرويها سليمان الشكري عن جابر^(١) .

وروى الحافظ معمر عن قتادة قال : تكرير الحديث في المجلس
يذهب نوره ، وما قلت لأحد قط : أعد عليّ^(٢) .

من أخبار وكيع بن الجراح رحمه الله :

من الحفاظ الكبار الذين يحفظون آلاف الأحاديث عن ظهر
قلب الإمام الحافظ وكيع بن الجراح الرُّؤاسي ، قال عن نفسه:
مانظرت في كتاب قط منذ خمس عشرة سنة إلا في صحيفة يومًا، فقال
له ابن عمار : عدُّوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها، قال:
وحدثهم بعبادان بنحو من ألف وخمسمائة ، أربعة أحاديث ليست

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٧٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٧٤ .

بكثيرة في ذلك^(١) .

وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل : كان وكيع حافظا حافظا ،

مارأيت مثله^(٢) .

وقال علي بن خشرم : مارأيت بيد وكيع كتابا قط ، إنما هو

حفظ ، فسألته عن أدوية الحفظ فقال : إن علمتك الدواء استعملته؟

قلت : إي والله ، قال : ترك المعاصي ، ماجربت مثله قط^(٣) .

وكذلك أرشد وكيعُ الإمام الشافعي إلى ذلك كما سجله

الشافعي في شعره المشهور :

شكوت إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال : اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يُؤتاه عاصي

وهكذا ألهم الله تعالى هذا الإمام الحافظ وكيعَ بن الجراح إلى هذا

(١) سير أعلام النبلاء ٩/١٤٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/١٤٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٩/١٥١ .

الجواب السديد الذي كان عن علم وتجربة ، فالمعاصي ظلمة في القلب ومشغلة للفكر ، فالْمؤمن إذا صدرت منه المعصية يؤنّبه ضميره المتيقظ بنور الإيمان، ويحاسب نفسه ، ويشغل قسطا من تفكيره في هذا المجال، مما يؤثر على درجة حفظه للعلم، وأهم من ذلك أن العلم النافع توفيق وتسديد من الله تعالى ونور منه ، كما قال وكيع، والله تعالى لا يمنح نوره إلا للطائعين ، وهم الذين يوفقهم الله جل وعلا للتقدم في الحفظ ، والتفوق في العلم .

من أخبار أحمد بن حنبل رحمه الله :

هذا ومن الحفاظ الكبار الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، يقول الحافظ أبو زرعة : حذرت كتب أحمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ، ما كان على ظهر كتاب منها «حديث فلان» ولا في بطنه «حدثنا فلان» كل ذلك كان يحفظه^(١) .

وقال حسن بن مُنَبِّه: سمعت أبا زرعة يقول: أخرج إلي أبو عبد الله أجزاء كلها سفيان سفيان، ليس على حديث منها «حدثنا فلان»، فظننتها

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٨٨ .

عن رجل واحد، فانتخبت منها، فلما قرأ ذلك عليّ جعل يقول: حدثنا وكيع ويحيى، حدثنا فلان، فعجبت ولم أقدر أنا على هذا^(١).
وقال عبد الله بن أحمد: قال لي أبي: خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع من المصنف، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك أنا بالكلام^(٢).
فهذه أمثلة من سعة علم أبي عبد الله الإمام أحمد بن حنبل وقوة حافظته وجودة ذاكرته.

وهذه الكمية الضخمة من المحفوظ لم تتم إلا بعد جهد كبير من التذكر المتواصل والمذاكرة مع الشيوخ والأقران.

من أخبار شعبة بن الحجاج رحمه الله:

كان بعض العلماء يمنعون طلابهم الذين وهبهم الله تعالى قوة في الحفظ من الكتابة كما جاء عن الإمام أبي الوليد الطيالسي أنه قال: بينا أنا أكتب عند شعبة إذ بصر بي فقال: وتكتب؟ فوضعت الألواح

(١) سير أعلام النبلاء ١١/١٨٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/١٨٦.

وجعلت أنظر إليه .

قال الإمام الذهبي: كأنه كره الكتابة لأنه كان قادرًا على أن

يحفظ^(١) .

وهذا توجيه سديد من الحافظ شعبة بن الحجاج لأن الحفظ ثم التذكر ومذاكرة العلماء أقرب إلى فهم السنة والتأثر بها ثم العمل بها، فالنصوص التي تُكتب ولا تحفظ يقل تذكرها ومذاكرتها مع العلماء.

من أخبار علي بن المديني رحمه الله :

من ذلك ما أخرجه الخطيب البغدادي من طريق يعقوب بن سفيان الفسوي قال : حدثني أبو بشر بكر بن خلف قال: قدمت مكة وبها شاب حافظ فكان يذاكرني المسند بطُرُقَه ، فقلت له : من أين لك هذا؟ قال : أُخبرُك ، طلبت إلى علي^(٢) أيام سفيان أن يحدثني بالمسند^(٣) فقال : قد عرفتُ أنك إنما تريد بما تطلب المذاكرة فإن ضمننت لي أنك

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٣٤٣ .

(٢) يعني الإمام علي بن المديني .

(٣) هو مسند علي بن المديني كما يتبين من آخر هذا الخبر .

تذاكر ولا تسميني فعلت ، قال : فضمنت له واختلفت إليه، فجعل يحدثني بذا الذي أذكرك به حفظا .

قال أبو يوسف يعقوب : فذكرت هذا لبعض ولد جويرية بن أسماء ممن كان يلزم عليًا فقال: سمعت عليا يقول : غبت عن البصرة في مخرجي إلى اليمن - أظنه ذكر ثلاث سنين - وأمي حية، قال: فلما قدمت عليها جعلت تقول : يا بُنيَّ فلان لك صديق وفلان لك عدو ، فقلت لها : من أين علمت يا أمه ؟ قالت : كان فلان وفلان - فذكرت فيهم يحيى بن سعيد - يجيئون مسلمين فيعزوني ويقولون : اصبري فلو قد قدم عليك سرَّك الله بما ترين، فعلمت أن هؤلاء محبوبك وأصدقائك ، وفلان وفلان إذا جاؤوا يقولون لي : اكتبني إليه وضيقي عليه وحرّجي عليه ليقدم عليك .

قال : فأخبرني العباس بن عبد العظيم ، أوهذا الذي من ولد جويرية قال قال لي علي : كنت صنفت المسند على الطُّرق مستقصي، وكتبته في قراطيس وصيرته في قمطر كبيرة، وخلفته في المنزل وغبت هذه الغيبة ، فلما قدمت ذهبت يوما لأطالع ماكنت كتبت، قال:

فحركت القمطر فإذا هي ثقيلة رزينة بخلاف ماكانت ففتحتها فإذا الأرضة قد خالطت الكتب فصارت طينا فلم أنشط بعدُ لجمعه^(١) .

ففي هذا الخبر بيان قوة حفظ الإمام علي بن المديني وجوده ذاكرته ، حيث ألف مسندا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبه على الأوراق في الوقت الذي وعاه في ذاكرته، فلما سافر وأكلت دابة الأرض كتابه لم يفقد مسنده لأنه قد اختزنه في ذاكرته، وقام بمذاكرة ذلك الشاب من حفظه ، وهذا يبين لنا الجهد الكبير الذي بذله في حفظ ذلك المسند والاحتفاظ به في ذاكرته ، حيث يحتاج ذلك إلى مراجعة دائمة .

وفي هذا الخبر مواقف :

أولاً : ماكان من الإمام علي بن المديني حينما اشترط على الشاب الذي طلب منه المذاكرة أن لا يذكر اسمه، وهذا مثل في التواضع والتجرد من حظ النفس والبعد عن الرياء، حيث إن الحفظ القوي

(١) تاريخ بغداد ١١/٤٦٢ ، والقمطر الصندوق المصنوع من القصب .

مزلة قدم نحو الإعجاب بالنفس والرياء .

ثانياً : موقف جليل لأصحاب علي بن المديني الذين كانوا يعزُّون أمه في حال غيبته ويُشيدون بهدفة من تلك الرحلة ويبشرونها بالعاقبة الحسنى من سفره ، ومنهم الإمام يحيى بن سعيد القطان رحمهم الله تعالى، وهذا هو المظنون بالعلماء المتقين الذين يعملون بمقاصد علمهم.

ثالثاً : صبر جميل من تلك المرأة الصالحة والدة الإمام علي بن المديني ، حيث صبرت على فراق ولدها تلك المدة الطويلة، وفهمٌ ثاقب منها حيث قدّمت مصلحة ابنها ومصلحة المسلمين على مشاعرها وعواطفها نحو ابنها، وذلك حيث فهمت أن الذين يعزُّونها في سفر ابنها بما سيحصل عليه من العلم النافع هم الأصدقاء المخلصون لولدها، وأن الذين يضحون مصيبتها ويحثونها على استقدام ولدها ليسوا له بأصدقاء وإن أظهروا النصيح والإخلاص .

من أخبار إسحاق بن راهويه رحمه الله :

من العلماء الذين اشتهروا بجودة الحفظ وسرعة التذكر الإمام الحافظ إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي المشهور بابن راهويه^(١) .

ذكر الإمام الذهبي عن أبي داود الحفاف أنه قال : سمعت إسحاق ابن راهويه يقول : لكأني أنظر إلى مئة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفاً أسردها، قال: وأملى علينا إسحاق أحد عشر ألف حديث من حفظه ، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً .
قال الذهبي : هذه الحكاية رواها الحافظ ابن عدي عن يحيى بن زكريا بن حيويه ، سمع أبا داود فذكرها ، فهذا والله الحفظ^(٢) .

(١) لُقّب بذلك لأن أباه ولد في طريق مكة فقالت المرازفة راهويه لأنه ولد في الطريق .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٧٣ .

من أخبار أبي عبد الله البخاري رحمه الله :

من الحفاظ الذين قل أن يوجد لهم نظير الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى ، ومن أخباره في ذلك ما رواه الحافظ الخطيب البغدادي من حديث أبي جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي قال قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث ؟ قال : أُلِّهت حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب ، قال : وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ قال : عشرُ سنين أو أقل ، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره ، وقال يوماً فيما يقرأ للناس : سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ، فقلت له : يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم ، فانتهرني فقلت له : ارجع إلى الأصل إن كان عندك ، فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لي : كيف هو يا غلام ؟ قلت : هو الزبير بن عدي عن إبراهيم ، فأخذ القلم مني وأحكم كتابه ، فقال : صدقت ، فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت إذ رددت عليه ؟ فقال : ابن إحدى عشرة ، فلما طعنت في ست عشرة

سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء^(١)، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقابيلهم، وذلك أيام عبید الله بن موسى، قال: وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة، وقال: قلّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب^(٢).

ففي هذا الخبر بيان لعدد من مواقف أبي عبد الله البخاري العلمية وذلك في خدمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ومما يبين قوة حفظه ودقة فهمه مارواه الخطيب البغدادي من خبر أبي أحمد بن عدي قال : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا

(١) قال الحافظ ابن حجر: يعني أصحاب الرأي - مقدمة الفتح / ٤٧٩ .

(٢) تاريخ بغداد ٦/٢ - ٧ .

وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ، ودفَعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يُلقوا ذلك على البخاري ، وأخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال : لا أعرفه ، فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه ، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم .

ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري: لا أعرفه ، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه ، فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد آخر حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه .

ثم انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة ، والبخاري لايزيدهم على : لأعرفه، فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتم على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك ، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدھا ، وأسانيدھا إلى متونها، فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل ، وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول : الكبش النطّاح^(١) .

ومن المواقف التي تبين تفوق الإمام البخاري في الحفظ والفهم ماأخرجه الخطيب البغدادي من خبر حاشد بن إسماعيل قال: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام

(١) تاريخ بغداد ٢/٢٠ - ٢١ ، سير أعلام النبلاء ١٢ - ٤٠٨ - ٤٠٩ ، والمقصود

بقوله «الكبش النطّاح» العالم المتفوق على غيره في العلم .

فلا يكتب ، حتى أتى على ذلك أيام ، وكنا نقول له : إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معنك فيما تصنع ؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما : إنكما قد أكثرتما علي وألححتما فاعرضا علي ما كتبتما ، فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نُحَكِّمُ كُتُبَنَا على حفظه ، ثم قال : أترون أني أختلف هدرًا وأضيع أيامي ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد .

قال : وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يَعُدُّون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويُجَلِّسُوهُ في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه ، قال : وكان أبو عبد الله عند ذلك شابا لم يخرج وجهه^(١) .

فهذا حافظ الدنيا وإمام أهل الحديث في عصره الإمام البخاري يحفظ في أيام قلائل خمسة عشر ألف حديث ، ولقد كان إلى جانب

(١) تاريخ بغداد ٢ / ١٤ - ١٥ ، سير أعلام النبلاء ١٢ - ٤٠٨ ، وقوله «لم يخرج

وجهه» يعني لم يطلع شعر وجهه .

ما وهبه الله سبحانه من قوة الحافظة وسرعة التذكر يشغل ليله ونهاره في استذكار الأحاديث كما جاء في رواية أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي من خبر محمد بن يوسف الفَرَبْرِي قال : كنت عند محمد بن إسماعيل البخاري بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج، يستذكر أشياء يعلقها في ليلةٍ ثمان عشرة مرة^(١) .

وقد ذكر أبو عبد الله في رواية عنه أفضل طريقة للحفظ وذلك فيما رواه محمد بن أبي حاتم عن النجم بن الفضيل أنه قال للإمام البخاري : هل من دواء يشربه الرجل فينتفع به للحفظ ؟ فقال: لا أعلم ، ثم أقبل عليّ وقال : لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر .

قال : وذاك أنّي كنت بنيسابور مقيماً فكان تردُّ إليّ من بخارى كُتُبٌ ، وكنَّ قراباتٌ لي يُقرئن سلامهن في الكتب فكنت أكتب كتاباً إلى بخارى وأردت أن أقرئن سلامي فذهب عليّ أساميهن حين

(١) تاريخ بغداد ١٤ / ٢ و سير أعلام النبلاء ١٢ - ٤٠٤ .

كتبت كتابي ولم أقرئهن سلامي ، وما أقل ما يذهب عني العلم^(١) .
فقد تبين من كلام الإمام البخاري أن أهم أسباب النجاح في
العلم أن يتوجه المتعلم إليه بكلية فيكون هو الذي يشغل باله فيفكر
فيه حتى وهو على فراش النوم ، فبذلك يثبت في الذاكرة، ويتفتق
الفكر عن المعاني الكثيرة التي تَرِد على الذهن من تركيز الفكر على
القضايا العلمية .

وفي حفظ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى يقول
أبو بكر الكلؤذاني : مارأيت مثل محمد بن إسماعيل ، كان يأخذ
الكتاب من العلماء فيطلع اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الأحاديث
بمرة^(٢) .

وقال سليم بن مجاهد : سمعت أبا الأزهر يقول : كان بسمرقند
أربع مئة ممن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة

(١) سير أعلام النبلاء ١٢-٤٠٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢-٤١٦ .

محمد بن إسماعيل ، فأدخلوا إسناده الشام في إسناده العراق وإسناده اليمن في إسناده الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لافي الإسناد ولا في المتن^(١) .

وهكذا فليكن العلم والحفظ، وإلى علم هذا الإمام وأمثاله يرجع المحققون .

وأخرج الخطيب البغدادي بإسناده عن سليم بن مجاهد قال: كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي : لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث قال: فخرجت في طلبه حتى لقيته فقلت: أنت الذي تقول : أنا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال: نعم وأكثر منه، ولا أجيئك بحديث من الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظاً من كتاب الله

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ - ٤١١ .

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

وقال محمد بن أبي حاتم : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : قال لي محمد بن سلام : انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه ، كي لأرويه ، ففعلت ذلك .

وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل : رضي الفتى ، وفي الأحاديث الضعيفة : لم يرض الفتى ، فقال له بعض أصحابه : من هذا الفتى ؟ فقال : هو الذي ليس مثله ، محمد بن إسماعيل^(٢) .

من أخبار أبي بكر الأثرم رحمه الله :

من ذلك ما ذكر عنه أنه كان قوي الحفظ سريع التذكر ، قال الخلال : وأخبرني أبو بكر بن صدقة : سمعت أبا القاسم بن الخثلي قال : قام رجل فقال : أريد من يكتب لي من كتاب الصلاة ما ليس في

(١) تاريخ بغداد ٢ / ٢٤ - ٢٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٢ / ٢٤ .

كتب أبي بكر بن أبي شيبة ، فقلنا له : ليس لك إلا أبو بكر الأثرم ، قال: فوجَّهوا إليه ورقا ، فكتب ستمائة ورقة من كتاب الصلاة، قال: فنظرنا فإذا ليس في كتاب ابن أبي شيبة منه شيء^(١) .

فهذا مثل على البراعة الفائقة في الحفظ والتذكر، حيث حفظ الحافظ أبوبكر أحمد بن محمد الأثرم هذه الكمية الكثيرة من الأحاديث في كتاب الصلاة وميَّزها عما رواه شيخه أبو بكر ابن أبي شيبة.

من أخبار إسحاق بن بهلول رحمه الله :

من الحفاظ الكبار الحافظ أبو يعقوب إسحاق بن بهلول ومن أخبار حفظه ما ذكر الخطيب البغدادي عن ابن الأزرقي قال: حدثني القاضي أبوطالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول، قال: تذاكرت يوما أنا وأبو محمد بن صاعد ما حدث به جدِّي ببغداد -من حفظه- بأربعين ألف حديث، فقال لي أبو محمد بن صاعد: لا يدري أنيس ما قال: حدث إسحاق بن البهلول من حفظه ببغداد بأكثر من خمسين

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٦٢٥ .

ألف حديث.

وقد ذكر في خبر آخر سبب ذلك وهو أنه لما خاف من الأتراك أن يكبسوا الأنبار انحدر إلى بغداد عَجلاً ولم يحمل معه شيئاً من كتبه، فطالبه محمد بن عبد الله بن طاهر أن يحدث، فحدث ببغداد من حفظه بخمسين ألف حديث لم يخطئ في شيء منها^(١).

فهذا مثل من الحفظ القوي والذاكرة الجيدة، فقد أُلزِم هذا العالم الحافظ أن يحدث بعيداً عن كتبه فحدث بخمسين ألف حديث من حفظه لم يخطئ في شيء منها.

من أخبار أبي عيسى الترمذي رحمه الله :

من الحفاظ الكبار الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى السلمى الترمذي، مصنف « الجامع » أحد الكتب الستة.

قال الحافظ الذهبي : نقل أبو سعد الإدريسي بإسناد له أن أبا عيسى قال : كنت في طريق مكة فكتبت جزأين من حديث شيخ،

(١) تاريخ بغداد ٦/٣٦٨.

فوجدته فسألته وأنا أظن أن الجزأين معي، فسألته فأجابني فإذا معي
جزآن بياض، فبقي يقرأ عليّ من لفظه، فنظر فرأى في يدي ورقا
بياضا، فقال: أما تستحي مني؟ فأعلمته بأمرى وقلت: أحفظه كله،
قال: اقرأ، فقرأته عليه فلم يصدقني وقال: استظهرت قبل أن تجيء،
فقلت: حدثني بغيره، قال: فحدثني بأربعين حديثا، ثم قال: هات،
فأعدتها عليه ما أخطأت في حرف^(١).

وقال أبو سعد الإدريسي: كان أبو عيسى يُضرب به المثل في

الحفظ.

وقال الحاكم: سمعت عمر بن علك يقول: مات البخاري فلم

يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد،

قال: وبكى حتى عمي، وبقي ضريراً سنين^(٢).

وإذا علمنا ما كان عليه الإمام الحافظ أبو عيسى الترمذي من

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٣.

هذا المستوى الرفيع من الحفظ فليس بمستغرب منه أن يؤلف كتابا في الحديث حاز على إعجاب علماء الحديث حتى جعلوه من الكتب الستة الأمهات في هذا العلم ، وأن يؤلف كتاباً مهماً في أعقد باب من أبواب علوم الحديث ، ألا وهو علل الحديث .

من أخبار الحسن بن سفيان رحمه الله :

ممن اشتهر بالحفظ الحافظ الحسن بن سفيان الشيباني، ومن أخبار ذكائه وحفظه الجيد ما ذكره أبو عبد الله الحاكم قال: سمعت محمد بن داود بن سليمان يقول: كنا عند الحسن بن سفيان فدخل ابن خزيمة وأبو عمرو الحيري وأحمد بن علي الرازي، وهم متوجهون إلى فراوة، فقال الرازي: كتبت هذا الطبق من حديثك، قال: هات، فقرأ عليه، ثم أدخل إسنادًا في إسناد، فردّه الحسن، ثم بعد قليل فعل ذلك فردّه الحسن، فلما كان في الثالثة قال له الحسن: ما هذا؟! قد احتملتك مرتين وأنا ابن تسعين سنة فاتق الله في المشايخ فربما استجيبت فيك دعوة، فقال له ابن خزيمة: مه، لا تؤذ الشيخ، قال: إنما أردت أن تعلم أن أبا العباس يعرف حديثه^(١).

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/١٥٩.

من أخبار الحسين النيسابوري وأحمد بن جوصا رحمهما الله :

لقد كان العلماء الحفاظ لقوة حافظتهم وجودة ذاكرتهم يعمرّون مجالسهم بالمذاكرة من الذاكرة ،ومن أمثلة ذلك ما ذكر أبو عمرو النيسابوري الصغير قال: نزلنا خاناً بدمشق العصر، ونحن على أن نبكر إلى ابن جوصا^(١) ، فإذا الخاني يصيح: أين أبو علي الحافظ؟^(٢) فقلت : هاهنا ، قال : قد حضره الشيخ زائراً ، فإذا بأبي الحسن بن جوصا على بغلة فنزل عنها، ثم صعد إلى غرفتنا وسلم على أبي علي ورحب به ، وأخذ في المذاكرة معه إلى قرب العتمة^(٣) ، ثم قال: يا أبا علي جمعت حديث عبد الله بن دينار؟ قال: نعم ، قال: أخرجّه إلي ، فأخرجّه فأخذه الشيخ في كفه وقام .

فلما أصبحنا جاءنا رسوله وحملنا إلى منزله فذاكره أبو علي وانتخب عليه إلى المساء ، ثم انصرفنا إلى رحلنا، وجماعة من الرحالة

(١) هو الإمام الحافظ أبو الحسن أحمد بن عمير بن يوسف ابن جوصا ، محدث الشام .

(٢) يعني الإمام الحافظ أبا علي الحسين بن علي النيسابوري .

(٣) أي صلاة العشاء .

ينتظرون أبا علي فسلموا عليه، ثم ذكروا شأن ابن جوصا وما نقموا عليه من الأحاديث التي أنكروها، وأبو علي يسكتهم ويقول: لا تفعلوا، هذا إمام من أئمة المسلمين، وقد جاز القنطرة^(١).

فهذا اجتماع علمي مهم بين حافظين كبيرين، ولا شك أن هذا الاجتماع وأمثاله يَنْتُج عنه تثبيت المعلومات وإضافة معلومات جديدة.

ولقد كان اعتماد العلماء في تلك العصور على الحفظ عاملاً في حصر الشهرة العلمية في النوابع، الذين يشتهرون بقوة الحفظ وسرعة التذكر، كما كان عاملاً على توجه المتفوقين في الذكاء نحو هذا العلم. ونظرًا لكون العلماء يعتمدون على الحفظ والذاكرة كانت مجالسهم معمورة بالعلم الذي يُستخرج بالذاكرة، أما الذين يعتمدون على التدوين فقط فإنهم لا يستطيعون أن يعمرُوا مجالس المذاكرة.

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/١٧، والمقصود بقوله « جاز القنطرة » أنه قد ارتفع عن مجال النقد وحاز على ثقة العلماء.

من أخبار عبد الرحمن ابن الخُتلي رحمه الله :

من العلماء المشهورين بقوة الحفظ وجودة الذاكرة الحافظ أبو عبد الله عبد الرحمن بن أحمد البغدادي ابن الخُتلي، قال عن حفظه علي ابن المحسن التنوخي : أخبرني أبي قال : دخل إلينا أبو عبد الله الختلي إلى البصرة، وهو صاحب حديثٍ جلد، وكان مشهورًا بالحفظ، فجاء وليس معه شيء من كتبه فحدث شهرًا إلى أن لحقته كتبه، فسمعتة يقول: حدثت بخمسين ألف حديث من حفظي إلى أن لحقتني كتبي^(١).

من أخبار محمد العقيلي رحمه الله :

من الحفاظ المشهورين الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي، يقول عن حفظه مسلمة ابن القاسم الأندلسي : كان العقيلي جليل القدر عظيم الخطر ، مارأيت مثله، وكان كثير التصانيف، فكان من أتاه من المحدثين قال : اقرأ من كتابك ولا يُخرجُ أصله، قال: فتكلمنا في ذلك وقلنا : إما أن يكون من أحفظ الناس وإما أن يكون من

(١) تاريخ بغداد ١٠ / ٢٩٠ .

أكذب الناس، فاجتمعنا فاتفقنا على أن نكتب له أحاديث من روايته ونزيدَ فيها وننقص ، فأتيناه لَنمتحنه فقال لي : اقرأ فقرأتها عليه، فلما أتيت بالزيادة والنقص فطن لذلك فأخذ مني الكتاب وأخذ القلم فأصلحها من حفظه ، فانصرفنا عنه وقد طابت نفوسنا، وعلمنا أنه من أحفظ الناس^(١) .

فهذا مثل من اهتمام طلاب العلم بضبط ما يروونه من سنة رسول الله ﷺ، وقد دفعهم ذلك الاهتمام إلى الجرأة على اختبار الحافظ الناقد أبي جعفر العقيلي فظهر من هذا الاختبار جودة حفظه وإتقانه، وبهذا الحفظ القوي المتقن بلغ ما بلغه من الشهرة العلمية في حفظ السنة إلى جانب علمه الدقيق في رواية الحديث .

من أخبار محمد بن المظفر رحمه الله :

من الحفاظ المشهورين الحافظ أبو الحسن محمد بن المظفر قال أبو ذر الهروي : سمعت ابن أبي الفوارس يقول : سألت ابن المظفر عن

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢٣٧ .

حديث عن الباغندي عن ابن زيد المُنادي عن عمرو بن عاصم عن شعبة ، فقال : ليس هو عندي ، قلت : لعله عندك ؟ قال: لو كان عندي كنت أحفظه، وعندي عن الباغندي مائة ألف حديث ليس عندي هذا^(١) .

فهذا مثال على كثرة الحفظ والإتقان ، فالحافظ ابن المظفر يحفظ عن الباغندي مائة ألف حديث وهي معلومة لديه بدون رجوع إلى كتابه، فقد أنكر نسبة ذلك الحديث إليه عن الباغندي وبيّن أنه ليس من جملة مروياته عنه ، وهذا دليل على القدرة الفائقة على الحفظ والتذكر .

من أخبار أحمد ابن جوصا رحمه الله :

من الحفاظ محدث الشام أبو الحسن أحمد بن عمير ابن جوصا، قال عنه أبو ذر الهروي : سمعت أبا مسعود الدمشقي يقول: جاء

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/٤١٩ .

رجل بغدادى يحفظ إلى ابن جوصا^(١) ، فقال له ابن جوصا: كلما أغربت عليّ حديثا من حديث الشاميين أعطيتك درهما، فلم يزل الرجل يلقي عليه ماشاء الله ولا يغرب عليه ، فاغتمّ ، فقال للرجل: لا تجزع ، وأعطاه لكل حديث ذاكره به درهما ، وكان ابن جوصا ذا مال كثير^(٢) .

وهكذا كان الحافظ ابن جوصا يتمتع بالحفظ القوي والذاكرة السيالة والكرم البالغ ، فقد كانت كل تلك الأحاديث التي ألقاها ذلك العالم البغدادي معروفة عند الحافظ ابن جوصا ، فلم يكن البغدادي يستحق شيئا مما وعده به ، ولكن كرم ابن جوصا الفياض أبى عليه أن يرد ذلك البغدادي منكسر النفس ، فأعطاه من الدراهم بعدد ما ذكره به من الأحاديث .

(١) هو أبو الحسين أحمد بن عمير بن يوسف ابن جوصا .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦/١٥ .

من أخبار علي بن عمر الدارقطني رحمه الله :

من الحفاظ الكبار الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني صاحب المؤلفات النافعة في السنة ، ومن أخبار حفظه ما ذكر الخطيب البغدادي عن الأزهري قال : بلغني أن الدارقطني حضر في حديثه مجلس إسماعيل الصفار ، فجلس ينسخ جزءاً كان معه وإسماعيل يُملي، فقال له بعض الحاضرين : لا يصح سماعك وأنت تنسخ ، فقال له الدارقطني : فهمي للإملاء خلاف فهمك ، ثم قال: تحفظ كم أملي الشيخ من حديث إلى الآن ؟ فقال : لا ، فقال الدارقطني: أملي ثمانية عشر حديثاً ، فعُدَّت الأحاديث فَوُجِدَتْ كما قال: ثم قال أبو الحسن : الحديث الأول منها عن فلان عن فلان ، ومنتنه كذا، والحديث الثاني عن فلان عن فلان ، ومنتنه كذا ، ولم يزل يذكر أسانيد الأحاديث ومتونها في الإملاء حتى أتى على آخرها^(١) .

وهكذا كان حفظ هذا العالم الكبير الذي أصبح من أعلام علماء

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٣٦ .

السنة ، فقد كان مشهورًا بقوة الحفظ وجودة الذاكرة ، وقد ذكر أبو بكر البرقاني أنه أملى عليه كتاب « العلل » من حفظه .

ذكره الإمام الذهبي وقال : إن كان كتاب « العلل » الموجود قد أملاه الدارقطني من حفظه كما دلت عليه هذه الحكاية فهذا أمر عظيم يُقضى به للدارقطني أنه أحفظ أهل الدنيا ، وإن كان قد أملى بعضه من حفظه فهذا ممكن^(١) .

خبر الحاكم مع بديع الزمان الهمذاني رحمهما الله :

هذا وإن حفظ الأحاديث بأسانيد المتعددة ليس بالأمر اليسير بل هو من أشق المواد وأصعبها، ومما يبين صعوبة هذه المادة ما ذكره الحافظ الذهبي عن سعد بن علي الزنجاني أنه سمع أبا نصر الوائلي يقول: لما ورد أبو الفضل الهمذاني نيسابور تعصبوا له ولقبوه بديع الزمان، فأعجب بنفسه إذ كان يحفظ المائة بيت إذا أنشدت مرة ، وينشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة ، فأنكر على الناس قولهم : فلان

(١) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٤٥٥ .

الحافظ في الحديث ، ثم قال : وحفظُ الحديث مما يُذكر؟! فسمع به الحاكم ابن البيّح^(١) فوجه إليه بجزء ، وأجلّ له جمعة في حفظه، فردّ إليه الجزء بعد الجمعة وقال : من يحفظ هذا؟ محمد بن فلان وجعفر ابن فلان عن فلان؟ أسامي مختلفة وألفاظ متباينة؟ فقال له الحاكم : فاعرف نفسك واعلم أن هذا الحديث أصعب مما أنت فيه^(٢) .

فهذا دليل على أن حفظ الأسانيد صعب للغاية ، ولا يائثله شيء في الصعوبة ، فبديع الزمان الهمذاني الذي يحفظ القصيدة المكوّنة من مائة بيت بسماعها أول مرة ويعيدها مقلوبة لم يستطع أن يحفظ جزءاً في الحديث مع إمهال أبي عبد الله الحاكم له مدة أسبوع ، ولقد كان الحاكم خبيراً بهذا العلم حينما تحدى ذلك الأديب الذي استهان بحفظ الأحاديث ، فأعلن بعد ذلك عجزه عن حفظ الأسانيد، وإذا كان قد عجز عن حفظ جزء واحد ، والجزء كما هو معروف في

(١) هو أبو عبد الله الحاكم صاحب المستدرک .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧/١٧٣ .

الغالب عشرون ورقة ، فكيف بالعلماء الذين يحفظون مئات الأجزاء
ومئات الألوف من الأحاديث!؟

ولاشك أن حفظ الأحاديث بأسانيدھا في غاية الصعوبة، ولكنه
يسهل على طالب العلم بمعونة الله تعالى مع إخلاص النية وصدق
التوجه نحو العلم .

من أخبار أبي نصر علي ابن ماکولا رحمه الله :

من الحفاظ الكبار الذين لهم إسهام في التأليف في علوم الحديث
الأمير الحافظ أبو نصر علي بن هبة الله ابن ماکولا وقد ذكر في حفظه
هبة الله بن المبارك بن الدّواتي قال : اجتمعتُ بالأمير ابن ماکولا فقال
لي : خذ جزأين من الحديث فاجعل متون هذا لأسانيد هذا ومتون
الثاني لأسانيد الأول ، حتى أردھا إلى الحالة الأولى^(١) .
وهذا دليل على التمكن في الحفظ وسرعة التذكر .

(١) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٥٧٥ .

من أخبار القاسم الشاطبي رحمه الله :

من كبار الحفاظ الذين اشتهروا بالتأليف في العلوم الإسلامية المتنوعة الإمام سيد القراء القاسم الشاطبي وقد ذكروا من قوة حفظه وجودة ذاكرته أنه إذا قرئ عليه « الموطأ » و« الصحيحان » يصحح النسخ من حفظه ، حتى كان يقال : إنه يحفظ وقر بعير من العلوم^(١) .

من أخبار أبي زرعة الرازي وسليمان الشاذكوني رحمهما الله :

من ذلك ما أخرجه الخطيب البغدادي من حديث أبي عثمان سعيد بن عمرو قال : سمعت أبا زرعة الرازي يقول : دخلت البصرة فصرت إلى سليمان الشاذكوني يوم الجمعة وهو يحدث ، وهو أول مجلس جلست إليه ، فقال : حدثنا يزيد بن زريع عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن جابر عن النبي ﷺ « ما من رجل يموت له ثلاثة من الولد فتمسَّه النار إلا تحلته القسم » فقلت للمستملي : ليس هذا من حديث عاصم بن عمر ، إنما هذا رواه

(١) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٢٦٤ .

محمد بن إبراهيم ، فقال له ، فرجع إلى محمد بن إبراهيم .

قال : وذكر في هذا المجلس أيضا فقال : حدثنا ابن أبي غنية عن أبيه عن سعد بن إبراهيم عن نافع بن جبير عن أبيه أنه قال : « لا حلف في الإسلام » قال : فقلت : هذا وهم ، وهم فيه إسحاق بن سليمان ، وإنما هو سعد بن إبراهيم عن أبيه عن جبير ، قال : فغضب ثم قال لي : ماتقول فيمن جعل الأذان مكان الإقامة ؟ قلت : يعيد ، قال : من قال هذا ؟ قلت : الشعبي ، قال : من عن الشعبي ؟ قلت : حدثنا قبيصة عن سفيان عن جابر عن الشعبي ، قال : ومن غير هذا ؟ قلت : إبراهيم ، قال : من عن إبراهيم ؟ قلت : حدثنا أبو نعيم حدثنا منصور بن أبي الأسود عن مغيرة عن إبراهيم ، قال : أخطأت ، قلت : حدثنا أبو نعيم حدثنا جعفر الأحمر عن مغيرة عن إبراهيم ، قال : أخطأت ، قلت : حدثنا أبو نعيم حدثنا أبو كدينة عن مغيرة عن إبراهيم ، قال : أصبت .

قال أبو زرعة : كتبت هذه الأحاديث الثلاثة عن أبي نعيم فما طالعتها منذ كتبتها فاشتبه عليّ ، ثم قال : وأي شيء غير هذا ؟ قلت : معاذ بن هشام عن أشعث عن الحسن ، قال : هذا سرقة مني -

وصدق - كان ذاكرني به رجل ببغداد فحفظته عنه^(١) .

فهذا مثال على غزارة العلم وقوة الحفظ، وسرعة استحضار المعلومات عند البارزين من علماء السلف ، فقد كانوا يحفظون متون الأحاديث بأسانيد المتعددة فإذا سمع الحافظ منهم المحدث وأخطأ في اسم راو من الرواة أدرك ذلك حالاً واستدركه عليه ، وعلى هذا جرت هذه المحاور العلمية بين هذين الحافظين أبي زرعة الرازي وسليمان الشاذكوني .

إن حفظ المتون وحدها يحتاج إلى جهد في الحفظ والاستدكار، فكيف بحفظ الأسانيد التي تتشابه كثيراً .

وبهذا الجهد العظيم حفظ العلماء رحمهم الله تعالى سنة رسول الله

ﷺ وسيرته .

(١) تاريخ بغداد ١٠/٢٢٩ - ٢٣٠ .

من أخبار محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله :

من ذلك ما ذكره أبو العباس الدَّغُولِي سمعت صالح بن محمد الحافظ يقول: دخلت الرِّيَّ ، وكان فَضْلَكَ^(١) يذاكرني حديث شعبة، فألقى عليَّ لشعبة عن عبد الله بن صُبَيْح عن ابن سيرين عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: « هذا خالي فليُرني امرؤ خاله»^(٢)، فلم أحفظ^(٣)، فقال فضلك: أنا أفيدكه، إذا دخلت نيسابور ترى شيخا حسن الشيب حسن الوجه راكبا حمارا مصريا حسن اللباس فإذا رأيتَه فاعلم أنه

(١) هو فضلك الصائغ واسمه الفضل بن العباس الرازي .

(٢) أخرجه الإمام الترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال : أقبل سعد فقال النبي ﷺ : « هذا خالي فليُرني امرؤ خاله » وقال : حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث مجالد - سنن الترمذي ، المناقب ، مناقب سعد بن أبي وقاص ، رقم (٣٧٥٢) وقال الترمذي : وكان سعد بن أبي وقاص من بني زهرة ، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة، ولذلك قال النبي ﷺ : « هذا خالي » .
وأخرجه الحاكم من حديث جابر رضي الله عنه وصححه وأقره الذهبي -
المستدرک ٣ / ٤٩٨ - .

(٣) يعني لم يحفظ إسناده .

محمد بن يحيى فسله عن هذا، فهو عنده عن سعيد بن واصل عن
شعبة ، فلما دخلت نيسابور استقبلني شيخ بهذا الوصف، فقلت :
يشبه أن يكون ، فسألت عنه فقالوا : هو محمد بن يحيى فتبعته إلى أن
نزل فسلمت عليه وأخبرته بقصدي إياه ، فنزلت في مسجده وكتبت
مجلسا من أصوله ، فلما خرج وصلى قرأته عليه، ثم قلت : حدثكم
سعيد بن عامر عن شعبة، فذكرت الحديث فقال لي: يا فتى من ينتخب
هذا الانتخاب ويقرأ هذه القراءة يعلم أن سعيد بن عامر لا يحدث عن
شعبة بمثل هذا الحديث، فقلت : نعم أيها الشيخ حدثكم سعيد بن
واصل ؟ فقال : نعم^(١) .

فهذا مثال على حفظ الإمام محمد بن يحيى الذهلي ومعرفته
برجال الحديث ، فقد أدرك ذلك الخطأ في إسناد الحديث . كما أورده
السائل .

وهكذا فليكن الحفظ والعلم .

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٧٧ .

وفي هذا الخبر بيان حرص طلاب العلم على حفظ الأحاديث
بأسانيدها العالية ، فقد رحل صالح بن محمد الحافظ إلى نيسابور من
أجل أن يسمع هذا الحديث عاليا عن محمد بن يحيى .

من أخبار عبد الله بن بكير رحمه الله :

من ذلك ما أخرجه الخطيب البغدادي من حديث أبي القاسم الأزهري قال : كنت أحضر عند عبد الله بن بكير وبين يديه أجزاء كبار قد خرّج فيها أحاديث ، فأنظر في بعضها، فيقول لي : أيها أحب إليك تذكر لي متن ماتريد من هذه الأحاديث حتى أخبرك بإسناده أو تذكر إسناده حتى أخبرك بمتنه ؟ فكنت أذكر له المتون فيحدثني بالأسانيد من حفظه كما هي في كتابه ، وفعلت هذا معه مرارا كثيرة .

قال إسحاق بن يسار النصيبي : وقال لي الأزهري : كان أبو

عبدالله بن بكير ثقة فحسدوه فتكلموا فيه ^(١) .

فهذا الخبر يدل على قوة حفظ الحافظ عبد الله بن بكير وجودة

ذاكرته .

(١) تاريخ بغداد ٨/١٣-١٤ .

خبر في بيان أهمية المذاكرة :

من أسباب تمتع بعض العلماء بحفظهم واستمساكهم بما في ذاكرتهم كثرة مذاكرة العلم وتذكره ، وفي ذلك يقول الحافظ أبو زرعة: إذا مرضت شهراً أو شهرين تبين عليّ في حفظ القرآن، وأما الحديث فإذا تركت أياماً تبين عليك ، ثم قال أبو زرعة : نرى أقواماً من أصحابنا كتبوا الحديث تركوا المجالسة منذ عشرين سنة أو أقل، إذا جلسوا اليوم مع الأحداث كأنهم لا يعرفون أولاً يحسنون الحديث^(١).

فهذا خبر مهم في بيان سبب حفظ العلماء لعدد كبير من الأحاديث واحتفاظهم به طول عمرهم ، فقد كانوا يتعاهدون حفظهم للسنّة كما يتعاهدون حفظهم للقرآن، وإذا تصورنا أن الواحد من هؤلاء الحفاظ يحفظ عشرات الألوف من الأحاديث مع القرآن فأى جهد كانوا يبذلونه في الحفظ والاستذكار لتثبيت حفظهم !

(١) سير أعلام النبلاء ٧٩/١٣ .

من أخبار أبي بكر الأنباري رحمه الله :

من أخبار سياسة العلماء أنفسهم بالحزم والجد حتى يبقوا على قوة الحفظ وجودة الذاكرة ما ذكره القاضي أبو يعلى عن محمد بن جعفر التميمي النحوي قال: قال أبو الحسن العروضي : اجتمعت أنا وأبوبكر بن الأنباري^(١) عند الرازي على الطعام، وكان قد عرف الطباخ ما يأكل أبو بكر فكان يسوي له قليّة يابسة، قال: فأكلنا نحن من ألوان الطعام وأطايبه وهو يعالج تلك القلية، ثم فرغنا وأتينا بحلواء فلم يأكل منها شيئاً ، وقام وقمنا إلى الحيس، وقمنا إلى حيس ماء نشربه، ولم يشرب إلى العصر فلما كان من العصر قال للغلام : الوظيفة، فجاءه بماء من الحب^(٢) ، وترك الماء المزمّل بالثلج، فغاضني أمره فصحت صيحة ، فأمر أمير المؤمنين بإحضاري وقال: ما قصتك ؟ فأخبرته وقلت: هذا يا أمير المؤمنين يحتاج إلى أن يحال بينه وبين تدبير نفسه لأنه

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد الأنباري .

(٢) الحبُّ إناء من الفخار يبرد به الماء .

يقتلها ولا يحسن عشرتها، قال: فضحك وقال: له في هذا لذة وقد جرت به العادة فصار إلفا فلن يضره، ثم قلت: يا أبا بكر لم تفعل هذا بنفسك؟ قال: أبقى على حفظي، فقلت له: قد أكثر الناس في حفظك فكم تحفظ؟ قال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقا، قال محمد ابن جعفر التميمي النحوي: وهذا مالا يحفظ لأحد قبله ولا بعده، وكان أحفظ الناس للغة ونحو وشعر وتفسير وقرآن، فحدث أنه كان يحفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها^(١).

ففي هذا الخبر دلالة على اهتمام العلماء بحفظ العلم والاحتفاظ به في الذاكرة، وإذا تعارض ذلك - في نظرهم - مع التمتع بأنواع الطعام فإنهم يقللون من الطعام من أجل الاحتفاظ بقوة الحفظ وجودة الذاكرة، فهذا ابن الأنباري يتجنب أطيب الطعام والماء المثلج ليحفظ بحفظه، وهذه النتيجة التي استظهرها من تصرفه هذا قد تكون مما نصح به بعض الأطباء وقد تكون مما عرفه العلماء بتجارهم.

(١) طبقات الحنابلة ٢/ ٧٠.

من أخبار أبي بكر بن أبي داود رحمه الله :

من ذلك ما أخرجه الخطيب البغدادي عن أبي القاسم الأزهري قال: سمعت أحمد بن إبراهيم بن شاذان يقول - في المذاكرة - : خرج أبو بكر بن أبي داود إلى سجستان في أيام عمرو بن الليث، فاجتمع إليه أصحاب الحديث، وسألوه أن يحدثهم فأبى وقال: ليس معي كتاب، فقالوا له: ابن أبي داود وكتاب؟ قال أبو بكر: فأثاروني، فأملت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي، فلما قدمت بغداد قال البغداديون: مضى ابن أبي داود إلى سجستان ولعب بالناس، ثم فَيَجُوا فَيَجَا^(١) أكثره بسة دنانير إلى سجستان ليكتب لهم النسخة فكتبت، وجرى بها إلى بغداد وعرضت على الحفاظ بها فخطووني في ستة أحاديث، منها ثلاثة حدثت بها كما حدثت وثلاثة أحاديث أخطأت فيها^(٢).

(١) أي أرسلوا جماعة من الناس.

(٢) تاريخ بغداد ٤٦٦/٩.

فهذا مثل من الحفظ القوي والذاكرة الحية، فقد أُجِئ هذا الحافظ أبو بكر بن أبي داود إلى التحديث من حفظه فحدث بثلاثين ألف حديث، جاءت على الصواب ماعدا ثلاثة أحاديث أخطأ فيها وخالف كتابه.

وإذا نسبنا ثلاثة أحاديث إلى ثلاثين ألف حديث فإنها تُعدُّ لاشيء .

وما جاء في هذا الخبر من اهتمام الحفاظ ببغداد بهذا الأمر يدل على يقظة علماء الحديث وتحريمهم البالغ للإتقان في أداء السنة النبوية، ورقابتهم الشديدة على معاصريهم حتى لا يكون هناك تهاون في الأداء يُحمل على كثرة الوقوع في الخطأ ، فقد بذل هؤلاء العلماء من أموالهم، وأرسلوا وفدا من طلاب العلم لينسخوا الأحاديث التي أملاها الحافظ ابن أبي داود من حفظه حتى يعرضوها على كتابه الأصلي فيصححوا الخطأ للناس إن وجد ، ولكن لم يوجد خطأ منه إلا في هذا العدد القليل جدا مع كثرة ما روى من حفظه، ونجح في الاختبار الصعب الذي فرضه عليه علماء الحديث .

إن هذا الاهتمام البالغ في ضمان الدقة في أداء الحديث النبوي يجعل ضعاف الإيمان يُجمون عن الدخول فيما لا يحسنون ، والتقول بلا علم ، أو التهاون في ضبط ما علموا ، وهذا من أسباب ضبط السنة النبوية على مر العصور .

من أخبار أحمد بن عقدة رحمه الله :

من الحفاظ المشهورين الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد ابن عقدة الكوفي ، أخرج الخطيب البغدادي بإسناده عن أبي إسحاق الطبري قال : سمعت ابن الجعابي يقول : دخل ابن عقدة بغداد ثلاث دفعات ، فسمع في الدفعة الأولى من إسماعيل القاضي ونحوه، ودخل الثانية في حياة ابن منيع ، وطلب مني شيئاً من حديث يحيى بن صاعد وسألته أن يدفع إليّ شيئاً من حديثه لأحمله لابن عقدة، فدفع إليّ مسند علي بن أبي طالب ، فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي : كيف دفع إليّ هذا وابن عقدة أعرف الناس به مع اتساعه في حديث الكوفيين !

وحملته إلى ابن عقدة فنظر فيه ثم رده علي، فقلت : أيها الشيخ هل فيه شيء يُستغرب ؟ فقال : نعم فيه حديث خطأ، فقلت: أخبرني

به ، فقال : والله لأُعرِّفَنَّكَ ذلك حتى أجاوز قنطرة الياسرية ، وكان يخاف من أصحاب ابن صاعد، فطالت عليّ الأيام انتظاراً لوعده ، فلما خرج إلى الكوفة سرت معه ، فلما أردت مفارقتة قلت: وعدك؟ فقال: نعم الحديث عن أبي سعيد الأشج عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، ومتى سمع منه ؟ وإنما وُلد أبو سعيدٍ في الليلة التي مات فيها يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، فودَّعته وجئت إلى ابن صاعد فقلت له : وُلد أبو سعيد الأشج في الليلة التي مات فيها يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ؟ فقال : كذا يقولون : فقلت له : في كتابك حديث عن الأشج عنه فما حاله ؟ فقال : عرَّفك ذلك ابن عقده ؟ فقلت: نعم .

قال : ثم رجع يحيى إلى الأصول فوجد الحديث عنده على الصواب، أو كما قال ^(١) .

فهذا مثل على قوة الحفظ وسرعة التذكر والخبرة الدقيقة في تاريخ الرجال وعلل الأسانيد، فالإسناد الذي انتقده ابن عقدة فيه

(١) تاريخ بغداد ١٨/٥ - ١٩ .

علة خفية وهي استحالة سماع أبي سعيد الأشج من يحيى بن زكريا لكونه وُلد في الليلة التي توفي فيها يحيى ، ومثل هذه العلة الخفية لا يدركها على البديهة إلا أفذاذ العلماء .

ولقد استفاد يحيى بن صاعد من هذا النقد الجيد فأصلح كتابه، وكمّل النقص الذي كان في الإسناد .

ومما ذكر من أخبار حفظ ابن عقدة ما أخرجه الخطيب البغدادي من حديث القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي - من حفظه- قال: سمعت أبا الحسن محمد بن عمر العلوي يقول: كانت الرئاسة بالكوفة في بني الفدّان قبلنا ، ثم فشت رئاسة بني عبيد الله ، فعزم أبي علي قتالهم وجمع الجموع ، فدخل إليه أبو العباس بن عقدة وقد جمع جزءاً فيه ست وثلاثون ورقة ، فيها حديث كثير لأحفظ قدره في صلة الرحم عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أهل البيت وعن أصحاب الحديث، فاستعظم أبي ذلك واستنكره ، فقال له : ياأبا العباس بلغني من حفظك للحديث مااستنكرته واستكثرتَه فكم تحفظ ؟ فقال له : أنا أحفظ منسّقاً من الحديث بالأسانيد والمتون

خمسين ومائتي ألف حديث، وأذاكر بالأسانيد وبعض المتون والمراسيل والمقاطع ستمائة ألف حديث^(١).

فهذا مثال على قوة الحفظ وسعته ، وقد قارب ابن عقدة كبار الحفاظ المشهورين من أمثال سفيان الثوري وأحمد بن حنبل والبخاري وإسحاق بن راهويه .

وقد استفاد هذا الحافظ من سعة حفظه وأفاد طلاب العلم كثيراً، وكان ممن استفاد منه رئيس العلويين بالكوفة في زمنه ، حيث كان عازماً على قتال الطائفة الذين نازعواهم رئاسة الكوفة، فتأثر بسماع الأحاديث والآثار الكثيرة التي أوردها عليه ابن عقدة في موضوع صلة الرحم، فكف عن عزمه ذلك وحقن دماء المسلمين . وهكذا ينبغي للعالم أن يكون عنده في كل موضوع مادة كثيرة، وأن يحسن عرضها على من أراد دعوته ، فإن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الشفاء من جميع أمراض القلوب.

(١) تاريخ بغداد ١٧/٥ .

من أخبار محمد بن عبد الواحد الزاهد رحمه الله :

من اشتهروا بجودة الحفظ والذاكرة العلامة اللغوي المحدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد ، ومن أخباره في ذلك ما ذكر الخطيب البغدادي : أنَّ أبا عمر الزاهد كان يؤدب ولد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، فأملى يوماً على الغلام نحوًا من ثلاثين مسألةً في اللغة وذكر غريبها وختمها بيتين من الشعر، وحضر أبو بكر بن دريد وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو بكر بن مقسم عند أبي عمر القاضي، فعرض عليهم تلك المسائل فما عرفوا منها شيئًا وأنكروا الشعر فقال لهم القاضي : ماتقولون فيها ؟ فقال له ابن الأنباري : أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن ولست أقول شيئًا ، وقال ابن مقسم في ذلك ، واحتج باشتغاله بالقراءات، وقال ابن دريد : هذه المسائل من موضوعات أبي عمر ولا أصل لشيء منها في اللغة ، وانصرفوا .

وبلغ أبا عمر ذلك فاجتمع مع القاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عيَّنهم له، ففتح القاضي خزائنه وأخرج له تلك الدواوين، فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كل مسألة ويخرج لها

شاهدا من بعض تلك الدواوين ، ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميعها، ثم قال : وهذان البيتان أنشدناهما ثعلب بحضرة القاضي وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلاني، فأحضر القاضي الكتاب فوجد البيتين على ظهره بخطه كما ذكر أبو عمر ، فانتهت القصة إلى ابن دريد فلم يذكر أبا عمر بلفظة حتى مات^(١) .

فهذا الخبر يدل على عمق أبي عمر الزاهد في اللغة والأدب وسرعة استحضار المعلومات، ومع ذلك لم يشتهر في التاريخ ! فما أكثر العظماء في مختلف الفنون الذين طواهم التاريخ فلم يكن لهم ذكر إلا في عصرهم .

من أخبار أبي عبد الله الحاكم والخليل بن عبد الله رحمها الله :

من الحوار الجيد الذي يدل على اتساع المعرفة لدى الشيوخ والتلاميذ الحوار الذي جرى بين أبي عبد الله الحاكم وتلميذه الخليل ابن عبد الله الحافظ ، قال الخليل بن عبد الله : وسألني - يعني شيخه

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٣٥٨ .

الحاكم - في اليوم الثاني لما دخلت عليه ، ويُقرأ عليه في فوائد
العراقيين فقال : سفيان الثوري عن أبي سلمة عن الزهري عن
سهل ... حديث الاستئذان ! فقال لي : من أبو سلمة هذا؟ فقلت من
وقتي : المغيرة بن مسلم السراج ، قال: وكيف يروي المغيرة عن
الزهري ؟ فبقيت^(١) ، ثم قال لي : قد أمهلتك أسبوعا حتى تتفكر فيه،
قال: فتفكرت ليلتي حتى بقيت أكرر التفكير، فلما وقعت إلى أصحاب
الجزيرة من أصحاب الزهري تذكرت محمد بن أبي حفصة فإذا كنيته
أبو سلمة ، فلما أصبحت حضرت مجلسه، ولم أذكر شيئا حتى قرأت
عليه نحو مائة حديث، قال : هل تفكرت فيما جرى؟ فقلت: نعم هو
محمد بن أبي حفصة ، فتعجب وقال لي : نظرت في حديث سفيان لأبي
عمرو البحيري ؟ فقلت : لا ، وذكرت له ماأمت في ذلك ، فتحير
وأثنى علي^(٢) .

(١) أي انقطعت عن الكلام .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧/١٦٦ - ١٦٧ .

فهذا الخبر يدل على علم أبي عبد الله الحاكم بالرواية ، وفيه تعليم جيد لتلميذه الخليل بن عبد الله حيث جرى الحوار بينهما في اسم أبي سلمة الراوي عن الزهري ، فأمهله أسبوعاً ليعرفه بالدراسة والتأمل ، وقد عرفه الخليل بن عبد الله بطريقة تدل على ذكاء وخبرة علمية ، حيث بحث عن مواطن الشيوخ فحصر أسماء الرواة الذين يروون عن الإمام الزهري من أهل الجزيرة فوجد محمد بن أبي حفصة هو الذي يكنى بأبي سلمة فأخبر به شيخه الحاكم ، وتعجب شيخه من مقدرته العلمية ، حيث عرف اسم الراوي بدون رجوع إلى الكتب التي صرّحتْ باسم صاحب الكنية ، وإنما عرف ذلك بتتبع أسماء تلاميذ الزهري من أصحاب الجزيرة حتى عثر على من يكنى بهذه الكنية ، وكان ذلك باستعراض الذاكرة ، كما يفهم من الخبر .

من أخبار عبد الغني المقدسي رحمه الله :

لقد كان العلماء حريصين على حفظ السنة النبوية ومعرفة محتويات كتبها ، ومن أخبارهم في ذلك ما ذكره الحافظ ضياء الدين المقدسي في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي قال: وسمعت شيخنا

الحافظ عبد الغني يقول : كنت يوماً بأصبهان عند الحافظ أبي موسى فجرى بيني وبين بعض الحاضرين منازعة في حديث فقال: هو في صحيح البخاري فقلت : ليس هو فيه ، قال : فكتب الحديث في رقعة ورفعتها إلى الحافظ أبي موسى يسأله عنه ، قال : فناولني الحافظ الرقعة وقال : ماتقول هل هذا الحديث في البخاري أم لا ، قلت : لا، قال : فخجل الرجل وسكت ^(١) .

فهذا مثل لحفظ السنة والخبرة بكتبها، كما أنه مثل على تواضع العلماء لأهل العلم وإن كانوا بمنزلة التلاميذ، فالحافظ أبو موسى لم يستنكف من أن يسأل تلميذه الحافظ عبد الغني عن الحديث المذكور، وفي سؤاله إياه أمام الناس رفع من شأن أهل التقدم في العلم، وقد كان يعلم تفوق الحافظ عبد الغني المقدسي في حفظ السنة . ولقد كان الحافظ عبد الغني المقدسي يحفظ الأحاديث بأسانيدها ومتونها ، قال عنه الضياء المقدسي : وشاهدت الحافظ غير مرة بجامع

(١) ذكره الحافظ ابن رجب في طبقات الحنابلة ٧/٤ .

دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المنبر : اقرأ لنا أحاديث من غير أجزاء فيقرأ الأحاديث بأسانيدھا عن ظهر قلبه .

قال : وسمعت أبا طاهر ابن إسماعيل بن ظفر النابلسي يقول :

جاء رجل إلى الحافظ - يعني عبد الغني - فقال : رجل حلف

بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث ، قال : لو قال أكثر لصدق ^(١) .

وكان يحدث أحيانا من حفظه، وأحيانا يحدث من كتابه تورعا

خشية مداخلة العجب لنفسه، قال ابنه عبد الرحمن : سمعت بعض

أهلنا يقول : إن الحافظ سئل : لم لا تقرأ من غير كتاب ؟ قال : أخاف

العجب ^(٢) .

وهذا مثل من الحزم الرشيد في سياسة النفس وصيانتها عن

مواطن الزلل ، فإن الإعجاب بالنفس والتطلع إلى الجاه العلمي

الرفيع والسمعة العالية مرض وييل يحيل العمل من الصلاح إلى

(١) طبقات الحنابلة ٧/٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٢١ .

الفساد، فكان هذا الإمام حصيف الرأي سديد الفكر حينما التزم
بالقراءة من كتابه مع كونه يحفظ ما فيه .

من أخبار محمد اليونيني رحمه الله :

من أمثلة استيعاب العلماء دقائق ما في كتب السنة ما ذكره الحافظ ابن رجب نقلا عن الحافظ الذهبي قال: ولما قدم الملك الكامل على أخيه الأشرف جعل الأشرف يذكر للكامل محاسن الشيخ الفقيه^(١) فقال: أشتي أن أراه، فأرسل إليه إلى بعلبك بطاقة فاستحضره، فوصل إلى دمشق، فنزل الكامل إليه وتحادثا بدار السعادة وتذاكرا شيئا من العلم .

فذكروا مسألة القتل بالثقل ، وجرى ذكر حديث الجارية التي قتلها اليهودي فرض رأسها بين حجرين فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله، فقال الملك الكامل : إنه لم يعترف ، فقال الشيخ الفقيه : في صحيح مسلم « فاعترف » فقال الكامل: أنا اختصرت صحيح مسلم ولم أجد هذا فيه ، فقال : بلى ، فأرسل الكامل فأحضر

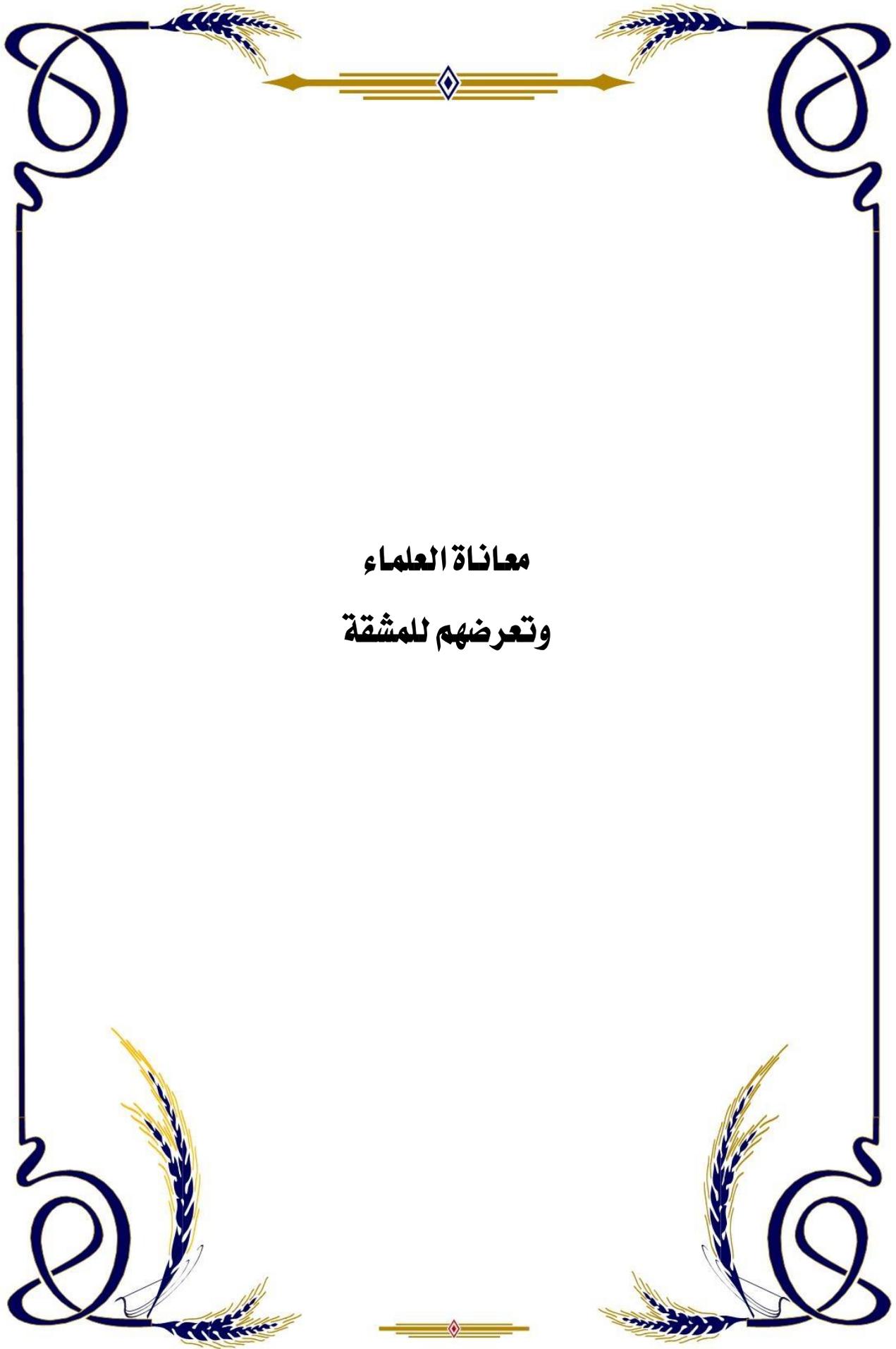
(١) هو أبو عبد الله تقي الدين محمد بن أحمد اليونيني ، والكامل هو محمد بن محمد

الأيوبي ، والأشرف هو موسى بن محمد الأيوبي .

اختصاره لمسلم في خمسة مجلدات ، فأخذ الكامل مجلدا والأشرف آخر
وعماد الدين بن موسك آخر ، وأخذ الشيخ الفقيه مجلدا ، فأول
مافتحه وجد الحديث كما قال : فتعجب الكامل من سرعة استحضاره
وسرعة كشفه ، وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية ، فأرسله
الأشرف سريعا إلى بعلبك ، فقال الكامل : إنه لا يؤثر بعلبك شيئا ،
فأرسل الكامل إليه ذهباً كثيرا ^(١) .

فهذا مثال على اهتمام العلماء الكبير بالسنة ، فقد كانوا يعلمون
محتويات كتبها ومواضع الأحاديث فيها لكثرة اشتغالهم بها .
وموقف يُذكر للأمير الكامل وأخيه الأشرف لاهتمامهما
بالعلماء ، كما يُذكر للكامل اهتمامه بالسنة الذي دفعه إلى اختصار
صحيح مسلم مما يدل على صلاحه .

(١) طبقات الحنابلة ٤ / ٢٧١ .



**معاناة العلماء
وتعرضهم للمشقة**

هذا الموضوع يدور حول عرض صور من مواقف العلماء رحمهم الله تعالى في الصبر الجميل على ألوان الشدة والمعاناة التي واجهوها في أثناء طلب العلم .

موقف للحافظ أبي حاتم رحمه الله :

ذلك فيما ذكره الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : سمعت أبي يقول : بقيتُ بالبصرة في سنة أربع وعشرين ومائتين ثمانية أشهر ، وكان في نفسي أن أقيم سنة ، فانقطعتُ نفقتي فجعلت أبيع ثياب بدني شيئاً بعد شيء حتى بقيت بلا نفقة ، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة، وأسمع منها إلى المساء ، فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خال ، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت من الغد وغدا عليّ رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، فانصرف عني وانصرفت جائعا ، فلما كان من الغد غدا عليّ فقال: مُرّ بنا إلى المشايخ، قلت: أنا ضعيف لا يمكنني ، قال: ماضعفك ؟ قلت : لا أكتمك أمري قد مضى عليّ يومان ما طعمت فيهما شيئاً ، فقال لي : قد بقي معي دينار فأنا أواسيك بنصفه ونجعل النصف الآخر في

الكراء ، فخرجنا من البصرة ، وقبضت منه النصف دينار^(١) .
ففي هذا الخبر نجد أن الحافظ أبا حاتم محمد بن إدريس الرازي
يصبر على حر الجوع من أجل طلب العلم ، وقد كان بإمكانه أن يعمل
بعض الوقت في طلب الرزق ولكنه لا يريد أن يصرف شيئاً من وقته
في غير العلم .

ونجد في هذا الخبر صورة من التراحم والتعاطف والأخوة
الصادقة بين طلاب العلم ، فقد كان صاحبه لا يملك غير دينار واحد
فأعطاه نصفه وجعل النصف الآخر لأجرة انتقالهما إلى بغداد.

موقف لأبي حاتم وصاحبيه رحمهما الله :

من صور المعاناة ما ذكر عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال:
سمعت أبي يقول : لما خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا
إلى الجار^(٢) وركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفس، أبو زهير المرورؤذي -

(١) الجرح والتعديل ١/ ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٢) هو ميناء المدينة قديماً ، وهو الآن قرب مدينة « ينبع » .

شيخ - وآخر نيسابوري ، فركبنا البحر وكانت الريح في وجوهنا
فبقينا في البحر ثلاثة أشهر ، وضائق صدورنا ، وفني ماكان معنا من
الزاد ، وبقيت بقية ، فخرجنا إلى البر فجعلنا نمشي أياما حتى فني ما
كان معنا من الزاد والماء ، فمشينا يوما وليلة لم يأكل أحد منا شيئا
ولا شربنا ، واليوم الثاني كمثل ، واليوم الثالث ، كل يوم نمشي إلى
الليل فإذا جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا حيث كنا ، وقد ضعفت
أبداننا من الجوع والعطش والعياء ، فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا
نمشي على قدر طاقتنا ، فسقط الشيخ مغشيا عليه ، فجئنا نحركه وهو
لا يعقل فتركناه ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري قدر فرسخ أو
فرسخين فضعفت وسقطت مغشيا علي ، ومضى صاحبي وتركني ،
فلم يزل هو يمشي إذ بصر من بعيد قوما قد قربوا سفينتهم من البر ،
ونزلوا على بئر موسى عليه السلام ، فلما عاينهم لوح بثوبه إليهم فجاءوه معهم
الماء في إداوة فسقوه وأخذوا بيده فقال لهم : الحقوا رقيقين لي قد ألقيا
بأنفسهما مغشيا عليهما .

فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي ففتحت عيني ،

فقلت : اسقني فصب من الماء في ركوة أو مشربة شيئاً يسيراً فشربت
ورجعتُ إليّ نفسي ولم يُروني ذلك القدر ، فقلت: اسقني فسقاني شيئاً
يسيراً وأخذ بيدي ، فقلت: ورائي شيخ مُلقى ، قال : قد ذهب إلى
ذاك جماعة، فأخذ بيدي وأنا أمشي أجر رجلي ، ويسقيني شيئاً بعد
شيء ، حتى إذا بلغت إلى عند سفينتهم وأتوا برفيقي الثالث الشيخ ،
وأحسنوا إلينا ، فبقينا أياماً حتى رجعتُ إلينا أنفسنا .

ثم كتبوا لنا كتاباً إلى مدينة يقال لها « رايه » إلى واليهم ، وزودونا
من الكعك والسويق والماء، فلم نزل نمشي حتى نفد ما كان معنا من
الماء والسويق والكعك ، فجعلنا نمشي جياعاً عطاشاً على شط البحر،
حتى وقعنا إلى سُلحفاة قد رمى بها البحر مثل الترس ، فعمدنا إلى
حجر كبير فضربنا على ظهر السلحفاة فانفلق ظهرها ، وإذا فيها مثل
صفرة البيض ، فأخذنا من بعض الأصداف الملقى على شط البحر ،
فجعلنا نغترف من ذلك الأصفر ففتحسَّاه حتى سكن عنا الجوع
والعطش .

إلى أن ذكر وصولهم إلى مدينة الراية ، وإكرام عاملها إياهم ثم

وصولهم إلى مصر^(١) .

وهكذا تعرّض أبو حاتم وصاحباة للموت مرتين وتحملوا تلك الشدائد والأهوال من أجل طلب العلم ، وإن علماً يحصل بسببه هذا البلاء الكبير لا بد أن يرسخ في الأذهان ، وأن يهتمّ به أصحابه اهتماماً بالغاً ، فقد كان ثمنه باهظاً ، بخلاف العلم الذي تُيسّر أسبابه فقد يهون على أصحابه .

موقف أحمد بن طاهر رحمه الله :

من أخبار المعاناة في طلب العلم ما روي عن الحافظ محمد بن طاهر أنه قال : أقمت بتنيس مدة على أبي محمد بن الحداد ونظرائه^(٢) فضايق بي فلم يبق معي غير درهم ، وكنت أحتاج إلى حبر وكاغد^(٣) ، فترددت في صرفه في الحبر أو الكاغد أو الخبز ، ومضى على هذا ثلاثة

(١) الجرح والتعديل ١ / ٣٦٤ - ٣٦٦ .

(٢) يعني ليتعلم منهم العلم .

(٣) أي ورق .

أيام لم أطمع فيها ، فلما كان بكرة اليوم الرابع قلت في نفسي : لو كان لي اليوم كاغد لم يمكنني أن أكتب من الجوع ، فجعلت الدرهم في فمي وخرجت لأشتري خبزا فبلعته ، ووقع عليّ الضحك ، فلقيني صديق وأنا أضحك ، فقال : ما أضحكك ؟ قلت : خير ، فألحَّ عليّ وأبیت أن أخبره ، فحلف بالطلاق لتصدقني ، فأخبرته فأدخلني منزله وتكلف أطعمة ، فلما خرجنا لصلاة الظهر اجتمع به بعض وكلاء عامل تبيس ابن قادوس ، فسأله عني ، فقال : هو هذا ، فقال : إن صاحبي منذ شهر أمر بي أن أوصل إليك كل يوم عشرة دراهم قيمتها ربع دينار ، وسهوت عنه ، فأخذ منه ثلاثمائة وجاء بها^(١) .

فهذا مثل من المعاناة الشديدة من أجل مواصلة التعلم ، وصورة مشرقة من التكافل بين الإخوة ، والشعور البالغ بمشاعر الأصدقاء والإسراع في نجدة المعوزين ممن أخذ العلم كل أوقاتهم وحال بينهم وبين القوت الضروري فضلا عن لذيذ العيش . وفيه صورة من صور

(١) سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٦٧ .

الفرج بعد الشدة ، وما أحلى وقع ذلك على نفس المهموم الذي تنازع قلبه طموحٌ مهيمن نحو بلوغ الكمال في العلم، وضرورة ملحة نحو تلبية الاحتياجات الضرورية .

موقف للإمام أبي القاسم الطبراني رحمه الله :

من أمثلة المعاناة التي مر بها العلماء أثناء طلب العلم ما ذكره أبو بكر بن أبي علي قال : سأل أبي أبا القاسم الطبراني عن كثرة حديثه فقال : كنت أنام على البواري ثلاثين سنة^(١) .

وهكذا يكون طلب العلم ، ثلاثون سنة ينال الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني على الحُصْر الصلابة بدون فراش ، ويجتزئ بالقليل من الطعام كما هو المعتاد في حياتهم .
وبهذا الصبر الطويل نالوا تلك الدرجة من الحفظ والإتقان والعلم الغزير .

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/١٢٢ ، والبواري هي الحصر المنسوجة من القصب .

من مواقف الحافظ ابن منده رحمه الله :

من الصعوبات التي كان يواجهها أهل العلم مشقة نقل كتبهم من بلد لآخر ، ومما رُوي في هذا الموضوع ما ذكره الحافظ يحيى بن عبد الوهاب قال : كنت مع عمي عبيد الله في طريق نيسابور ، فلما بلغنا بئر مجنة قال عمي : كنت ههنا مرة فعرض لي شيخ جمال ، فقال : كنت قافلا من خراسان مع أبي فلما وصلنا إلى هاهنا إذا نحن بأربعين وقرا من الأحمال ، فظننا أنها منسوج الثياب ، وإذا خيمة صغيرة فيها شيخ فإذا هو والدك ^(١) ، فسأله بعضنا عن تلك الأحمال ، فقال : هذا متاع قلّ من يرغب فيه في هذا الزمان هذا حديث رسول الله ﷺ .
وهكذا كان العلماء في كل زمن يتكلفون حمل كتبهم من بلد لآخر ، وإن مما يضاعف مسؤوليتهم أن بضاعتهم ثقيلة المحمل ، وتحتاج إلى صيانة دائمة من الماء والآفات .

(١) يعني الحافظ محمد إسحاق ابن منده والد عبد الوهاب وعبيد الله .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٧ / ١٧ .

ولقد كان غالب ما يحمله العلماء هو من كتبهم التي جمعوا مادتها ورتبوها ، وليست من الكتب التي اقتنوها فقط كما هو الحال في العصور المتأخرة التي شغف بعض أهل العلم فيها بجمع الكتب واقتنائها ، وقلَّما يستوعبون القليل منها.

من مواقف الإمام أبي المظفر السمعاني رحمه الله :

من ذلك ما روي عن الإمام أبي المظفر السمعاني أنه حج على البرية أيام انقطع الركب ، فأخذ هو وجماعة ، فصبر إلى أن خلَّصه الله من الأعراب ، وحج وصحب الزنجاني ، كان يقول : أسرونا ، فكنت أرعى جمالهم فاتفق أن أميرهم أراد أن يزوج بنته فقالوا : نحتاج إلى أن نرحل إلى الحضرة لأجل من يعقد لنا ، فقال رجل منا : هذا الذي يرعى جمالكم فقيه خراسان ، فسألوني عن أشياء فأجبتهم وكلمتهم بالعربية فخرجوا واعتذروا ، فعقدت لهم العقد وقلت الخطبة ففرحوا ، وسألوني أن أقبل منهم شيئاً فامتنعت ، فحملوني إلى مكة وسط العام^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/١١٥ .

وهكذا تكون الأحوال العجيبة ، فأناس يهبون أنفسهم لنفع الأمة وإصلاحها بجمع العلم النافع ونشره .. وأناس يعتدون على هؤلاء المصلحين فيسترقونهم ويجولونهم إلى خدم لهم ، ويجولون بينهم وبين إكمال رسالة الإصلاح التي وهبوا أنفسهم لها وتحملوا من أجلها المشاق والأخطار والمهالك .. والله في خلقه شؤون .

ويشاء الله تعالى أن يُجوج أولئك الأعراب إلى فقيه يعقد لهم الزواج .. ويكتشفون أن من ولّوه رعي جمالم هو فقيه خراسان أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني ويكون ذلك سبب خلاصه منهم بعدما صيروه عبداً لهم وصبر واحتسب أجره عند الله تعالى .

من مواقف الإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله :

من ذلك ما ذكره محمد بن أبي حاتم قال : سمعت البخاري يقول : خرجت إلى آدم ابن أبي إياس فتخلفت عني نفقتي حتى جعلت أتناول الحشيش، ولا أخبر بذلك أحدا ، فلما كان اليوم الثالث أتاني آتٍ لم أعرفه فناولني صرة دنانير، وقال: أنفق على نفسك^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٨ .

لقد كان بإمكان أبي عبد الله البخاري أن يشغل نفسه بأمور الدنيا ، ولو فعل ذلك لبلغ فيها حد التفوق لفرط ذكائه وقوة حافظته، ولم يضطر نفسه إلى أكل طعام البهائم لتفرغه لطلب العلم. ولقد منَّ الله تعالى عليه بمنَّ واساه من غير أن يعلم من هو ، وهو خير ساقه الله سبحانه إليه ليستمر في طلب العلم .

من مواقف الإمام محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله :

لقد كان أهل اليسار من طلاب العلم ينفقون أموالا كثيرة على طلب العلم ، يقول الإمام محمد بن يحيى الذهلي حافظ خراسان : ارتحلت ثلاث رحلات ، وأنفقت على العلم مائة وخمسين ألفاً^(١) . وهكذا كانوا ينفقون أموالهم في طلب العلم لأنهم يعلمون أنهم - وهم في طلب العلم - في عمل صالح إذا صلحت النية ، ثم يستمرون في اكتساب العمل الصالح عند نشر العلم .

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٢٨٣ .

من مواقف حجاج بن يوسف رحمه الله :

من أمثلة اكتفاء العلماء بالقليل من الطعام والتفرغ لطلب العلم ماروي عن حجاج بن يوسف المعروف بابن الشاعر أنه قال : جمعت لي أمة مائة رغيف فجعلتها في جراب ، وانحدرتُ إلى «شبابة» بالمدائن فأقمت ببابه مائة يوم، كل يوم أجيء برغيف فأغمسه في دجلة فأكله ، فلما نفذ خرجت^(١) .

فهذا الخبر يحكي لنا صورة من التقشف والزهد الذي كان فيه طلاب العلم في العصور الأولى، فهذا العالم كان طوال تلك المدة التي كان يأخذ فيها الحديث في المدائن ليس له زاد إلا ذلك الخبز الذي يكتفي منه بمرة واحدة في اليوم ، وليس له إدام إلا ماء نهر دجلة . إن هذا اللون من الزهد هو الذي منح أولئك العظماء فراغ البال وصفاء الذهن والاستعداد الجيد للاستيعاب وسرعة التذكر، فالواحد منهم لا يفكر في أمر المعاش وإنما يحصر فكره كاملاً فيما يتلقاه من علم . وبهذا الفراغ الذهني الكبير حصل عظماء العلماء على ما حصلوا عليه من العلم الواسع والفهم الثاقب .

(١) تاريخ بغداد ٨ / ٢٤٠ .

خبر المحمدين الأربعة في مصر رحمهم الله :

من الأمثلة الرائعة لصبر طلاب العلم على الشدائد ما روي عن أبي العباس البكري قال : جمعت الرحلة بين محمد بن جرير ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن هارون الروياني بمصر ، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم ، وأضر بهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهيموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق ابن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة ، قال : فاندفع في الصلاة فإذا هو بالشموع ، وخصي من قبل والي مصر يدق الباب ، ففتحوا الباب فنزل عن دابته ، فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل : هو هذا ، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعتها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن جرير ؟ فقالوا : هو ذا ، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعتها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقالوا : هو ذا ، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعتها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن إسحاق

ابن خزيمة ؟ فقالوا : هو ذا يصلي ، فلما فرغ دفع إليه الصرة وفيها خمسون دينارًا .

ثم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس فرأى في المنام خيالاً قال : إن المحامد طوّوا كشحهم جياعا ، فأنفذ إليكم هذه الصرار، وأقسم عليكم : إذا نفذت فابعثوا إليّ أمّكم^(١) .

وهكذا كانت حياة هؤلاء العلماء الكبار أيام الطلب ، يجوعون مرة ويشبعون أخرى ، ويكون آخر همّهم الطعام، ولذلك لم يكونوا يدخرون منه ما يكفيهم لمدة طويلة .

ولقد كان اجتماع همهم على العلم من أكبر العوامل المساعدة في حصولهم على ذلك الكم الكبير من المرويات في العلم مع الإتقان .
ولقد اشتمل هذا الخبر على كرامة من الله تعالى لأولئك العلماء الأولياء حيث رأى أمير مصر في المنام من يخبره بشأنهم .

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٤ - ١٦٥ .

من مواقف أبي الفضل العجلي رحمه الله^(١) :

من ذلك ما ذكره الخلال قال : كان أبو الفضل في طريق ومعه

خبز وفانيد^(٢) فأراد قَطَّاع الطريق أخذه منه فدفَعهم بعصاه ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأنه كان حلالاً وربها كنت لا أجد مثله .

ودخل « كerman » في هيئة رثة وعليه أخلاق وأسما^(٣) ، فحُمِل

إلى الملك ، وقالوا : جاسوس ، فقال الملك : ما الخبر ؟ قال : تسألني

عن خبر الأرض أو خبر السماء ؟ فإن كنت تسألني عن خبر السماء ف

﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] وإن كنت تسألني عن خبر

الأرض ف ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن : ٢٦] فتعجب الملك من

كلامه وأكرمه وعرض عليه مالاً فلم يقبله^(٤) .

(١) يعني الإمام عبد الرحمن بن أحمد العجلي (ابن بندار) .

(٢) نوع من الحلواء يعمل بالنشاء .

(٣) الأخلاق هنا الثياب القديمة ، والأسما^(٤) الثياب البالية .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٣٨ .

وهكذا تعرض أبو الفضل العجلي رحمه الله تعالى لهجوم اللصوص فدافع عَمَّا معه من الطعام خشية أن لا يجد طعاما خاليا من الشبهات ، وكانوا عادة يتزودون بالخبز اليابس من بلادهم ، وهذا دليل على ورعه البالغ ، وقد لامه بعض من علم بذلك لأن دفاعه عن ذلك الطعام قد يوهم اللصوص بأنه شيء غالي الثمن ، وربما لو علم اللصوص بحقيقة ذلك لزهّدوا فيه كثيرا ، ولكن هؤلاء جميعا لا يدركون المعنى الكبير الذي أحال ذلك الطعام الذي لا يلفت انتباههم إلى شيء ذا قيمة كبرى عند الشيخ وفي غاية الأهمية .

وقد جلب عليه زهده في اللباس بعض المتاعب ، حيث اتُّهم بالجاسوسية وقُبض عليه ، وتعرض لمساءلة ذلك الملك الذي كان عاقلا أريبا فعرف منزلة الشيخ فأكرمه .

وموقف أخير في العفة والقناعة حيث لم يقبل هذا الشيخ هبة ذلك الملك ، فأبان له ولغيره أن بساطة مظهره ليست لفقره وإنما هي لزهده في الدنيا .

من مواقف الحافظ ابن عساكر رحمه الله :

من أمثلة الجد والدأب في طلب العلم وتحصيله ما ذكره ابن القزويني عن والده مدرس النظامية قال : حكى لنا الفراويُّ قال : قدم علينا ابن عساكر فقرأ عليَّ في ثلاثة أيام فأكثر فأضجرتني وآليت أن أغلق بابي وأمتنع ، جرى هذا خاطر لي بالليل ، فقدم من الغد شخص فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليك ، رأيتَه في النوم فقال : امض إلى الفراوي وقل له : إن قَدِمَ بلدكم رجل من أهل الشام أسمر يطلب حديثي فلا يأخذك منه ضجر ولا ملل ، قال : فما كان الفراوي يقوم حتى يقوم الحافظ أولاً^(١) .

فهذا مثل على جد الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر واجتهاده في تحصيل العلم وجمعه من أقطار الدنيا ، فهو لا يمل ولا يسأم من طلب العلم وتدوينه لأنه وهب نفسه للعلم وجعله قضيته الكبرى التي تشغل باله ووقته ، فهو لا يستريح إلا إذا قرأ أو سمع أو كتب .

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٦٥ .

ولقد كانت تلك الرؤيا الصالحة أقوى مساعد لهذا الحافظ الكبير
على استخراج ما عند شيخه الفراوي ، فما أعظم قدر الحافظ ابن
عساكر الذي يوصي به رسول الله ﷺ !

وكان عظيم الفرح بإنتاجه العلمي في خدمة سنة رسول الله ﷺ
وآثار السلف الصالح ، يقول ولده أبو محمد القاسم بعد أن ذكر
رحلات أبيه ورحلات زملائه الذين اعتمد عليهم في تحصيل ما لم
يستطع الرحلة إليه .. يقول ولده : وأقبل على تلك الكتب فنسخ
واستنسخ وقابل ، وبقي مع مسموعاته أجزاء نحو الثلاثمائة فأعانه
عليها أبو سعد السمعاني ، فنقل إليه منها جملة حتى لم يبق عليه أكثر
من عشرين جزءاً ، وكان كلما حصل له جزء منها كأنه قد حصل على
ملك الدنيا^(١) .

وهكذا تكون فرحة العالم بالحصول على ما يريده من العلم
وما يقدمه من إنتاج علمي .

(١) سير أعلام النبلاء ٥٦٦/٢٠ .

لقل ظل هذا العالم الجليل أكثر عمره يجمع العلم حتى استطاع
أن يحدث به وأن يدونه في كتبه التي أبرزها « تاريخ دمشق » الذي يُعدُّ
من أعظم دواوين الإسلام .

موقف حنبل بن عبد الله رحمه الله :

من أمثلة تضحيات العلماء في سبيل العلم ابتغاء وجه الله تعالى
ما ذكره ابن الأنطاقي من أنه لما سمع مسند الإمام أحمد من الشيخ
حنبل بن عبد الله أشار عليه ^(١) بالسفر إلى الشام وقال له : يحصل لك
مال ويُقبل عليك وجوه الناس ورؤساؤهم ، فقال : دعني ، فوالله ما
أسافر لأجلهم ولا لما يحصل منهم ، وإنما أسافر خدمة لرسول الله ﷺ
أروي أحاديثه في بلد لا تُروى فيه .

وكان حنبل فقيرًا جدًا كما ذكر أبو شامة ^(٢) .

وهكذا أبدى هذا العالم الجليل استعدادَه للسفر من العراق إلى

(١) أي أشار ابن الأنطاقي على حنبل .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٣٢ - ٤٣٣ .

الشام من أجل رواية سنة رسول الله ﷺ وهو لا يريد من وراء ذلك
مالا ولا جاها مع شدة فقره ، وإن هذا هو شرف الدنيا والآخرة .
وكان حنبل قد سمع مسند الإمام أحمد كاملا ، يقول عن نفسه :
لما وُلِدْتُ مضى أبي إلى الشيخ عبد القادر الجيليّ وقال له : قد ولد لي
ابن ما أسميه ؟ قال : سمّه حنبل ، وإذا كبر سمّعه مسند أحمد بن
حنبل ، قال : فسَمّاني كما أمره ، فلما كبرت سمّعتني المسند وكان هذا
من بركة مشورة الشيخ ^(١) .

ومن هذا نستفيد أنه ينبغي إعداد الأبناء منذ صغرهم للطموح
نحو معالي الأمور ، والإيحاء إليهم بذلك شيئا فشيئا حتى يستقر ذلك
في أذهانهم .

فهذا عبد الله والد حنبل قد أخذ بمشورة العالم الرباني عبد
القادر الجيلاني فسمى ابنه حنبلا ، وحمل في ذهنه الوصية الثانية وهي
أن يسمّعه إذا كبر مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(١) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٣٢ .

ومن الطبيعي أنه كلما سئل عن سبب التسمية ذكر ذلك حتى
استقر في ذهن الغلام ومن حوله أنه سيصل إلى ذلك الشرف الكبير ،
وقد كان ذلك دافعا قويا له للوصول إلى هذا الهدف العالي .
ومما هو غني عن البيان أن الوصول إلى هذا الهدف يحتاج إلى
المقدمات المعروفة من إتقان القرآن واللغة العربية ، والدخول في
سلك أهل العلم والتخلق بأخلاقهم .
وهكذا ينبغي اختيار التسمية بأسماء العظماء المشاهير ، وتركيز
التربية من الصغر على الاقتداء بهم ، ومحاولة القيام بوجوه الإصلاح
التي قاموا بها .

من مواقف أبي الوقت عبد الأول السجزي رحمه الله^(١) :

من ذلك ما ذكره يوسف بن أحمد الشيرازي قال : لما رحلت إلى
شيخنا رَحْلَةَ الدنيا^(٢) ومسندِ العصر أبي الوقت قَدَّرَ اللهُ لي الوصول

(١) هو الإمام الزاهد عبد الأول بن المحدث أبي عبد الله عيسى السجزي .

(٢) يعني كثير الرحلات .

إليه في آخر بلاد كرمان فسلمت عليه وقبّلته وجلست بين يديه ، فقال لي : ما أقدمك هذه البلاد ؟ قلت : كان قصدي إليك ، ومُعَوَّلِي بعد الله عليك وقد كتبت ما وقع إليّ من حديثك بقلمِي ، وسعيت إليك بقدمي لأدرك بركة أنفاسك ، وأُحْظِي بعلو إسنادك .

فقال : وفقك الله وإيانا لمرضاته وجعل سعينا له وقصدنا إليه ، لو كنتَ عرفتني حق معرفتي لما سلّمت عليّ ، ولا جلست بين يدي ، ثم بكى بكاء طويلا ، وأبكى من حضر ، ثم قال : اللهم استرنا بسترِكَ الجميل ، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا ، يا ولدي تَعَلَّمْ أَنِي رحلت أيضًا لسماح الصحيح ماشيا مع والدي من «هراة» إلى الداوودي ببوشنج ولي دون عشر سنين ، فكان والدي يضع على يديّ حجرين ، ويقول : احملهما ، فكنت من خوفه أحفظهما بيديّ ، وأمشي وهو يتأملني فإذا رآني قد عيّت أمرني أن ألقى حجرا واحداً ، فألقي ويخفُّ عني ، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي فيقول لي : هل عيّت ؟ فأخافه وأقول : لا ، فيقول : لم تقصّر في المشي ؟ فأسرع بين يديه ساعة ثم أعجز ، فيأخذ الآخر فيلقيه ، فأمشي حتى أعطب ، فحينئذ كان

يأخذني ويحملني ، وكنا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرهم فيقولون :
ياشيخ عيسى ادفع إلينا هذا الطفل نركبه وإياك إلى بوشنج ، فيقول :
معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله ﷺ ، بل نمشي وإذا
عجز أركبته على رأسي إجلالا لحديث رسول الله ﷺ ورجاء ثوابه ،
فكان ثمرة ذلك من حسن نيته أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره ،
ولم يبق من أقراني أحد سواي حتى صارت الوفود ترحل إلي من
الأمصار .

ثم أشار إلى صاحبنا عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي أن يُقدّم لي
حلواء فقلت: ياسيدي قراءتي لجزء أبي الجهم أحب إليّ من أكل
الحلواء ، فتبسم وقال: إذا دخل الطعام خرج الكلام وقدم لنا صحنا
فيه حلواء الفانيذ ، فأكلنا .

وأخرجت الجزء وسألته إحضار الأصل فأحضره ، وقال :
لا تَحْفَ ولا تَحْرَصْ فإني قد قَبْرْتُ ممن سمع عليّ خلقًا كثيرًا ، فسئل الله
السلامة ، فقرأت الجزء وسررت به ، ويسر الله سماع الصحيح وغيره
مرارا ، ولم أزل في صحبته وخدمته إلى أن توفي ببغداد في ليلة الثلاثاء

من ذي الحجة ودفناه بالشونيزية ، قال لي : تدفني تحت أقدام مشايخنا
بالشونيزية.

ولما احتضر سنته إلى صدري وكان مُسْتَهْتَرًا بالذكر^(١) فدخل
عليه محمد بن القاسم الصوفي ، وأكَّبَّ عليه وقال : ياسيدي قال النبي
ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » فرفع طرفه إليه
وتلا ﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾
[يس : ٢٦ - ٢٧] فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب ، ولم
يزل يقرأ حتى ختم السورة ، وقال : الله الله الله ، وتوفي وهو جالس
على السجادة^(٢) .

في هذا الخبر الجليل مواقف :

أولها : ذلك الإحساس المرهف من هذا العالم الرباني ، فحينما
أثنى عليه يوسف الشيرازي وأظهر له الاحترام البالغ والتقدير

(١) أي مولعاً به .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٣٠٧ - ٣٠٩ .

الكبير بكى من خشية الله تعالى وأظهر التواضع بلوم النفس وتحقيرها.

إن العبد الذي يرزقه الله تعالى البصيرة واليقين يتذكر حال سماع الثناء عليه ورؤية مظاهر احترامه عظمة الله سبحانه ، ووقوف العباد بين يديه يوم القيامة ، وعرض الأعمال عليه ، فيتجسّم في خاطره ما يُحَيِّلُ إليه أنه جنوح نحو معصية أو تقصير في طاعة ، وتتضاءل لديه كل أعماله الصالحة ، فيعبّر عن ذلك بالبكاء الذي يُعدُّ مظهرًا للضغوط الداخلية، التي مبعثها الخوف من الله تعالى وخشيته .

وهكذا بكى هذا الشيخ الجليل وأبكى من حوله ، وأعطى ببكائه درسا بليغا في التواضع واتهام النفس وحضور القلب مع الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره .

وقد ذكر أبو الوقت شيئا مما مر عليه من المعاناة أثناء طلب العلم، وكيف كان أبوه يأخذه بذلك التدريب الرياضي الصعب ، وقد كان أبوه الشيخ عيسى السجزي مربيا حكيما صارما في تربيته ، وكان من آثار تلك التربية الرياضية الصارمة أن ابنه تعود من صغره على

الخشونة وتحمل الشدائد ، كما أنه قد شعر بأهمية ذلك الأمر العظيم الذي توجه إليه ، ألا وهو تعلم السنة النبوية ، لأنه إنما حمل هذه السنة الشريفة بألوان من المشقة والمعاناة ، وما يحصل للإنسان بصعوبة بالغة فإنه جديرٌ به أن يحتفظ به ، حتى لو كان من أمر الدنيا ، فكيف به وهو من أمر الآخرة .

ولفتة كريمة من الشيخ عيسى السجزي حيث استعاذ بالله تعالى من أن يركب وهو ذاهب لسماع حديث رسول الله ﷺ ، وهذا يدل على اهتمامه البالغ بتعظيم السنة النبوية وتقدير قيمتها ، وبهذا الشعور القوي استفاد هو أمثاله من السنة النبوية فوائد عظيمة ، في سلامة الفكر والاستقامة في العمل .

من مواقف ابن طاهر القيسراني رحمه الله :

من أمثلة المعاناة في طلب العلم ما ذكره أبو مسعود عبد الرحيم الحاجي قال : سمعت ابن طاهر يقول : بُلْتُ الدم في طلب الحديث مرتين ، مرةً ببغداد ومرةً بمكة ، كنت أمشي حافياً في الحر فلحقني ذلك ، وماركبتُ دابةً قط في طلب الحديث وكنت أحمل كتبي على

ظهري ، وما سألت في حال الطلب أحدًا ، كنت أعيش على ما يأتي^(١) .
فهذا مثل من التضحية بالراحة وأخذ النفس بركوب الصعاب
وتحمل الشدائد من أجل طلب العلم ، وعلى قدر أهل العزم تأتي
العزائم .

فلقد أصبح محمد بن طاهر ابن القيّسراني من كبار العلماء
المحدثين .

من مواقف الإمام عبد القادر الجيلاني رحمه الله :

من أخبار المعاناة التي مر بها العلماء في مرحلة طلب العلم
ما ذكره ابن النجار قال: قرأت بخط أبي بكر عبد الله بن نصر بن حمزة
التيمي : سمعت الشيخ عبد القادر^(٢) يقول: بلغتُ بي الضائقة في
الغلاء إلى أن بقيت أياما لا آكل طعاما ، بل اتبع المنبذات، فخرجت
يوما إلى الشط فوجدت قد سبقني الفقراء ، فضعفت وعجزت عن

(١) تذكرة الحفاظ ص ١٢٤٣ ج ٤ .

(٢) هو الإمام أبو محمد عبد القادر الجيلاني .

التهاسك فدخلت مسجداً وقعدت وكدت أصافح الموت ، ودخل
شاب أعجمي ومعه خبز وشواء وجلس يأكل ، فكنت أكاد كلما رفع
لقمة أن أفتح فمي ، فالتفت فرآني فقال: بسم الله ، فأبيت ، فأقسم
علي ، فأكلت مقصراً ، وأخذ يسألني ، ما شُغلك ومن أين أنت؟
فقلت : متفقّه من جيلان ، قال : وأنا من جيلان ، فهل تعرف لي
شابا جيلانيا اسمه عبد القادر يُعرف بسبط أبي عبد الله الصومعي
الزاهد؟ فقلت : أنا هو ، فاضطرب لذلك وتغير وجهه ، وقال : والله
يا أخي لقد وصلت إلى بغداد ومعني بقية نفقة لي ، فسألت عنك فلم
يرشدني أحد إلى أن نفذت نفقتي ، وبقيت بعدها ثلاثة أيام لا أجد
ثمن قوتي إلا من مالك ، فلما كان هذا اليوم الرابع قلت : قد تجاوزتني
ثلاثة أيام وحلّت لي الميتة ، فأخذت من وديعتك ثمن هذا الخبز
والشواء ، فكل طيبا فإنها هو لك وأنا ضيفك الآن ، فقلت : وماذا؟
قال : أمك وجّهتْ معي ثمانية دنانير والله ماخنتك فيها إلى اليوم،

فسكّنته وطيبّت نفسه ، ودفعت إليه شيئاً منها^(١) .

وهكذا تعرّض هذا العالم الرباني للجوع الشديد أثناء طلب العلم ، وحصلت له هذه القصة العجيبة مع ذلك الشاب الجيلاني الذي ساقه الله تعالى إليه في وقت اشتداد الأزمة، وكان ذلك الشاب أميناً حينما صبر على الجوع ثلاثة أيام ولم ينفق من الأمانة التي معه، كما كان الشيخ عبد القادر الجيلاني كريماً سمحاً حينما طيب نفس ذلك الشاب الذي حمل له تلك الأمانة وأعطاه منها .

وفي هذا الخبر مثل من لطف الله تعالى بعباده الصالحين حيث قدّر وصول ذلك المبلغ بعدما أشرف صاحبه على الموت من غير أن يعلم به ولا أن يبحث عنه .

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٤٤ - ٤٤٥ .



**توجيهات ومواقف
في
الأدب العلمي**

لقد بلغ علماء الإسلام القمة في الأدب العلمي ، وذلك في
المعاملة بين العلماء أنفسهم، وبين العلماء وتلاميذهم .
ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم قدوة الأمة في هذا الجانب
وغيره من معالي الأمور .

من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

من مواقف الصحابة رضي الله عنهم في الأدب العلمي ما كان
من حبر الأمة وعالمها المدقق المفسر الفقيه المحدث عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ، وذلك في موقفه مع النبي ﷺ حينما صلى خلفه في
الليل ، يقول رضي الله عنه : صليت خلف النبي ﷺ من آخر الليل ،
فجعلني حذاءه ، فلما انصرف قلت : وينبغي لأحد أن يصلي حذاءك
وأنت رسول الله ؟ فدعا الله أن يزيدني فهما وعلما^(١) .

وهذا مثل من الأدب الذي كان يتصف به ابن عباس ، حيث
وصل بهذا الأدب إلى مراحل عالية من العلم بعد ذلك .

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٨ .

من أخبار طلاب العلم من التابعين رحمهم الله :

كان العلماء يحافظون على آداب العلم ويهتمون بالتربية الخلقية ، فكانوا يُعلِّمون العلم والتربية في وقت واحد ، فكان طلاب العلم آنذاك في غاية الأدب والأخلاق الحميدة .

ومن الأخبار في ذلك ما روي عن أبي حازم الأعرج سلمة بن دينار المدني قال: لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيها ، أدنى خصلة فينا التواصي بما في أيدينا ، ومارأيت في مجلسه متمارين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا^(١) .

وإذا كان أدنى خصلة في هؤلاء الفقهاء أنهم قد ترفعوا عن الدنيا فأصبحوا متواصين بما في أيديهم منها فكيف بالخصال التي هي أعلى من هذه الخصلة العظيمة ؟

إنما ثمرات العلم النافع تظهر في التربية القويمة على الأخلاق الحميدة .

(١) سير أعلام النبلاء ٥/٣١٦ .

من مواقف القاسم بن محمد رحمه الله :

من ذلك ما روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : رأيت القاسم بن محمد يصلي فجاء أعرابي فقال : أيما أعلم أنت أم سالم ؟^(١) . فقال : سبحان الله كل سيخبرك بما علم ، فقال : أيكما أعلم ؟ قال : سبحان الله ، فأعاد ، فقال : ذاك سالم ، انطلق فسأله ، فقام عنه ، قال ابن إسحاق : كره أن يقول : أنا أعلم ، فيكون تزكية ، وكره أن يقول : سالم أعلم مني فيكذب ، وكان القاسم أعلمهما^(٢) . والقاسم هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق من أكابر العلماء في عصره ، وأحد الفقهاء السبعة في المدينة . وهذا الخبر يدل على ورعه وتواضعه وأدبه العلمي رحمه الله تعالى .

(١) يعني سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أحد الفقهاء السبعة في المدينة .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٦/٥ .

من مواقف الإمام مالك رحمه الله :

الإمام مالك بن أنس رحمه الله على عظمته وشهرته الواسعة في العلم يرفض ما عرضه عليه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور من حمل الناس على مذهبه ، وفي ذلك يقول محمد بن عمر الواقدي رحمه الله : سمعت مالكا يقول : لما حج المنصور دعاني فدخلت عليه فحادثته ، وسألني فأجبته ، فقال : عزمت على أن أمر بكتبك هذه - يعني الموطأ - فتنسخ نسخا ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة ، وأمرهم أن يعملوا بما فيها ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث ، فإني رأيت أن أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم ، قلت : يا أمير المؤمنين لاتفعل فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سيق إليهم ، وعملوا به ودانوا به ، من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم ، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد ، فدع الناس وماهم عليه وما اختار أهل كل بلد

لأنفسهم ، فقال : لعمرى لو طوعتني لأمرت بذلك^(١) .

وهذا دليل على فقه مالك الدقيق ومعرفته البالغة بطبائع النفوس وما جبلت عليه من القناعة بما نشأت عليه من المفاهيم العلمية ، كما يدل على سعة نظره في تقدير آراء العلماء الاجتهادية وإن خالفت ماتقرر عنده .

ولسعة إدراكه وتجرده من حظ النفس لم يسارع إلى اغتنام فرصة إقبال السلطان عليه ليحمل الناس على مذهبه ، بل أبدى العذر لمخالفه بما سبق من اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في الاجتهاد وانتشار فتاويهم في بلاد الإسلام .

ومن الوصايا النافعة في آداب العلم مارواه ابن وهب رحمه الله تعالى قال : سمعت مالكا يقول : حَقُّ عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَخَشْيَةٌ ، وَالْعِلْمُ حَسَنٌ لِمَنْ رُزِقَ خَيْرَهُ ، وَهُوَ قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَكِنْ انظُرْ مَا يَلْزِمُكَ حِينَ تَصْبِحُ إِلَى حِينَ تَمْسِي فَالزَّمَهُ ،

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٧٠ .

ولا تَمَكَّنُ الناس من نفسك ، فإن من سعادة المرء أن يوفَّق للخير ، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ ، وذلك وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه ^(١) .

وهذا تنبيه من الإمام مالك إلى ثمرة العلم في الدنيا ، وهي أن يكون طالب العلم متميزا بسلوكه القويم الذي يقوم على خشية الله تعالى في السر والعلن ، ويظهر في تعامله مع الناس بمظهر الوقار والسكينة .. يتكلم حينما يحتاج الناس إلى كلامه ، ويزن كلماته قبل أن ينطق بها ، ويصمت حينما يكون الخير في الصمت ، لا يتسرع مع المتسرعين ، ولا تستهويه الإشاعات والغرائب ، إذا سمع خبرا وزنه بميزان علمه الذي تعلمه قبل أن يشيعه أو يئني عليه الأحكام التي تلابسه ، وأصبح بثمرات علمه نورا يهتدي به أفراد مجتمعه ممن لم يبلغوا علمه .

فالعلم خير لمن رُزق الإخلاص لله تعالى ، وأصبح مدركا أن

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٩٦ ، ترتيب المدارك ١/١٨٥ .

العلم نور يضيء لصاحبه دربه في هذه الحياة ، ويقوده لسعادة الآخرة.
والمرء العاقل قد يخطئ ، ولكن الوقوع في الخطأ يدفعه إلى
الندامة ، وأخذ العبرة ، وتلمس مواقع الخطو قبل أن يخطو على
الطريق ، ولكنه حينما يتابع الخطأ ولا يعتبر فإن ذلك من علامات
الشقاء .

ومن كلام الإمام مالك يتبين لنا أن من الأدب العلمي إظهار
عزة العلم ، وذلك بأن لا يضعه صاحبه إلا عند من يقدره ويستفيد
منه .

ولله در مصعب بن عبد الله حينما قال في الإمام مالك :

يدعُ الجواب فلا يراجع هيبَةً والسائلون نواكس الأذقان

عزُّ الوقار ونور سلطان التقي فهو المهيبُ وليس ذا سلطان^(١)

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ١٠١ .

موقف للإمام ابن عيينة رحمه الله :

من أمثلة الأدب العلمي الرفيع ما روي عن سفيان بن عيينة رحمه الله أنه ذُكر له حديث فقالوا : يخالفك فيه مالك ، قال: أتقرنني بهالك؟ ما أنا وهو إلا كما قال جرير :

وابن اللبون إذا مالزَّ في قرْنٍ لم يستطع صولة البزل القناعيس^(١)
يعني أنه ليس بمنزلة مالك في العلم كما أن البعير الصغير إذا قرن بالجمل الكبير الشديد القوة فلن يستطيع مسايرته .

موقف للحافظ يحيى بن معين رحمه الله :

من مواقف العلماء العلمية تواضعهم لمن يروونه أعلم منهم ، ومن أمثلة ذلك ما رواه أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت يحيى بن معين يقول : ما رأيت منذ خرجت من بلادي أحداً أشبه بالمشيخة الذين أدركت من أبي مسهر ، والذي يحدث وفي البلاد من هو أولى

(١) سير أعلام النبلاء ٦٦/٨ .

بالتحديث منه فهو أحق^(١) .

فهذا مثال على التواضع والأدب المتبادل بين العلماء ، حيث بين يحيى بن معين أن من الأدب تقديم من هو أولى بالتعليم في البلد وعدم التقدم عليه .

ولابد أن يقيد ذلك فيما إذا لم تدع الحاجة إلى مشاركة أكثر من عالم في التعليم ، أو كان لدى بعض العلماء من العلم ما ليس عند الآخرين الذين هم أقدم منهم في علوم أخرى ، فإنه والحالة هذه لابد من تعدد المعلمين ، وإن كان بعضهم أقل علما ، ولكن مع مراعاة الأدب مع العلماء الكبار والتواضع لهم وأخذ رأيهم في الأمور المشكلة أو الجديدة .

موقف لأبي عبيد بن سلام رحمه الله :

من أمثلة اهتمام العلماء بالآداب والفوائد العلمية مارواه أبو بكر ابن أبي الدنيا قال قال أبو عبيد القاسم بن سلام : زرت أحمد بن حنبل

(١) الجرح والتعديل ٦/٢٩ ، تاريخ بغداد ١١/٧٤ .

فلما دخلت عليه بيته قام فاعتنقني وأجلسني في صدر مجلسه ، فقلت :
يا أبا عبد الله أليس يقال : صاحب البيت - أو المجلس - أحق بصدر
بيته - أو مجلسه - ؟ قال : نعم يقعد ويُقعد من يريد ، قال : فقلت في
نفسي : خذ إليك أبا عبيد فائدة، ثم قلت : يا أبا عبد الله لو كنتُ آتيك
على حق ما تستحق لأتيتك كل يوم ، فقال : لا تقل ذلك فإن لي إخوانا
ما ألقاهم في كل سنة إلا مرة ، أنا أوثق في مودتهم ممن ألقى كل يوم ،
قال : قلت : هذه أخرى يا أبا عبيد ، فلما أردت القيام قام معي ، قلت :
لا تفعل يا أبا عبد الله ، قال فقال : قال الشعبي : من تمام زيارة الزائر
أن يُمشى معه إلى باب الدار ويؤخذ بركابه ، قال قلت : يا أبا عبد الله
من عن الشعبي ؟ قال : ابن أبي زائدة عن مجالد عن الشعبي ، قال
قلت : يا أبا عبيد هذه الثالثة^(١) .

فهذا مثل من الآداب المرعية عند العلماء والاحترام المتبادل
بينهم ، وحرصهم على الفوائد العلمية والتربوية .

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٢٥٩ .

من مواقف الإمامين عبد الله الأنصاري وناصر المروزي رحمهما الله :

من ذلك ما روي عن الإمام أبي إسحاق عبد الله الأنصاري قال:
دخلت على الإمام ناصر المروزي بنيسابور ، وكان مجلسه غاصبا
بتلامذته ، واحتفَّ به الفقهاء وكان يُدَّرس ويقول: رُوي عن أبي بكر
الصدِّيق رضي الله عنه أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب
﴿ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ
إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] - قال : فقلت -
أيَّد الله الشيخ الإمام - أحديثُ عهد أنت بهذا الحديث وهو على
ذُكْرِك ؟ فقال : لا ، فقلت : كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة
المغرب ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] ، فقال: صدقت ورجع إلى قولي ، وحث
القوم على إثباته وتعليقه ، ثم بكَرَّت إليه من غد هذا اليوم فرحب بي
وأعلى محلي ، وأجلسني فوق جماعة زهاء سبعين ، كنت بالأمس
جالسًا دونهم ، ومدحته بقصيدة ، وواظبت على الاختلاف إليه

وأخذت الفقه عنه مدة^(١) .

ففي هذا الخبر مثل من الأدب العلمي يقدمه الإمام أبو إسماعيل الأنصاري يوم أن كان طالبا، فحينما أنكر على شيخه ذلك الأثر تَلَطَّفَ في تنبيهه بهذا الأسلوب المهذب .

وفي هذا الخبر تواضعٌ جليل من شيخه الإمام ناصر المروزي حيث رجع إلى كلام تلميذه ولم يتعصب لرأيه ، وهذا مثل من صلاح الشيوخ والتلاميذ ودليل على سمو التربية التي كانوا يتلقونها في أيام دراستهم .

من مواقف الإمامين عبد الله بن المبارك وحماد بن زيد رحمهما الله :

من ذلك ما رواه إسماعيل الخطبي قال : بلغني عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد ، فقال أصحاب الحديث لحماد : سَلْ أبا عبد الرحمن أن يحدثنا ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، تحدثهم فإنهم قد سألوني قال : سبحان الله يا أبا إسماعيل أُحَدِّثُ وأنت حاضر ؟ قال : أقسمت

(١) طبقات الحنابلة ٣/ ٦١ - ٦٢ .

عليك لتفعلنّ ، فقال : خذوا ، حدثنا أبو إسحاق حماد بن زيد ، فما
حدّث بحرف إلا عن حماد^(١) .

فهذا مثل من أمثلة الأدب العلمي الرفيع بين الشيوخ والتلاميذ
حيث يحترم التلاميذ شيوخهم ويستصغرون أنفسهم أمامهم وإن
بلغوا مرتبة عالية من العلم .

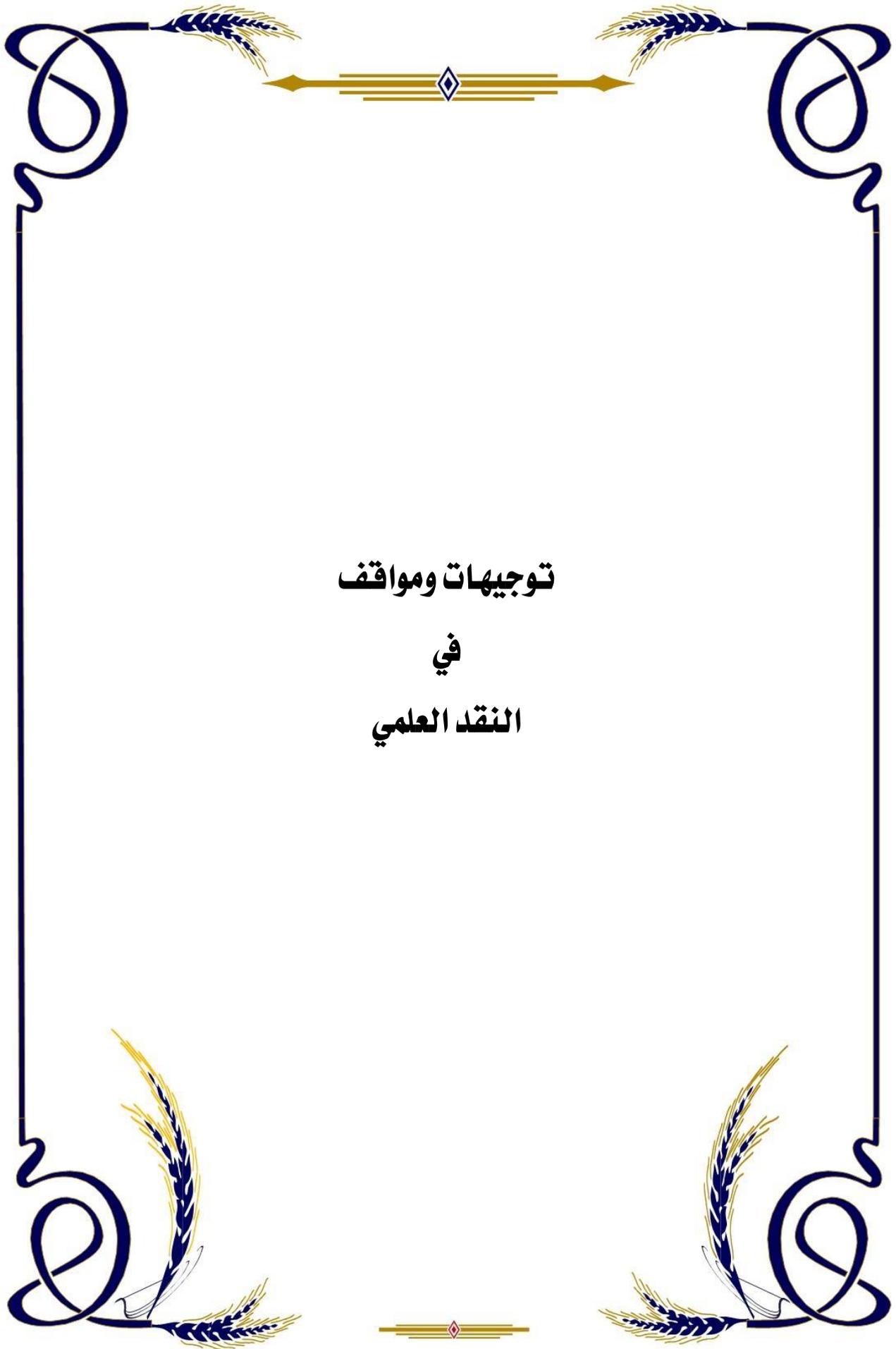
(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣٩ .

موقف للإمام عطاء بن أبي رباح رحمه الله :

من آداب علماء السلف التي كانوا يراعونها الإنصات إلى المحدث وإن كان أصغر من السامع ، وفي ذلك يقول عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى : إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد ^(١) .

وهذا مثل من أمثلة مراعاة شعور المسلم ، ومراعاة مشاعر المسلمين من أبرز مكارم الأخلاق ، وذلك لما يتم من خلال ذلك من عدم جرح مشاعر المحدث فيما إذا قال له السامع: قد سمعت هذا الكلام من قبل .

(١) سير أعلام النبلاء ٨٦/٥ .



**توجيهات ومواقف
في
النقد العلمي**

النقد العلمي فنٌ رفيع لا ينبغي الإقدام عليه إلا من المتقدمين في العلم ، لأن الناقد يتعرض بفكره لفكر الآخرين لنصر قضايا وإبطال قضايا أخرى ، فإذا لم يكن متمكناً في العلم فشل في أثناء الطريق وأحدث آثاراً سيئة في الحياة العلمية ، لكنه إذا كان متمكناً في العلم مخلصاً في مقصده وأحسن العرض في نصر القضية التي يريد نجاحها فإنه يسهم في تصحيح المفاهيم الفكرية التي يداخلها شيء من الخطأ ، وبالتالي يسهم في تقويم التوجُّهات السياسية والاجتماعية .

وإن من أهم مجالات النقد العلمي مجال المناظرات ، ولقد كان للمناظرات أثر كبير في تقريب وجهات النظر بين المختلفين ، وإقرار الصواب وإزالة الخطأ ، ونصر الحق وخذلان الباطل ، لأنها مواجهة صريحة أمام الملأ ، فلا يمكن معها استغفال العقول ولا تلبيس الحق بالباطل .

من مواقف حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

إن من أبرز المناظرات في المجال العلمي والسياسي ما قام به حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من مناظرة الخوارج ، وقد

أخرج خبر ذلك الإمام عبد الرزاق الصنعاني عن عكرمة بن عمار قال: حدثنا أبو زُمَيْل الحنفي قال : حدثنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : قال : لما اعتزلت الحرورية^(١) فكانوا في دار على حَدِّتهم قلت لعلي : يا أمير المؤمنين أبردُ عن الصلاة^(٢) لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلهم ، قال : إني أتخوفهم عليك ، قلت : كلا إن شاء الله .

قال : فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية ، قال : ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهرية ، قال : فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهادًا منهم ، أيديهم كأنها ثفن الإبل^(٣) ووجوههم مُعلّمة من آثار السجود .

قال : فدخلت فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس : ماجاء بك ؟ قلت : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ، عليهم نزل

(١) الحرورية هم الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه .

(٢) أي أخر صلاة الظهر .

(٣) أي كأنها رُكب الإبل من الحشونة .

الوحي ، وهم أعلم بتأويله ، فقال بعضهم : لا تحدثوه ، وقال بعضهم :
والله لنحدثنّه .

قال : قلت : أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ
وختنه ^(١) وأول من آمن به ، وأصحاب رسول الله ﷺ معه ؟ قالوا :
ننقم عليه ثلاثا ، قال : قلت وما هن ؟ قالوا : أولهن أنه حَكَمَ الرجال
في دين الله وقد قال الله ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ^(٢) قال : قلت وماذا ؟
قالوا : وقاتل ولم يسب ولم يغنم ، لئن كانوا كفارا لقد حَلَّتْ له
أموالهم ، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماءهم ، قال : قلت
وماذا ؟ قالوا : محّا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين
فهو أمير الكافرين .

قال : قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم ،
وحدثكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تنكرون أترجعون ؟ قالوا : نعم .

(١) أي زوج بنته .

(٢) الأنعام / ٥٧ ، يوسف ، ٤٠ ، ٦٧ .

قال قلت : أما قولكم حكم الرجال في دين الله فإن الله تعالى

يقول ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ

مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدِيًّا بَلِيغَ

الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ

عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿

[المائدة : ٩٥] وقال في المرأة وزوجها ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ

اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿ [النساء : ٣٥] . أنشدكم الله

أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وإصلاح ذات بينهم أحق أم

في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا : اللهم بل في حقن دمائهم وإصلاح

ذات بينهم ، قال : أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أتسبون أمكم

عائشة ؟ أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتكم ؟ وإن

زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام ، إن

الله يقول ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴿

[الأحزاب: ٦] فأنتم مترددون بين ضلالتين فاخترتوا أيتهما شئتم ،
أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قال : وأما قولكم محًا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ
دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا ، فقال : اكتب
هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك
رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن
عبد الله ، فقال : والله إني لرسول الله حقا وإن كذبتُموني ، اكتب يا علي
محمد بن عبد الله « فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي رضي الله عنه ،
أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم ، فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي
منهم أربعة آلاف فقتلوا ” .

(١) مصنف عبد الرزاق ١٥٧/١٠ رقم ١٨٦٧٨ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني
وأحمد ببعضه ورجاهما رجال الصحيح - مجمع الزوائد ٦/٢٣٩ - . وما جاء في
هذا الخبر من أن عددهم أربعة وعشرون ألفا فيه مبالغة ، والصواب ما جاء في
روايات أخرى من أن عددهم كان أربعة آلاف ثم زادوا حتى صاروا ستة آلاف أو
ثمانية آلاف .

فهذا الخبر العظيم يدل أولاً على جرأة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الفائقة وشجاعته الفذة، فقد أقدم على الخروج إلى الخوارج ومناظرتهم وحده ، مع أن هناك احتمال أن يعتدوا عليه بالقتل أو بما دون ذلك ، ولقد بلغ منتهى الشجاعة والإقدام حينما وصفهم أثناء المناظرة بالضلال.

ثم إن هذا الخبر دليل على غزارة علم ابن عباس وعمق فهمه ، فقد أدرك من عرض الخوارج لعقيدتهم أنهم على ضلال ، واستحضر حالاً من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ما ينقض قولهم، ويبطل رأيهم ، وكان موفقاً في عرض تلك الأدلة وإلزام المخاصمين بما يترتب عليها من أحكام.

ولما كان ابن عباس يعرض الحق الذي لا يمكن نقضه فإن المخدوعين من الخوارج الذين كانوا يظنون أنهم على الحق وليس لهم هوى في الشذوذ والانحراف لما سمعوا ذلك الحق رجعوا إليه وعرفوا أنهم على باطل ، وكان عددهم كبيراً ، فلهذا در حبر الأمة ما أبلغ حجته ، وما أنصح بيانه، وما أقوى جنانه !!

وبهذا الحوار الناجح رجع أكثر الخوارج ولم يبق منهم إلا القليل
الذين قتلوا يوم النهروان ، وكانوا بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي .
فكم وفرَّ ابن عباس على الأمة من جهد ! وكم حقن لها من
دماء ! إن أولئك الخوارج الذين رجعوا إلى الحق لو ظلوا على ضلالهم
وعلى تبعية رؤسائهم لتسلَّطوا على الأمة ، وإن قتل هؤلاء أو هزيمتهم
لا بد أن يقدِّم فيها أهل الحق عددا كبيرا من الشهداء ، إضافة إلى أن
هلاكهم وهم على ضلالتهم يُقدِّمهم إلى النار ، فبذلك يكون ابن
عباس سببا في إنقاذهم من النار ، وفي إنقاذ الأمة من شرهم وبلائهم .
ولقد كانت محاوره ابن عباس مع قادتهم ، لأنه لن يتمكن من
حوارهم جميعا ، ولقد انقسم قادتهم على أنفسهم قبل بدء الحوار فتميز
أصحاب الهوى المنحرف بمشورتهم على بقية القادة أن لا يجاوروه ،
وتميز المضللون الذين يريدون اتباع الحق وأخطؤوا طريقه بإصرارهم
على الحوار ، فكان مجرد وصول ابن عباس إليهم سببا في تفرق رأيهم ،
مما يدل على ضحالة معتقدتهم وغلبة العواطف عليهم .
ومن براعة ابن عباس التي ظهرت في ذلك الحوار أنه لم يُجبَّ

على كل سؤال لهم بمفرده ، بل استوعب اعتراضاتهم الثلاثة ، ثم قام
بنقضها ، ولو أنه أجاب على الاعتراض الأول لربما توقفوا وأمسكوا
عن بيان الاعتراضين الأخيرين ، ولم يتوصل إلى إقناعهم بما يريد .
وهكذا كان دور العلم بارزا ورائدا في ذلك الصراع الذي نشب
بين الخوارج من جهة والخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه
من جهة أخرى ، فكان العلم النافع الذي حمّله ابن عباس ومثله أبلغ
تمثيل أمضى في الأعداء من جميع الأسلحة ، وأهدى للحيارى
المخدوعين من طلاس الجهل وشعارات أنصاف المتعلمين .
ومن مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في سداد الرأي
والنظر إلى النتائج مارواه يزيد بن الأصم عن عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما قال : قدم على عمر رجل فجعل عمر يسأله عن الناس ،
فقال : يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا ، فقلت : والله ما
أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة .

قال : فزبرني عمر^(١) ، ثم قال : مه ، فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا ، فقلت : قد كنت نزلت من هذا الرجل منزلة ، فلا أراني إلا قد سقطت من نفسه ، قال : فرجعت إلى منزلي فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي ومابي وجع وماهو إلا الذي تقبّلني به عمر .

قال : فبينما أنا على ذلك أتاني رجل فقال : أجب أمير المؤمنين ، قال : فخرجت فإذا هو قائم ينتظرنى ، قال : فأخذ بيدي ، ثم خلا بي فقال : ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفا ؟ قال : فقلت : يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فإني استغفر الله وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت ، قال : لتحدثني بالذي كرهت مما قال الرجل : فقلت : يا أمير المؤمنين متى تسارعوا هذه المسارعة يحيفوا ومتى ما يحيفوا يختصموا ، ومتى ما يختصموا يختلفوا ، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا ، فقال عمر : لله أبوك لقد كنت أكاتمها الناس حتى جئت بها^(٢) .

(١) يعني نهرني .

(٢) مصنف عبد الرزاق ١١ رقم ٢٠٣٦٨ .

ففي هذا الخبر بيان دقة فقه ابن عباس وسداد رأيه حيث وافق رأيه ما كان يجول في خاطر أمير المؤمنين عمر وهو الرجل الملهم ، فإن مسارعة الناس في أخذ القرآن من غير تفهم لأحكامه ولا تأثر بمواعظه وعبره يبعث على التنافس في مبلغ ما حفظوه من القرآن من غير تدبر ولا وعي بمقاصده ، فينمو في أفكارهم مقدار الحفظ بسرعة بينما ينمو في قلوبهم مقدار الإيمان والتقوى ببطء ، فعند ذلك تبرز حظوظ النفس ويكثر التفاخر ، وتتعدد الآراء التي لا ترتبط بأصول من الكتاب والسنة ، فيقع الاختلاف لكثرة الآراء وقلة الورع مما قد يؤدي إلى حدوث القتال بين طلاب العلم .

أما أهل الفقه الذين يسيرون على الأصول المرعية في أخذ القرآن فإنهم كانوا لا يتجاوزون آية في الحفظ حتى يفقهوا مقاصدها كما قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يعلموننا القرآن أنهم ما كانوا يتجاوزون عشر آيات حتى يفقهوا معانيها ويعملوا بها ، قال : فتعلمنا العلم والعمل ، أو كما قال : وقال الإمام مالك بن أنس رحمه

الله : بلغني أن ابن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها^(١) ،
وإنما ظل هذه المدة الطويلة لاشتغاله بفهم مقاصد القرآن وتطبيق
أحكامه ومواعظه .

(١) الموطأ ١ / ٢٠٥ ، كتاب القرآن ، باب ماجاء في سجود القرآن .

موقف للإمام مالك بن أنس :

ذكر الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» قال: هذا كتبه من حفظي
وغاب عني أصلي: أن عبد الله العمريّ العابد كتب إلى ملك يحضه
على الانفراد والعمل [يعني على العزلة والتعبد] ، فكتب إليه مالك ،
إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فَرُبَّ رَجُلٍ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ
وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ ، وَآخِرُ فَتْحٍ لَهُ فِي الصَّدَقَةِ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ ،
وَآخِرُ فَتْحٍ لَهُ فِي الْجِهَادِ ، فَنَشَرَ الْعِلْمَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ ، وَقَدْ
رَضِيَتْ بِمَا فُتِحَ لِي فِيهِ ، وَمَا أَظُنُّ مَا أَنَا فِيهِ بَدُونَ مَا أَنْتَ فِيهِ ، وَأَرْجُو
أَنْ يَكُونَ كَلَانَا عَلَى خَيْرٍ وَبِرٍّ^(١) .

وهكذا أبان الإمام مالك فضل العلم ، وبين لذلك العابد
شمول العبادة ، حيث ذكر له أن نشر العلم من أفضل الأعمال
الصالحة ، وأن العالم الذي ينشر علمه ليس بأقل عملاً ممن قَصَرَ عَمَلَهُ
على أداء الشعائر التعبدية .

(١) سير أعلام النبلاء (١/١٠٢) .

من مواقف الإمام الشافعي رحمه الله :

من ذلك ما رواه أبو العباس الأصم عن الربيع بن سليمان قال : دخلت على الشافعي وهو مريض فسألني عن أصحابنا ، فقلت : إنهم يتكلمون ، فقال : ما ناظرت أحداً على الغلبة ، وبودّي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب - يعني كتبه - على أن لا ينسب إليّ منه شيء ^(١) .

فهذا مثال لما كان يتصف به الإمام الشافعي من الإخلاص لله تعالى والتجرد من حظ النفس ، والعمل من أجل الوصول إلى الحق وخدمة الإسلام ، فهو حينما يناظر مخالفيه لا يحمل في فكره حب الغلبة والانتصار عليهم ، وإنما الذي يكون ماثلاً أمامه هو الرغبة في ظهور الحق سواء كان معه أو مع مخالفه .

ولاشك أن هذا الإخلاص والتجرد كان له الأثر البالغ في تفوقه في مجال المناظرة ، لأنه قد أحضر قلبه مع الله تعالى ، واستصحب رقابته عليه ، فهو بذلك يكون مؤيداً بتوفيق الله سبحانه وإلهامه .

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٧٦ .

وأبلغ من ذلك ما زوي عنه أنه قال : « ماناظرت أحداً إلا أحببت أن تكون الحجة معه » فإن هذا يبين تجرده الكامل للحق ورغبته في الوصول إليه ولو على لسان المخالفين ، فهو قد بذل وسعه في معرفة الحق عن طريق العلم ، والمناظراتُ طريق من طرق العلم ، فإذا أوصلته إلى معرفة الحق الذي كان يجهله فهذا عنده مكسب كبير . فهذا الفرق كبير بين من يناظر ليعرف الحق ثم يلزمه سواء كان معه أو مع مخالفه ، ومن يناظر للانتصار لرأيه أو رأي إمامه أو مذهبه سواء كان ذلك صواباً أو خطأ .

وفي بيان آداب المناظرة يقول يونس الصديقي : مارأيت أعقل من الشافعي ، ناظرته يوماً في مسألة ، ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال : يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة؟! ذكره الذهبي وقال : هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه

نفسه ، فما زال النظراء يختلفون^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/١٦ .

ففي هذا الخبر يبين لنا الإمام الشافعي أمرًا مهمًا ، وهو أن لا يكون الخلاف في الرأي والمناظرة على ذلك سببا في إضعاف الأخوة الإسلامية بين المختلفين ، فالأخوة الإسلامية ثابتة بأدلتها الشرعية ، ولا يجوز أن يؤثر عليها الخلاف في القضايا العلمية ، فالدافع إلى الخلاف هو الاجتهاد للوصول إلى الصواب ، فإذا كان كل واحد من المتناظرين يريد حقا الوصول إلى الصواب ، فإن عثوره على ذلك عن طريق مُناظره يزيده حُبًّا له ، وبالتالي فإن الأخوة الإسلامية لا تتأثر مع الخلاف والمناظرة إلا إذا كان المختلفون أو بعضهم من أصحاب الهوى المنحرف .

موقف للحافظ يحيى القطان رحمه الله :

إن من المواقف العلمية ما كان في مجال النقد الهادف الذي يدل على سعة العلم وإرادة تنقية سنة رسول الله ﷺ من الخطأ والتحريف . فمن ذلك ما كان بين عفان بن مسلم ويحيى بن سعيد القطان وقد أخرج خبر ذلك محمد بن الحسن بن علي بن بحر قال : حدثنا الفلاس قال : رأيت يحيى يوماً حدث بحديث فقال له عفان: ليس هو هكذا ، فلما كان من الغد أتيت يحيى ، فقال : هو كما قال عفان ، ولقد سألت الله أن لا يكون عندي على خلاف ما قال عفان . قال الإمام الذهبي : قلت : هكذا كان العلماء فانظر يامسكين كيف أنت عنهم بمعزل^(١) .

فهذا موقف جليل من يحيى القطان يدل على تجرده من حظ النفس وتخلقه بخلق الإيثار ، فالإيثار كما أنه يكون في المال ومتاع الدنيا فإنه يكون في السمعة والجاه ، وقد يسخو الإنسان بالمال ويؤثر

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٤٨ - ٢٤٩ ، تاريخ بغداد ١٢/٢٧٥ .

به على نفسه ، ولكنه لا يسخو بالجاء ولا يؤثر غيره به على نفسه ، لأن
تعلق نفوس البارزين به أقوى من تعلقهم بالمال .

وفي هذا الخبر نجد يحيى القطان قد أثر الحفاظ على جاه عفان بن
مسلم أن يُحدثش وعلى سمعته العلمية أن تُثلم ، فسأل الله تعالى أن
يكون الحديث المختلف عليه على ما قاله عفان ، فكان على ما أحب
يحيى ، وحصل بذلك على أجر هذه النية الصادقة والإيثار الجميل .

ولقد كان إعجاب الإمام الذهبي بهذا الخبر كبيراً حيث قال :
«هكذا كان العلماء فانظر يامسكين كيف أنت عنهم بمعزل» وهو بهذا
يُنحي بالأئمة على من لم يبلغوا هذا المستوى الرفيع من العلماء الذين
يخالفون الصواب وقد يلبسون الحق حفاظاً على سمعتهم العلمية
وجاههم المكتسب من العلم.

من مواقف يحيى بن معين ونعيم بن حماد رحمهما الله :

من ذلك ما رواه الحسين بن عُلَيْل قال: حدثنا يحيى بن معين قال:
أخطأ عفان في نيف وعشرين حديثاً ، ما أعلمت بها أحداً وأعلمته
سراً .

وكذلك قال : ما رأيت على رجل خطأ إلا سترته وأحبت أن أزين أمره ، وما استقبلت رجلا في وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه فإن قبل ذلك وإلا تركته^(١) .

فهذا دليل على غزارة علم يحيى بن معين ، فهو قد أحصى مرويات شيخه عفان بن مسلم فصوّبه فيها ما عدا عشرين موضعا خطأه فيها ، فكيف بإحاطته بمرويات الشيوخ الآخرين !

ثم إن هذا الخبر مثل من أمثلة الأخلاق النبيلة ، فقد أعلم يحيى بن معين شيخه بتلك الأخطاء سرّاً ولم ينشرها على الناس وكذلك في نقده الشيوخ الآخرين كما ذكر ، وهذا دليل على إخلاصه ، وأنه لم يُرد الجاه والسمعة العلمية ، وإنما أراد وجه الله تعالى ، ولعله قال هذا الكلام بعد موت شيخه عفان رحمهما الله تعالى .

ولكن يحيى بن معين قد ينتقد بعض الشيوخ علناً ، وذلك فيما إذا كان في حلقة علمية والطلاب يكتبون عن الشيخ فإنه والحال هذه

(١) سير أعلام النبلاء ١١ / ٨٣ .

يكون مضطراً إلى إعلان النقد حتى لا يكتب التلاميذ خطأ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي من رواية ابن عباس الدوري قال: حدثنا يحيى بن معين قال: حضرت نعيم بن حماد بمصر، فجعل يقرأ كتاباً صنّفه، فقال: حدثنا ابن المبارك عن ابن عون، وذكر أحاديث، فقلت: ليس ذا عن ابن المبارك، فغضب وقال: تردُّ علي؟ قلت: إي والله أريد زينك، فأبى أن يرجع، فلما رأته لا يرجع قلت: لا والله ما سمعت هذه من ابن المبارك ولا سمعها هو من ابن عون: فغضب وغضب من كان عنده، وقام فدخل، فأخرج صحائف فجعل يقول وهي في يده: أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس بأمر المؤمنين في الحديث؟ نعم يا أبا زكريا غلطت، وإنما هذه الأحاديث عن غير ابن المبارك عن ابن عون^(١).

وهذا الخبر يُعدُّ مثلاً على علم يحيى بن معين وخبرته بالأسانيد فقد ردَّ على البديهة على نعيم بن حماد وخطأه في تلك الأسانيد وكان

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٨٩-٩٠.

وإثقا من علمه كثيرا ، فلهذا أقسم على أن تلك الأحاديث لم يروها
نعيم عن ابن المبارك ولا رواها ابن المبارك عن ابن عون .
وموقف جليل من نعيم بن حماد لما رجع إلى أصوله فأعلن خطأه
وصواب ابن معين على الملاء ، وأشاد بابن معين بإنكاره على من لم
يعترف له بالإمارة في الحديث .

من مواقف الحافظين أبي حاتم وأبي زرعة رحمهما الله :

من المواقف العلمية الرائعة التي تبين عمق البارزين من علماء
الحديث ومقدرتهم الفائقة على الحكم على النصوص وتمييز مقبولها
من مردودها ما أخرجه الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم
قال: سمعت أبي رحمه الله يقول : جاءني رجل من جلة أصحاب
الرأي^(١) من أهل الفهم منهم ، ومعه دفتر فعرضه علي فقلت في
بعضها : هذا حديث خطأ قد دخل لصاحبه حديث في حديث ،

(١) يعني من الفقهاء الذين ليس لهم اهتمام برواية الحديث وكانوا يسمونهم أهل الرأي

وقلت في بعضه : هذا حديث باطل ، وقلت في بعضه : هذا حديث منكر ، وقلت في بعضه : هذا حديث كذب ، وسائر ذلك صحيح ، فقال لي : من أين علمت أن هذا خطأ وأن هذا باطل وأن هذا كذب؟ أخبرك راوي هذا الكتاب بأني غلطت وأني كذبت في حديث كذا؟ فقلت : لا ، ما أدري هذا الجزء من رواية من هو؟ غير أنني أعلم أن هذا خطأ وأن هذا باطل ، وأن هذا الحديث كذب ، فقال : تدعي الغيب؟ قال قلت : ما هذا ادعاء الغيب ، قال : فما الدليل على ما تقول؟ قلت : سل عما قلت من يحسن مثلما أحسن ، فإن اتفقنا علمت أننا لم نجازف ولم نقله إلا بفهم .

قال : من هو الذي يحسن مثلما تحسن؟ قلت : أبو زرعة ، قال : ويقول أبو زرعة مثلما قلت؟ قلت : نعم ، قال : هذا عجيب ، فأخذ فكتب في كاغد ألفاظي في تلك الأحاديث ثم رجع إليّ وقد كتب ألفاظ ما تكلم به أبو زرعة : هو كذب قلت : الكذب والباطل واحد ، وما قلت أنه كذب قال أبو زرعة : إنه باطل ، وما قلت إنه منكر قال أبو زرعة : هو منكر كما قلت : وما قلت إنه

صحاح قال أبو زرعة : هو صحاح .

فقال : ما أعجب هذا تتفقان من غير مواطأة فيما بينكما ،
فقلت : فقد علمت عند ذلك أنا لم نجازف وإنما قلناه بعلم ومعرفة
قد أوتيناها ، والدليل على صحة ما نقوله أن دينارًا بهرجًا يُحمل إلى
الناقد فيقول : هذا دينار بهرج ، ويقول : الدينار هو جيد ، فإن قيل
له من أين قلت إن هذا بهرج ؟ هل كنت حاضرًا حين بهرج هذا
الدينار ؟ قال : لا ، فإن قيل له : فأخبرك الرجل الذي بهرجه أي
بهرجت هذا الدينار ؟ قال : لا ، قيل : فمن أين قلت إن هذا بهرج ؟
قال : علمًا رُزقت ، وكذلك نحن رزقنا معرفة ذلك .

وقلت له : فتحمل فص ياقوت إلى واحد من البصراء من
الجوهريين فيقول : هذا زجاج ، ويقول لمثله : هذا ياقوت ، فإن قيل
له : من أين علمت أن هذا زجاج وهذا ياقوت ؟ هل حضرت
الموضع الذي صنع فيه هذا الزجاج ؟ قال : لا ، قيل له : فهل
أعلمك الذي صاغه بأنه صاغ هذا زجاجا ؟ قال : لا ، قال : فمن
أين علمت ؟ قال : هذا علم رُزقت ، وكذلك نحن رزقنا علمًا ،

لايتهاً لنا أن نخبرك كيف علمنا بأن هذا الحديث كذب وهذا منكر إلا بما نعرفه .

قال أبو محمد - يعني ابن أبي حاتم - : تُعرف جودة الدينار بالقياس إلى غيره فإن تخلف عنه في الحمرة والصفاء علم أنه مغشوش ، ويُعلم جنس الجواهر بالقياس إلى غيره فإن خالفه في الماء والصلابة علم أنه زجاج ، ويقاس صحة الحديث بعدالة ناقله، وأن يكون كلاماً يصلح أن يكون من كلام النبوة ، ويُعلم سقمه وإنكاره بتفرد من لم تصح عدالته بروايته والله أعلم^(١) .

فهذا الحوار العلمي الرفيع يدل على تفوق البارزين من علماء الحديث في معرفة الأحاديث، أسانيد وامتونا ، والحكم عليها ، فهذان الحافظان أبو حاتم وأبو زرعة يحكمان على مجموعة من الأحاديث على البديهة ثم يتفق حكمهما ، وهذه النتيجة كما أذهلت ذلك العالم الفقيه فإنها تذهل الكثيرين ممن لم يخبروا هذا العلم ،

(١) الجرح والتعديل ١/٣٤٩-٣٥١ ، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٥٣-٢٥٤ .

لكنها نتيجة طبيعية عند أرباب هذا الشأن .

وقد بين ابن أبي حاتم أن النقد يكون للإسناد ويكون للمتن ،
فيكون للإسناد بمعرفة عدالة ناقله وتفردهم بروايته ، ويكون في
المتن بعدم صلاحيته أن يكون من كلام النبوة ، وهذا هو الذي
يحكمون عليه بالنكارة في المتن .

وأمثال هؤلاء العلماء المتبحرين في هذا العلم هم الذين
يستحقون حقا أهلية الحكم على الأحاديث، وإذا حكموا على
حديث فلا ينبغي لمن جاء بعدهم أن يخالفهم إلا إذا كان في
مستواهم العلمي وحصل له بالدراسة علم زائد عما عندهم .

ومن النماذج الجيدة التي جرت بين هذين الحافظين الكبيرين
أبي حاتم وأبي زرعة ما أخرجه ابن أبي حاتم قال : سمعت أبي يقول :
جرى بيني وبين أبي زرعة يوما تميز الحديث ومعرفته فجعل يذكر
أحاديث ويذكر عللها ، وكذلك كنت أذكر أحاديث خطأ وعللها
وخطأ الشيوخ ، فقال لي : يا أبا حاتم قلّ من يفهم هذا ، ما أعز هذا ،
إذا رفعت هذا من واحد أو اثنين فما أقل من تجد من يحسن هذا ،
وربما أشك في شيء أو يتخالفني شيء في حديث فإلى أن ألتقي معك

لا أجد من يشفيني منه ، قال أبي : وكذلك كان أمري ^(١) .
فهذا مثال على ندرة المتأهلين للحكم على الأحاديث مع كثرة
الحفاظ في ذلك الزمن ، وإذا كان المتأهلون للحكم على الأحاديث
قليلاً في ذلك الزمن الذي بلغ فيه الاتجاه نحو جمع السنة ودراستها
أقصى حد بلغه فكيف بالعصور المتأخرة التي ضعف نشاط طلاب
العلم فيها في مجال جمع السنة ودراستها

وإن في هذا المثل مع الأمثلة السابقة بيان خطورة الإقدام على
الحكم على الأحاديث ، وأن ذلك ليس من شأن الطلاب المبتدئين في
هذا العلم ، وإنما هو من اختصاص العلماء المنتهين الذين جمعوا أكبر
قدر ممكن من السنة وأحاطوا بطرق الروايات المتعددة ، وعرفوا
مرويات الرواة الذين اتهموا بالخطأ والوهم بحيث يميزون بين
رواياتهم السليمة ورواياتهم المتقدمة ، وأدركوا علل الأحاديث التي
بينها جهابذة العلماء ، فليخش الله تعالى طلاب العلم الذين اتجهوا

(١) الجرح والتعديل ١/٢٥٦ ، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٥٢ .

لدراسة علوم الحديث وليعرفوا قدرهم ، وليقتصروا على الموازنة بين حكم العلماء على الأحاديث لا على رجال الأسانيد ، وليتركوا الحكم على الأحاديث المبني على دراسة الأسانيد حتى يصلوا من العلم إلى مستوى أولئك العلماء الجهابذة المتبحرين في هذا العلم .

من مواقف أحمد بن حنبل وأحمد بن صالح رحمهما الله :

من النماذج الجيدة في الحوار العلمي ما أخرجه الخطيب البغدادي عن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال قال : سمعت أبا بكر بن زنجويه يقول : قدمت مصر وأتيت أحمد بن صالح ، فسألني من أين أنت ؟ قلت : من بغداد ، قال : منزلك من منزل أحمد بن حنبل ؟ قلت . أنا من أصحابه . قال : تكتب لي موضع منزلك فإني أريد أوافي العراق حتى تجمع بيني وبين أحمد بن حنبل : فكتبت له فوافي أحمد بن صالح سنة اثنتي عشرة^(١) إلى عفان فسأل عني ، فلقيني . فقال : الموعد الذي بيني وبينك ؟

(١) يعني ومائتين .

فذهبت به إلى أحمد بن حنبل واستأذنت له فقلت : أحمد بن صالح بالباب ، فأذن له ، فقام إليه ورَّحَّب به وقربه وقال له : بلغني أنك جمعت حديث الزهري ، فتعال نذاكر ما روى الزهري عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فجعلا يتذاكران ولا يُغرب أحدهما عن الآخر حتى فرغا ، قال وما رأيتُ أحسن من مذاكرتهما . ثم قال أحمد بن حنبل لأحمد بن صالح : تعال حتى نذاكر ما روى الزهري عن أولاد أصحاب رسول الله ﷺ ، فجعلا يتذاكران أحدهما على الآخر إلى أن قال أحمد بن حنبل لأحمد بن صالح : عند الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال النبي ﷺ : «مايسرنى أن لي حُمْر النعم وأن لي حلف المطَّيين»^(١) .

فقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل : أنت الأستاذ وتذكر مثل هذا ؟ فجعل أحمد ابن حنبل يبتسم ويقول : رواه عن الزهري رجل

(١) هو حلف تحالف فيه بعض قريش على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم وسمي

بذلك لأنهم غمسوا أيديهم في جفنة فيها طيب .

مقبول ، أو صالح - عبد الرحمن بن إسحاق - فقال : من رواه عن عبد الرحمن ؟ فقال : حدثناه رجلان تقيان - إسماعيل ابن عليّة ، وبشر بن الفضل - فقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل : سألتك بالله إلا أمليته عليّ ، فقال أحمد من الكتاب ، فقام ودخل وأخرج الكتاب وأملى عليه ، فقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل : لو لم أستفد بالعراق إلا هذا الحديث كان كثيرًا ، ثم ودعه وخرج^(١) .

فهذا مجلس علمي مفيد بين الإمامين أحمد بن حنبل وأحمد بن صالح المقرئ ، تذاكر فيه أحاديث كثيرة من أحاديث الإمام الزهري ، وفي هذا الخبر تظهر فرحة أحمد بن صالح لما استفاد حديثا ليس عنده بذلك السند الذي رصيه أحمد بن حنبل فطلب في الحال أن يحدثه به . وفيه موقف من مواقف الورع والاحتياط للدين ، فحينما كانا يتذاكران كانت المذاكرة من حفظهما ، ولما أراد الإمام أحمد بن حنبل أن يحدث حديثا يكتب عنه قام وجاء بكتابه .

(١) تاريخ بغداد ٤/ ١٩٧ .

ومن ذلك ما روي عن الحسين بن إسماعيل عن أبيه قال : كان
يجتمع في مجلس أحمد^(١) زهاء خمسة آلاف أو يزيدون ، نحو خمسمائة
يكتبون والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت^(٢) .
ويقول أبو بكر بن المطَّوع : اختلفت إلى أبي عبد الله ثنتي عشرة
سنة وهو يقرأ المسند على أولاده فما كتبت عنه حديثا واحدا ، إنما كنت
انظر إلى هديه وأخلاقه^(٣) .

في هذين الخبرين مثل من اهتمام أهل العلم بتعلم الأخلاق
والأدب ، وتلقي التربية الدينية من العلماء الربانيين .
وهكذا ينبغي لطلاب العلم أن يهتموا بتعلم الأدب ومكارم
الأخلاق من العلماء كاهتمامهم بجمع العلم وتحصيله .

(١) يعني الإمام أحمد بن حنبل .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣١٦ .

(٣) المصدر السابق ١ / ٣١٦ .

من مواقف ابن المنادي رحمه الله :

من أخبار العلماء في مجال النقد التربوي ما ذكره القاضي أبو يعلى في ترجمة أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي حيث ذكر عن أبي الفضل عبد الله بن أحمد الصيرفي قال: وقال لي أبو الحسين بن الصلت : كنا نمضي مع ابن قاج الوراق إلى ابن المنادي لنسمع منه، فإذا وقفنا ببابه خرجت إلينا جارية له وقالت : كم أنتم ؟ فنخبرها بعددنا ويؤذن لنا في الدخول فيحدثنا ، فدخل معنا مرة إنسان علوي و غلام له ، فلما استأذنا قالت الجارية ، كم أنتم ؟ فقلنا : نحو ثلاثة عشر ، وما كنا حسبنا العلوي ولا غلامه في العدد، فدخلنا عليه ، فلما رأنا خمسة عشر نفسا قال : انصرفوا اليوم فلست أحدثكم ، فانصرفنا وظننا أنه عرض له شغل ، ثم عدنا إليه مجلسا ثانيا فصرَفنا ولم يحدثنا ، فسألناه بعد ذلك عن السبب الذي أوجب ترك الحديث لنا فقال : كتتم تذكرون عددكم في كل مرة للجارية وتصدقون ، ثم كذبتم في المرة الأخيرة ، ومن كذب في هذا المقدار لم يؤمن من أن يكذب فيما هو أكبر منه ،

فاعتذرنا إليه وقلنا : نحن نتحفظ فيما بعد ، فحدّثنا ، أو كما قال ^(١) .
فهذا مثل من حرص العلماء على تقويم أخلاق طلابهم وحملهم
على الالتزام بالسلوك القويم والأخلاق الكريمة ، فحينما لاحظ هذا
الشيخ اختلاف كلام أولئك التلاميذ عن واقعهم الفعلي رفض أن
يحدثهم لأن من يستهين بالكذب في الأمور الصغيرة يُخشى منه أن
يكذب فيما هو أكبر من ذلك ، ومن أجل هذا المنهج التربوي الجاد
أصبح مجتمع العلماء يكاد يكون نزيها من النفعيين والفساق .

موقف للحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله :

للحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي موقف علمي جيد رد
فيه تزييف بعض اليهود، وذلك فيما ذكره محمد بن عبد الملك الهمداني
في تاريخه قال : وأظهر بعض اليهود كتابا ادّعى أنه كتاب رسول الله
ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة الصحابة رضي الله
عنهم ، وذكروا أنه خط علي رضي الله عنه ، وحمل الكتاب إلى رئيس

(١) طبقات الحنابلة ٢ / ٣ - ٤ .

الرؤساء فعرضه على الخطيب فتأمله وقال : هذا مزوّر ، قيل : من أين قلت ؟ قال : فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح وفتحت خيبر سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين ، فاستحسن ذلك منه ^(١) .

فهذا مثل من غزارة علم الحافظ الخطيب البغدادي ومعرفته بالتاريخ الإسلامي حيث أبطل ذلك الكتاب المزور بمعرفته الدقيقة بتاريخ إسلام الصحابة رضي الله عنهم وتاريخ وفياتهم .

موقف للإمام موفق الدين بن قدامة رحمه الله :

من أمثلة اهتمام العلماء بأمر العدالة والحفاظ على سمعة العلماء ماجرى من الإمام موفق الدين ابن قدامة وهو يجيب على أحد العلماء الذين ردوا عليه حيث قال : إلى أن رأيت له فتاوى غيره فيها أسد جواباً وأكثر صواباً ، وظننت أنه ابتلي بذلك لمحبتة تخطئة الناس واتباعه عيوبهم ولا يبعد أن يعاقب الله العبد بجنس ذنبه .. ثم قال عن

(١) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٨٠ .

هذا العالم : وقد شغل كثيرًا من زمانه بالرد على الناس في تصانيفهم وكشف ما استتر من خطاياهم ومحبة بيان سقطاتهم ، ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يجب للناس ما يجب لنفسه ، أفترأه يجب لنفسه بعد موته من ينتصب لكشف سقطاته وعيب تصانيفه وإظهار أخطائه ؟ وكما لا يجب ذلك لنفسه ينبغي له أن لا يحبه لغيره ، سيما الأئمة المتقدمين والعلماء المبرزين^(١) .

فهذه الكلمات من الإمام الموفق تحتوي على توجيه جيد نحو ما ينبغي أن يتحلى به أهل العلم من الأدب العلمي ، فليس من الأدب أن يسارع أهل العلم في نقد العلماء ، ولا أن يجعلوا ذلك من مقاصدهم التي يهتمون بها .

والمراد بهذا النقد المذموم ما قُصِدَ به النقد لذاته ، أما إذا كان المقصود منه بيان الحق ولم يتمكن الناقد من البيان بغير ذلك فهو من النصيحة للمسلمين وليس من النقد المذموم .

(١) طبقات الحنابلة ٤/ ١٩٥ - ١٩٦ .

من مواقف الشيخ محمد بن محمد الطيب المالكي رحمه الله :

قال عنه الشيخ محمد خليل المرادي وُلد بالمغرب الأقصى وحفظ القرآن وهو ابن ثمان سنين، ثم اشتغل في حفظ المتون على والده وقرأ عليه الأجرومية وعلى الشيخ محمد السعديّ الجزائريّ السنوسية ومنظومة في العبادات مختصة في المسائل الفقهية ، ودرّس السنوسية للطلاب قبل أوان الاحتلام ورحل من بلاده في البر إلى طرابلس الغرب وما وجبت عليه صلاة ولاصيام ، ومن طرابلس ركب البحر إلى الجامع الأزهر فطلب العلم بمصر سنتين وثمانية أشهر .

ثم سافر لزيارة والدته في البحر فأسره الفرنج وذهبوا به إلى مالطة مركز الكفر ثم نجاه الله تعالى بعد سنتين وأيام ناظرته رهبان النصرى مناظرة واسعة وكان فيهم راهب له دراية بالمسائل المنطقية والعربية ويزعم أن همته بارعة وكانت مدة المناظرة نحو ثمانية أيام فأخرسهم الله وأكبتهم ووقعوا في حَيْص بَيْص ، فمن جملة مناظرتهم معه في ألوهية عيسى أن قال كبيرهم يا محمديّ : إن حقيقة عيسى امتزجت مع حقيقة الإله فصارتا حقيقة واحدة .

قال : فقلت له : لا يخلو الأمر فيهما قبل امتزاجهما أن تكونا قديمتين أو حادثتين أو إحداهما قديمة والأخرى حادثة وكل الاحتمالات باطلة فالامتزاج على كل الاحتمالات باطل أما على الأول فإن الامتزاج مُفضٍ للحدوث قطعاً لأنه تركيب بعد أفراد وكل تركيب كذلك لا محالة حادث والحادث لا يصلح للألوهية ، وأما الثاني فظاهر البطلان ، وأما الثالث بوجهيه فباطل أيضاً لأن القديمة منهما بعد الامتزاج يلزم حدوثها والحادثة منهما بعده يلزم قدمها فيؤدي إلى قلب الحقائق وقلبها محال ، ويلزم أيضاً اجتماع الضدين وهو باطل باتفاق العقول .

ولما سُقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا في هذا الطريق قال لي كبيرهم : عقولنا لاتصل لهذا الأمر الدقيق فقلت له : هذا عندنا من علوم أهل البداية لا من علوم أهل النهاية فبهت الذي كفر وعبس واكفهر ، قلت لكبيرهم : بالله عليك : أعيسى كان يعبد الصليب ؟ قال : لا وإنما ظهر الصليب بعد قتله - على زعمهم - ونحن نعبد شبيه الإله فقلت له : بالله عليك الله شبيهه ؟ قال : لا ، فقلت له : يجب

عليك حرق هذه الصلبان بالزفت والقطران فاستشاط غيظاً وقال لي:
كنت أوقعك في المهالك وأجعلك عبرة لكن الله أمرنا بحب الأعداء ،
فقلت له : لكن الله أمرنا بيبغض الأعداء ، فقال لي : إذا شريعتنا كاملة
فقلت له على طريقة الاستهزاء : شريعتكم كاملة لأنها تعبد الأصنام
والصلبان وشريعتنا ناقصة لأنها تعبد الله وحده لا شريك له ؟ فاشتد
غضبه حتى كاد أن يبطش بي ولكن الله سلم لمزيد اللطف بي .

ثم إن كبيرهم قال لي : يا محمديّ إني رأيت في كتبكم الحديثة أن
نبيكم انشق له القمر نصفين فدخل نصفه من كُمِّ والنصف من الكم
الأخر وخرج تاماً من جيب صدره ومساحة البدر مثل الدنيا ثلاث
مرات وثلاث وهي ثلاثمائة وثلاث وثلاثون سنة وثلاث فما هذه
الخرافات ؟ فقلت له : أما ورد إن إبليس جاء لسيدنا إدريس وهو
يخيط بالإبرة ويده قشرة بيضة وقال له: أيقدر ربك أن يجعل الدنيا في
قشرة هذه البيضة ؟ فقال لي : نعم ورد ذلك ، فقلت له : كيف يقدر ؟
فقال : إما أن يكبر القشرة أو يصغر الدنيا ، فقلت له : سبحان الله
تحلونه عامًا وتحرمونه عامًا وإذا سلّمْتَ هذا فلمَ لا تسلمه لنيينا ؟

فغص بريقه واصفر وعبسى وتولى فقتل كيف قدر ، وهذا الجواب مني من باب إرخاء العنان للإلزام وإلا فدخل نصفي البدر في الكُمين باطل عند جميع المحدثين الأعلام لكن كبيرهم لا يعرف اصطلاح علمائنا ذوي المقام العالي فلو أجبته ببطلانه لقال لي: رأيت في كتبكم فلا يصغي لمقالي فلذلك دافعته بالبرهان القطعي العقلي لأنه لا يمثل بعدما رآه للدليل النقلي .

ثم إن كبيرهم في ميدان البحث أنكر نبوة نبينا السيد الكامل وقال : إنه عندنا ملك عادل ، فقلت له : ما المانع من نبوته ؟ فقال : نحن لانقول بها وإنما نقول بشدة صولته ، فقلت له : أليس النبي الذي أتى بالمعجزات وأخبر بالمغيبات ؟ فقال كبيرهم : أي معجزة أتى بها وأي مغيبات أخبر بها فسردت له بعض المعجزات وأعظمها القرآن وذكرت له بعض المغيبات ، فقال لي : رأيت البخاري من علمائكم ذكر بعضها ، ثم قال لي : إنها علمه ذلك الغلام يشير لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بِشَرُّهُ ﴾ [النحل : ١٠٣] فقلت له : بالله عليك لسان ذلك الغلام ماذا ؟ قال : أعجمي ، فقلت له : بالله عليك لسان

نبينا ماذا؟ قال: عربيّ، قلت له: بالله عليك نبينا يقرأ ويكتب أم أمي؟
قال: أمي لا يقرأ ولا يكتب، فقلت له: بالله عليك هل سمعت عربياً
يتعلم من عجمي، قال: لا، فأفحم في الجواب وانقطع عن الخطاب.
ثم قال لي: كيف يقول قرآنكم ﴿يَتَأَخَتَ هَارُونَ﴾؟ [مريم:
٢٨] وبينه وبينها ألف من السنين؟ فقلت له: أنت أعجمي لا تعرف
لغة العرب كيف ميناها، فقال لي: وكيف ذلك؟ فقلت له: يُطلق
الأخ في لغتهم على الأخ النسبي وعلى الأخ الوصفي والمراد هنا الثاني
ومعنى الآية يا أيتها المتصفة عندنا بالعفة والديانة والعبودية مثل
هارون الموصوف بتلك الصفات الكاملة وهذا المعنى في لسان العرب
شائع وفي مجاراتهم ومجاري أساليبهم ذائع، فوقف حمار الشيخ في
الطين.

ولما رأني صغير السن وكان سني إذ ذاك نحو تسع عشرة سنة،
قال لي: تصلح أن تكون مثل ولد ولدي فمن أين جاءتك هذه
المعرفة التامة؟ فقلت له: جميع ما سألتني عنه هو من علوم البداية
ولو خضت معي في مقام النهاية لأسمعك ما يُصمُّ أذنيك وفي هذا

القدر كفاية ، فترك المناظرة ورجع القهقري ، وشاع صيتي في مالطة
بين الرهبان والكبراء وكنت إذا مررت في السوق يحترموني وما
خدمت كافرًا قط وكان سبب خلاصي رؤيا مبشرة ، من يومها ركبت
سفينة النجاة متوجهًا لإسكندرية ثم منها لمصر القاهرة .

ثم سافرت للحجاز مرارًا ودخلت اليمن وعمان والبحرين
والبصرة وحلب ودمشق وتوجهت للروم ثم ألقيت عصا التسيار في
بيت المقدس ، وجاءتني الفتيا وأنا لها كاره . ومراسلاته وأشعاره
كثيرة .

وكانت وفاته في القدس سنة إحدى وتسعين ومائة وألف ،
رحمه الله تعالى^(١) .

فهذا الشاب الذي لم يبلغ العشرين من عمره جرت منه هذه
المناظرة القوية العميقة ، وهي تدل على نبوغ مبكر ، كما تدل على قوة

(١) المخار المصبون للدكتور محمد بن حسن بن عقيل / ١٣٤٨ - ١٣٥١ نقلًا عن سلك

الدرر للشيخ محمد المرادي .

الحركة العلمية في ذلك العصر ، حيث إن هذه المقدرة العلمية الفائقة كانت نتاج المدارس الإسلامية المنتشرة آنذاك في المساجد ودور العلم . لقد أعز هذا الشاب الصغير الإسلام ، ورفع من ذكر علماء المسلمين ، حيث أصبح أحبار النصارى معه حيارى مخذولين ، ولسان حالهم يقول : إذا كان هذا موقفنا مع هذا التلميذ فكيف لو ناظرنا شيوخه الذين تلقى عنهم العلم .

ولقد كان جريئاً حينما خاطبهم بذلك الأسلوب القوي الهجومي مع أنه كان في موقف الضعف وكانوا في موقف القوة ، وألغى التفكير في كل الاحتمالات الممكنة التي منها أن يتعرض للقتل من أجل إعزاز الإسلام والدفاع عنه ، وهذا يدل على قوة إيمانه ورسوخ يقينه .

توجيهات ومواقف
في
إعزاز العلم وتكريم أهله

من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

ذكر الإمام الذهبي من خبر أبي العالية قال : كان ابن عباس رضي الله عنهما يرفعني على السرير وقريش أسفل من السرير، فتغامزت بي قريش فقال ابن عباس : هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويُجلس المملوك على الأسرة .

قال الإمام الذهبي: هذا كان سرير دار الإمرة لما كان ابن عباس متوليها لعل رضي الله عنهم^(١) .

فهذا موقف كريم من عالم الأمة الكبير في تكريم حملة العلم الشرعي ، وتكريم العلماء يُعدُّ إغزازاً للعلم .

فلقد كان أبو العالية رُفيع بن مهران الرياحي رحمه الله تعالى من الموالي ، فاستكثر العرب من قريش أن يرفعه ابن عباس فوقهم وهم أصحاب النسب الرفيع ، فأبان لهم أن مؤهل الكرامة والرفعة ليس في شرف النسب، وإنما هو في العلم الذي يوصل صاحبه إلى التقوى ،

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٢٠٨ ، وذلك حينما كان ابن عباس أميراً على البصرة .

وينفع الله به الأمة .

وعلى هذا المنهج ينبغي أن يسير المسلمون في تكريم أهل العلم ورفع مكانتهم بغض النظر عن أنسابهم ومواطنهم .

من مواقف الإمام مكحول رحمه الله :

من ذلك ما رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال : أقبل يزيد ابن عبد الملك إلى «مكحول» في أصحابه، فلما رأيناه هممنا بالتوسعة له، فقال مكحول : دعوه يجلس حيث أدرك يتعلم التواضع^(١) .

فهذه ملاحظة مهمة من أبي عبد الله مكحول الشامي رحمه الله في آداب التعلم، فمن أهم آدابه التواضع، وقد كان العلماء يحرصون على لزوم تحلي طالب العلم بالتواضع، ويرون أن تميز بعض الطلاب بمزايا خاصة قد يفسدهم بما يتولد عن ذلك من اتصافهم بالكبرياء والغرور ، وقد يفسد بعض الطلاب الآخرين بما يترتب في نفوسهم من الحقد والضغينة على هؤلاء الطلاب المميزين ، كما أن ذلك

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٦٢ .

يضعف من مكانة الشيخ عندهم ومن قوة ارتباطهم به ، وبالتالي يضعف المستوى العلمي عند هؤلاء وهؤلاء .

من مواقف الإمام مالك رحمه الله :

من أمثلة مواقف العلماء في إعزاز العلم مارواه عمر بن المحبّر الرّعيني قال : قدم المهدي المدينة فبعث إلى مالك فأتاه، فقال له هارون وموسى^(١) : اسمعنا منه ، فبعث إليه فلم يجبهما، فأعلمنا المهدي، فكلمه فقال : يا أمير المؤمنين العلم يُؤتَى أهله، فقال: صدق مالك، صِيراً إليه، فلما صاروا إليه قال له مؤدبهما : إقرأ علينا، فقال: إن أهل المدينة يقرؤون على العالم كما يقرأ الصبيان على المعلم، فإذا أخطأ أفتاهم ، فرجعوا إلى المهدي فبعث إلى مالك فكلمه، فقال: سمعت ابن شهاب يقول: جمعنا هذا العلم في الروضة من رجال وهم يا أمير المؤمنين سعيد بن المسيب وأبو سلمة، وعروة ، والقاسم، وسالم، وخارجة بن

(١) يعني قال المهدي لابنيه هارون وموسى .

يزيد ، وسليمان بن يسار، ونافع ، وابن هرمز . قال مالك: ومن بعدهم : أبو الزناد ، وربيعة ، ويحيى بن سعيد ، وابن شهاب ، كل هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يقرؤون ، فقال: في هؤلاء قدوة ، صيروا إليه فاقروا، ففعلوا^(١) .

وهكذا أصر الإمام مالك بن أنس على الالتزام بالمنهج التعليمي الذي تعلمه من شيوخه لأن هذا المنهج يحمل طالب العلم على التواضع للعلماء واحترام العلم، فالعلم ليس مجرد معلومات يُحشى بها الفكر والذاكرة، وإنما هو منهج حياة وعمل صالح وسلوك قويم يترتب على العلم النافع، فإذا أُخذ العلم بالتعالي والترفع واعتبار المنزلة الاجتماعية فإنه يورث الكبر والغرور فيضر صاحبه أكثر مما ينفعه .

فالعلماء الربانيون كانوا يحرصون دائماً مع نشر العلم على تربية الطلاب وتقويم سلوكهم ، فإذا تهيأت الظروف المناسبة لطلب العلم

(١) سير أعلام النبلاء ٦٣/٨ .

عند الطالب قبلوه في حلقتهم لثقتهم بأن غرسهم الطيب سيؤتي بإذن الله تعالى ثمراته الطيبة ، أما إذا كانت بداية الطالب لاتناسب كونه طالب علم فإنهم يرفضونه من أول الأمر حتى لا يكون طلبه للعلم وبالاً عليه وعلى مجتمعه .

ونجد الإمام مالكا يركز على ملاحظة سلامة الآثار المترتبة على التعلم حيث يحرص على تهيئة الجو المناسب للانتفاع بالعلم قبل نشره، ومن أمثلة ذلك مارواه هارون بن موسى الفروي قال: سمعت مصعبا الزبيري يقول : سأل هارون الرشيد مالكا وهو في منزله ومعه بنوه أن يقرأ عليهم ، قال: ماقرأت على أحد منذ زمان وإنما يُقرأ عليّ، فقال : أخرج الناس حتى أقرأ أنا عليك، فقال: إذا مُنِع العام لبعض الخاص لم ينتفع الخاص ، وأمر معن بن عيسى فقرأ عليه^(١) .

فهذه كانت فرصة ثمينة أمام الإمام مالك ليقرأ على أمير

(١) سير أعلام النبلاء ٦٦/٨ .

المؤمنين وبنيه لعلهم يتأثرون بمواعظه، خاصة إذا اختار الموضوعات المناسبة للمقام، ولكن مالكا كان يشدد على ضمان الانتفاع بهذا العلم ويرى أن التواضع بين يدي المعلم عامل أساسي في حصول هذا النفع، ويرى أن أهم أسباب هذا التواضع أن يقوم الطالب بالقراءة بين يدي الشيخ .

وفي كلامه ما يدل على أن تميز بعض الطلاب بخصائص معينة يحرمهم من الاستفادة ، لأن التميز مدخل من مداخل الكبرياء وإذا دخل في النفس شيء من ذلك حُرِم الطالب من التوفيق إلى الانتفاع، لأن القلوب بيد الرحمن جل وعلا فإذا علم من عبده أن قلبه متجرد للعلم مشتاق إلى الانتفاع بما تعلم لِيُتَبَّعَهُ بالعمل الصالح وفقه إلى العلم النافع وسدد خطاه نحو العمل الصالح ، وإذا علم أن قلب عبده قد تسربت إليه اعتبارات أخرى دفعتة إلى التعلم حال بينه وبين العلم النافع ، فلم يثمر علمه عملا صالحا .

ومن ذلك ما روي عن الإمام مالك رحمه الله من تعظيمه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك يقول ابن أبي أويس : كان

مالك إذا أراد أن يحدث توضأً وجلس على فراشه ، وسرح لحيته ،
وتمكن من الجلوس بوقار وهيبة ، ثم حَدَّثَ ، فقيل له في ذلك ،
فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا
أحدث به إلا على طهارة متمكنا ، وكان يكره أن يحدث في الطريق
وهو قائم أو يستعجل ، فقال: أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول
الله ﷺ^(١) .

فهذا مثل من تعظيم الإمام مالك لحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم واهتمامه به ، فهو لا يحدث به إلا على طهارة مع أن ذلك
ليس واجبا عليه، ويكون متمكنا من جلوسه بوقار وهيبة، ولا يحدث
به قائما أو ماشيا.

وهذا الاهتمام يدل على مبلغ توقيره لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعظيمه للإسلام.

وقد ذكر من حكمة ذلك أن يكون مستجمعا لفكره حتى

(١) حلية الأولياء ٦/٣١٨ .

يحدث بفهم واستيعاب لما يحدث به ، ومن أجل ذلك نفع الله تعالى بعلمه، وطار صيته في مشارق الأرض ومغاربها ، لأنه كان يحدث من قلبه، فكل من سمعه وصل حديثه إلى قلبه .

وإذا تصورنا أنه يعيد الحديث الواحد عشرات المرات كلما جاءه من يطلب سماعه منه كما فعل في الموطأ، وفي كل مرة يستجمع فكره ويتأمل معاني الأحاديث .. إذا تصورنا ذلك فما أعمق الفهم الذي سيخرج به ! وما أغزر العلم الذي سيستنبطه من تلك الأحاديث!

من مواقف أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور رحمه الله :

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير في ترجمة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ، قال: وقد كان المنصور في شببته يطلب العلم من مظانّه والحديث والفقّه ، فنال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً ، وقد قيل له يوماً : يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من اللذات لم تنلّه ؟ قال : شيء واحد ، قالوا: وما هو ؟ قال: قول المحدث للشيخ من ذكرتَ رحمك الله ، فاجتمع وزراؤه وكتّابه حوله وقالوا : لِيُملِ علينا أمير المؤمنين شيئاً من الحديث ، قال: لستم بهم، إنما هم الدنسة ثيابهم المتشقة أرجلهم الطويلة

شعورهم، رُؤَاد الآفاق وقُطَاع المسافات، تارة بالعراق وتارة بالحجاز ،
وتارة بالشام وتارة باليمن ، فهو لاء نقله الحديث ^(١) .

فهذا تقدير عظيم من أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور للعلم
وأهله، ولا يقدرُ الأمور العظيمة إلا العظماء، فهو يرى أن كل ما هو فيه
من متاع الدنيا .. من المال والجاه والسلطان لا يعادل متعة الشيخ العالم
حينما يقول له تلميذه : مَنْ ذَكَرْتَ رَحِمَكَ اللهُ.. وذلك لأن الاحترام
الصادر من التلميذ لشيخه لا يعادله أي احترام من أحد لأحد .

وأبو جعفر المنصور كان يفكر بالاحترام القلبي من التلاميذ
لشيخهم، الذي تعبّر عنه قَسَمَاتُ وجوههم ونظرات التلهّف والشوق
إلى المزيد من السماع منه ، فيرى أن هذا المشهد المؤثر لا يتكرر وجوده
في غير ذلك الجو الروحي المحيط بحلقات العلم .

وحينما عرض عليه وزراؤه وكتّابه أن يوفروا له هذه المتعة
بتحوّلهم إلى طلاب علم وقيامه بتحديثهم أبان لهم أن هذه الصورة

(١) البداية والنهاية ١٠/١٢٩ .

المصطنعة لا تُكُون تلك المتعة الروحية لأن أبطال هذا الميدان ليسوا هم، وإنما هم طلاب العلم الحقيقيون الذين ذكر صفتهم .

من مواقف هاشم السلمي وشيخه أبي شيبة :

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير في ترجمة أبي معاوية هاشم بن بشير بن أبي حازم السلمي، قال: كان أبوه طباحا للحجاج بن يوسف الثقفي، ثم كان بعد ذلك يبيع الكوامخ^(١)، وكان يمنع ابنه من طلب العلم ليساعده على شغله، فأبى إلا أن يسمع الحديث، فاتفق أن هاشمًا مرض فجاءه أبو شيبة قاضي واسط عائدًا له ومعه خلق من الناس، فلما رآه بشير فرح بذلك وقال: يا بني أبلغ من أمرك أن جاء القاضي إلى منزلي؟ لا أمنعك بعد هذا اليوم من طلب الحديث^(٢).

وهكذا عرف بشير بن أبي حازم قيمة العلم ومنزلة أهله حينما جاء قاضي واسط ومعه أهل العلم لزيارة ابنه هاشم الذي كان - آنذاك - من طلاب العلم، وكم كانت فرحته حينما جاء القاضي لزيارته لما سيترتب على ذلك من تقدير أبيه للعلم وأهله، وهذا

(١) جمع كامخ، معرّب، وهو اسم لما يؤتدم به.

(٢) البداية والنهاية ١٠/١٩٠.

موقف يذكر لأبي شيببة قاضي واسط في تقديره لطلاب العلم ، ولقد رفعت هذه الزيارة الحرج عن هاشم بن بشير ، حيث أصبح أبوه لا يمنعه بعد ذلك من العلم .

موقف للقاضي شريك النخعي رحمه الله :

مما كان يلاحظه العلماء أن يكون الطالب على هيئة تضمن اتصافه بخلق التواضع وبعده تماما عن مداخل الكبر ، يدل على ذلك مارواه حمدان بن الأصبهاني قال : كنت عند شريك فأتاه بعض ولد المهدي فاستند ، فسأله عن حديث فلم يلتفت إليه وأقبل علينا ، ثم أعاد فعاد بمثل ذلك ، فقال : كأنك تستخف بأولاد الخليفة ، قال : لا ولكن العلم أزين عند أهله من أن تضيعوه ، قال : فجثا على ركبتيه ، ثم سأله ، فقال شريك : هكذا يطلب العلم ^(١) .

وهذه لفظة جليلة من القاضي شريك بن عبد الله النخعي رحمه الله تعالى ، يعلم بها طلاب العلم التواضع قبل أن يعلمهم العلم ،

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٠٧ .

وذلك لضمان انتفاعهم بالعلم ، وعدم حصول القدوة السيئة بهم من الطلاب الآخرين .

موقف للإمام ابن المبارك رحمه الله :

من مواقف الإمام عبد الله بن المبارك ، مرواه أحمد بن الحواري قال: جاء رجل من بني هاشم إلى عبد الله بن المبارك ليسمع منه، فأبى أن يحدثه ، فقال الشريف لغلامه: قم فإن أبا عبد الرحمن لا يرى أن يحدثنا، فلما قام ليركب جاء ابن المبارك ليمسك بركابه، فقال: يا أبا عبد الرحمن تفعل هذا ولا ترى أن تحدثني ! فقال: أذُلُّ لك بدني ولا أذلُّ لك الحديث^(١) .

فهذا الرجل الشريف قد أتى بهيئة تتسم بالترفع والكبرياء فتحرج الإمام ابن المبارك من أن يحدثه وهو على تلك الحال حتى لا يُذَلَّ حديث رسول الله ﷺ .

وهذه النظرة الجليلة وأمثالها كان فيها حماية للعلم من أن يحمله

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٤ .

من ليسوا من أهله ، ومع هذا فإن ابن المبارك كان داعية ناجحًا حينما تواضع لذلك الرجل وقام لخدمته فأذل له نفسه في الوقت الذي أعز فيه علمه ، فله دره من إمام حكيم يضع الأمور في مواضعها .

من مواقف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله :

ذكر الحافظ الخطيب البغدادي من خبر بكر بن منير بن خليل بن عسكر قال: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخاري إلى محمد ابن إسماعيل : أن احمل إلي كتاب «الجامع» و «التاريخ» وغيرهما لأسمع منك، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرنى في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة ، لأني لا أكتم العلم ، لقول النبي ﷺ: « من سئل عن علم وكتمه أجم بلجام من نار »^(١) .

(١) تاريخ بغداد ٣٣/٢ ، والحديث المذكور أخرجه الأئمة أحمد في المسند ٢٦٣/٢ ، وأبو داود في سننه رقم ٣٦٥٨ ، (٤/٦٧) ، والترمذي في سننه ، رقم ٢٦٤٩ (٢٩/٥) وحسنه .

فهذا مثل جيد في إعزاز العلم، فقد فهم الإمام البخاري أن عدم حمل العلم إلى أبواب الأمراء سبب في عزة العالم ورفعة مكانته بين الناس وأن حمل هذا العلم إلى أبواب الولاة يعدُّ إذلالاً له، وإن من العجائب الممقوتة أن يعتقد العالم أن عزَّته تكون بالتزلف إلى كبراء الناس وتمييز أبنائهم عن أبناء عامة المسلمين ، أو الإفتاء بما يرضي أولئك الكبراء، ولقد وقع في ذلك بعض أهل العلم، وتجنبه وحذر منه العلماء الربانيون .

من مواقف أمير المؤمنين هارون الرشيد

قال الحافظ ابن كثير في بيان ما يتصف به أمير المؤمنين هارون الرشيد من التواضع : وقد استدعى إليه أبا معاوية الضرير محمد بن حازم ليسمع منه الحديث ، قال أبو معاوية : ما ذكرت عنده حديثاً إلا قال : صلى الله وسلم على سيدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبيل الثرى ، وأكلت عنده يوماً ثم قمت لأغسل يدي فصب الماء عليّ وأنا لا أراه، ثم قال : يا أبا معاوية أتدري من يصب عليك الماء؟ قلت لا: قال : يصب عليك أمير المؤمنين ، قال أبو معاوية: فدعوت له ،

فقال : إنما أردت تعظيم العلم^(١) .

فهذا موقف كبير من أمير المؤمنين هارون الرشيد في تعظيم العلم الديني واحترام أهله ، وهذا دليل على نبهه ورجاحة عقله ، كما أن بكاءه من خشية الله دليل على حضور قلبه مع الله جل وعلا .

من مواقف أمير المؤمنين المأمون رحمه الله :

من مواقف الخلفاء في تقدير العلماء واحترامهم ما روي عن المأمون أنه قد وكل الفراء يُلقن ابنه النحو ، فلما كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له ، فتنازعا أيهما يقدمه ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فرداً ، فقدماهما . وكان المأمون له على كل شيء صاحب ، فرفع ذلك إليه الخبر ، فوجه إلى الفراء فاستدعاه ، فلما دخل عليه قال له : من أعز الناس؟ قال : ما أعرف أعز من أمير المؤمنين ، قال : بلى من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، حتى رضي كل واحد أن يقدم له

(١) البداية والنهاية ١٠/٢٢٣ - ٢٢٤ .

فردا ، قال : ياأمير المؤمنين لقد أردت منعهما من ذلك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها ، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها ، وقد رُوي عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين ركابهما حين خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر: أتمسك لهذين الحديثين ركابهما وأنت أسنُّ منهما؟ قال له : اسكت يا جاهل ، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل .

قال له المأمون : لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما وعتبا وألزمتك ذنبا ، وما وضع مافعلاه من شرفهما ، بل رفع من قدرهما، وبين عن جوهرهما، وقد ثبتت لي مَحيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل - وإن كان كبيرا - عن ثلاث : عن تواضعه لسلطانة، ووالده، ومعلمه العلم، وقد عوضتهما عما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما^(١) .

فهذا مثل من أدب التلاميذ مع المعلمين يقدمه ولدا الخليفة

(١) تاريخ بغداد ١٤ / ١٥٠ - ١٥١ . والفراء هو يحيى بن زياد عالم اللغة .

المأمون، وإن هذا السلوك العالي لا يأتي عفوا وإنما هو نتاج تربية قويمة جادة تلقاها في البيت ، وهذا مثل على عقل المأمون وحزمه وأدبه حيث ربّى أولاده هذه التربية ، وهو دليل على المستوى الرفيع الذي بلغه بعض الخلفاء في تربية أبنائهم على الأخلاق العالية ، وإذا كان أبناء الكبراء يتصفون بهذا الخلق الرفيع فإن من دونهم سيتأسون بهم، وبهذا يصلح أبناء الأمة ، ويتكوّن منهم مستقبلاً المجتمع الصالح .

وجميل من أمير المؤمنين المأمون أن خاطب الفراء بذلك الخطاب الذي لفت انتباهه ، حيث أورد المسألة مورد المعاتبة وهو يريد في قرارة نفسه الإعزاز والإكبار ، فإن صياغة المسألة بقالب المعاتبة أنتجت ذلك الجواب التربوي الحكيم من الفراء ، الذي أبان به عدم ارتياحه نفسياً لما حدث من ولدي الخليفة ، ولكنه أقرهما على ذلك الاحترام مخافة أن يصدّهما عن فضيلة تنافسا عليها، وخليقة كريمة تسابقا إليها .

وبراعة علمية من الفراء أن استحضر حالاً خبر ابن عباس مع الحسن والحسين رضي الله عنهم ، فإن ذلك الخبر يدل على أن تواضع

الكبير الشهير بالعلم لمن هم دونه في السنّ والعلم لا يحيط من قدره، بل يرفع من ذكره ويدل على رجاحة عقله ، فكذلك تواضع من نشؤوا في بيوت العز والشرف وانتسبوا إلى أعلى مسؤول في الأمة لمعلميهم لا يحيط من قدرهم بل يُعلي من شأنهم ويدل على أصالة معدنهم.

وموقف تربوي رفيع للمأمون يدل على رجاحة عقله وحلمه وأدبه حيث أيدّ الفراء على سلوكه التربوي مع ولديه بأسلوب يدل على عمق تأثيره وفرط إعجابه بما حدث، ولا يقدر الفضائل إلا أهلها، ولا يعتز بالمكانم إلا من نشأ عليها .

موقفان للأميرين طاهر بن الحسين وابنه عبد الله رحمهما الله :

من مواقف الأمراء في تقدير العلماء وتكريمهم مارواه الخطيب البغدادي بإسناده عن محمد بن جعفر بن هارون التميمي النحوي قال: كان طاهر بن الحسين - حين مضى إلى خراسان - نزل بمرور فطلب رجلا يحدثه ليلة ، فقيل : ماهنا إلا رجل مؤدب فأدخل عليه أبو عبيد القاسم بن سلام فوجده أعلم الناس بأيام الناس والنحو واللغة والفقهاء ، فقال له : من المظالم تركك أنت بهذا البلد، فدفعت إليه

ألف دينار ، وقال له : أنا متوجه إلى خراسان إلى حرب، وليس أحب
استصحابك شفقاً عليك ، فأنفق هذا إلى أن أعود إليك، فألف
أبو عبيد « غريب المصنف » إلى أن عاد طاهر بن الحسين من خراسان،
فحمّله معه إلى « سرّ من رأى » وكان أبو عبيد دينا ورعا جواداً^(١) .

وكذلك قام بإكرامه وتقديره الأمير عبد الله بن طاهر، كما أخرج
البغدادي من خبر حارث بن محمد بن أبي أسامة قال: مُجّل غريب
حديث أبي عبيد إلى عبد الله بن طاهر فلما نظر فيه قال: هذا رجل
عاقِل دقيق النظر ، فكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يجري عليه في
كل شهر خمسمائة درهم^(٢) .

ففي هذين الخبرين مثل من اهتمام الولاة بإكرام العلماء وتقديرهم،
وإن ما يُحظَى به العلماء من تقدير الأمراء وإكرامهم يُعدُّ أبلغ مشجع لهم
على الإنتاج العلمي ونفع المسلمين، فهذا العالم الجليل أبو عبيد القاسم

(١) تاريخ بغداد ١٢/٤٠٥ - ٤٠٦ ، سير أعلام النبلاء ١٠/٤٩٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٢/٤٠٦ ، سير أعلام النبلاء ١٠/٤٩٥ .

ابن سلام لما يسر الله له من يفرغه من طلب الرزق تفرغ لتأليف الكتب
النافعة التي استفاد منها طلاب العلم قرونا عديدة .

وهذا التقدير من الأميرين طاهر بن الحسين وابنه عبد الله يدل
على ارتفاع مستواهما في العلم والعقل والأدب .

من مواقف الوزير يحيى بن هبيرة رحمه الله :

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن رجب عن صاحب سيرة الوزير
عون الدين يحيى بن هبيرة قال: وكنا يوماً عنده والمجلس غاصُّ بؤلاة
الدين والدنيا ، والأعيان الأماثل ، وابنُ شافع يقرأ عليه الحديث إذ
فَجَأْنَا من باب الستر وراء ظهر الوزير صراخٌ بَشَعٌ وصياح يرتفع ،
فاضطرب المجلس وارتاع الحاضرون ، والوزير ساكن ساكت ، حتى
أنهى ابن شافع قراءة الإسناد وامتته ، ثم أشار الوزير إلى الجماعة: على
رسلكم ، ثم قام ودخل إلى الستر ولم يلبث أن خرج ، فجلس وتقدم
بالقراءة ، فدعا له ابن شافع والحاضرون وقالوا : قد أزعجنا ذلك
الصياح ، فإن رأى مولانا أن يعرّفنا سببه ، فقال الوزير: حتى ينتهي
المجلس ، وعاد ابن شافع إلى القراءة حتى غابت الشمس وقلوب

الجماعة متعلقة بمعرفة الحال ، فعاودوه فقال : كان لي ابن صغير مات حين سمعتم الصياح ولولا تعيُن الأمر بالمعروف في الإنكار عليهم ذلك الصياح لما قمت عن مجلس رسول الله ﷺ ، فعجب الحاضرون من صبره ^(١) .

فهذا مثل في الصبر القوي الجميل يقدمه الوزير ابن هبيرة، فقد صبر على موت ابنه ولم يظهر منه شيء من الجزع، وهذا يدل على قوة إيمانه بقضاء الله تعالى وقدره، وصبره على بلائه.

وفي هذا الخبر موقف جليل لهذا الوزير في احترام السنة النبوية وتعظيمها، فقد أبى أن يخبر الحاضرين بما حدث من موت ولده حتى انتهى ذلك المجلس العلمي المخصص لأحاديث رسول الله ﷺ ، وفي ذلك إعزاز للعلم الشرعي واحترام كبير له .

(١) طبقات الحنابلة ٣/ ٢٦٣ .

من مواقف القاضي علي الجرجاني رحمه الله^(١) :

من المواقف الرائعة في إعزاز العلم ماسجله القاضي علي بن

عبدالعزیز الجرجاني رحمه الله في قصيدته الرائعة التي يقول فيها :

يقولون لي فيك انقباض وإنما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم
ولم أقض حق العلم إن كان كلما
وما كل برق لاح لي يستفزني
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
أُهنئها عن بعض ما لا يشينها
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهانوه فهان ودنسوا
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
ومن أكرمه عزة النفس أكرما
بـدا طمع صيرته لي سلما
ولا كل من لا قيت أرضاه مُنعمما
ولكن نفس الحر تحمل الظما
خافة أقوال العدا فيم أو لما
لأخدم من لا قيت لكن لأخدما
إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو عظموه في النفوس لعظما
مُحيّا به بالأطعام حتى تجهما^(٢)

(١) هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني ، تولى قضاء

«جرجان» ثم «الري» وقد جمع بين العلم والأدب ، توفي عام ٣٩٢هـ .

(٢) أدب الدنيا والدين للهاوردي / ٩٢ .

فهذا العالم الرباني يصور موقفه فيما يتصف به من الانقباض وعدم الانفتاح الواسع على المجتمع، ويُسوِّغ سلوكه هذا بأن الانفتاح الواسع الذي لا ينضبط بحدود معينة قد يوقع صاحبه في الذل ، وذلك فيما إذا احتاج إلى مداراة الكبراء ومجاملتهم .

ويبين أن من توسع في الاختلاط بالناس وجاراهم في مفاهيمهم الدنيوية فإنه يهون عندهم لأنه يكون مثلهم، ولكنه حينما يترفع عن هذه المفاهيم ويُعز نفسه عن حطام الدنيا الذي يسارع إليه أهلها فإنه يكون عزيزاً مكرماً عند الناس .

وإذا كان كلما لاح له مجال من المجالات الدنيوية جعل ذلك سلماً يتوصل به إلى التعرف على الأكابر وعقد الصداقة معهم فإن ذلك يتنافى مع مقاصد العلم والهدف السامي الذي من أجله عكف على تعلمه . فهو ثقيل الحُطى في التعامل مع الدنيا وأهلها، لا يستخفه بريقها ولا رغبة بعض أبنائها في احتواء أهل العلم بالإنعام عليهم ثم الاستفادة منهم بعد ذلك في أمورهم الدنيوية .

فهو يعفُّ عن مناهل الدنيا المشبوهة ، وتسمو نفسه عن ورود

حياضها وإن كان محتاجا إلى تلك المناهل لقلة ذات اليد .
حتى إنه ليمنع نفسه عن بعض الأمور الدنيوية التي لاتدنس
شرفه العلمي من أجل أن لا يكون إقدامه عليه مطمعا للحاقدين في
الولوغ في عرضه وتشويه سمعته .

ويسمو بنفسه في إعزاز العلم عن أن يخدم أهل الدنيا ، فهو لم
يكدّ في طلب العلم ويجتهد ليخدم هؤلاء ، بل ليخدموه ، فهل يشقى
في طلب العلم ردحا من الزمن ليخدم به أهل الدنيا فيجني ثمار غرسه
ذلة ومهانته؟! فقد كان - والحالة هذه - سلوك طريق الجهل أكثر
حزما وأسلم عاقبة ، فإن الجاهل لايقصد من الكبراء لمحاولة إذلاله
أو استغلاله لدنياهم .

ويبين أن العلم الديني حصانة لأهله وصيانة لهم من المثالب
والنقائص إذا صانوا علمهم وأعزوه ولم يذلوه لأهل الدنيا ، وأن
تعظيم العلم واحترامه مترتب على تعظيم أهله له ، فأما إذا أهانوه أمام
الناس بتعريض أنفسهم للإهانة وتدنيس وجهه المشرق بالأطماع
الدنيوية فإنه يهون عند الناس ويقل أثره في التربية والإصلاح .

فهرس المصادر والمراجع

- الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي / الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة / لعز الدين علي بن محمد الشيباني «ابن الأثير» / الناشر: انتشارات إسماعليات في طهران.
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب / لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري / الناشر: مصطفى محمد بمصر .
- الإصابة في تمييز الصحابة/ للحافظ أحمد بن علي الكفاني «ابن حجر» / الناشر: مطبعة مصطفى محمد في مصر .
- البداية والنهاية/ للحافظ أبي الفداء ابن كثير/ الناشر: دار الكتب العلمية في بيروت .
- تاريخ بغداد/ للحافظ أحمد الخطيب البغدادي / الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت .
- تاريخ دمشق/ للحافظ علي بن الحسن «ابن عساكر»/ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر .

- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) للمؤرخ محمد بن جرير الطبري / الناشر: دار المعارف بالقاهرة.
- تاريخ المدينة المنورة / لأبي زيد عمر بن شبة النميري / تحقيق : فهيم محمد شلتوت .
- تذكرة الحفاظ / للحافظ محمد بن أحمد الذهبي / الناشر: دار إحياء التراث العربي .
- ترتيب المدارك / للقاضي عياض بن موسى اليحصبي / الناشر / دار مكتبة الحياة - بيروت .
- جامع العلوم والحكم / للحافظ عبد الرحمن «ابن رجب» الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت .
- الجرح والتعديل / للحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم / الناشر: دار الأمم للطباعة والنشر - بيروت .
- جمع الفوائد / لمحمد بن محمد بن سليمان / الناشر : عبد الله بن هاشم اليماني - المدينة المنورة .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / للحافظ أبي نُعيم أحمد بن

عبدالله الأصبهاني/ الناشر: مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة في مصر.

- الدرر الكامنة / للحافظ أحمد بن علي الكفاني «ابن حجر» / الناشر: دار الجيل في بيروت .
- الذيل على طبقات الحنابلة / للحافظ عبد الرحمن بن أحمد «ابن رجب» / الناشر: دار المعرفة - بيروت .
- الزهد / للإمام أحمد بن حنبل الشيباني / الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت .
- سنن الترمذي / للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي / الناشر: المكتبة الإسلامية .
- سنن أبي داود / للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي / الناشر: محمد علي السيد - حمص .
- سنن الدارمي / للحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي / الناشر: دار الريان في القاهرة، ودار الكتاب العربي في بيروت .
- سنن ابن ماجه / للحافظ محمد بن يزيد القزويني «ابن ماجه» /

- الناشر: دار إحياء الكتب العربية .
- سنن النسائي / للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي / الناشر: المكتبة التجارية الكبرى في مصر .
 - سير أعلام النبلاء / للحافظ محمد بن أحمد الذهبي / الناشر: مؤسسة الرسالة في بيروت .
 - صحيح البخاري / للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري / الناشر: المطبعة السلفية ومكنتها في القاهرة .
 - صحيح الجامع الصغير / للشيخ محمد ناصر الدين الألباني / الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت .
 - صحيح مسلم / للإمام مسلم بن الحجاج القشيري / الناشر: دار إحياء التراث العربي .
 - صفة الصفوة / للحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي / الناشر: دار المعرفة في بيروت .
 - طبقات الحنابلة / للقاضي محمد بن أبي يعلى / الناشر: دار المعرفة في بيروت .

- طبقات الشافعية الكبرى / للحافظ عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي / الناشر: دار المعرفة في بيروت .
- عمدة القاري / للحافظ بدر الدين محمود بن أحمد العيني / الناشر: دار الفكر .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري / للحافظ أحمد بن علي الكناني «ابن حجر العسقلاني» الناشر: المطبعة السلفية ومكاتبها في مصر .
- الفتح الرباني / لأحمد بن عبد الرحمن البنا / الناشر: دار الحديث في القاهرة .
- فتح المجيد / للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ / الناشر: مطبعة الحكومة - مكة المكرمة .
- القاموس المحيط / لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي / الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / لعلاء الدين علي المتقى البرهان فوري / الناشر: دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد.

- لسان العرب / لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور / الناشر:
دار صادر - بيروت .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي /
الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت .
- مجموع فتاوى ابن تيمية / جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن
قاسم / مطابع الرياض .
- المختار المصون من أعلام القرون / للدكتور محمد بن حسن بن
عقيل موسى / الناشر : دار الأندلس الخضراء - جدة .
- مدارج السالكين / للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية /
الناشر : مطبعة السنة المحمدية - القاهرة .
- المستدرک علی الصحیحین / للحافظ أبي عبد الله الحاكم
النيسابوري / الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب .
- مسند أحمد / للإمام أحمد بن حنبل الشيباني / الناشر: المكتب
الإسلامي ودار صادر - بيروت .
- مسند الطيالسي / للحافظ سليمان بن داود الجارود / الناشر:

- الطبعة المنيرية بالأزهر .
- المسند / للحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي / الناشر:
عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المثنى - القاهرة .
 - المصنف / للحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني / الناشر:
المجلس العلمي في الهند .
 - المعجم الأوسط / للحافظ سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني /
الناشر : مكتبة المعارف - الرياض .
 - معجم البلدان / لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي /
الناشر : دار صادر ودار بيروت - بيروت .
 - المعجم الكبير / للحافظ سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني /
الناشر : وزارة الأوقاف - العراق .
 - منتخب كنز العمال / للعلامة علي المتقي الهندي / الناشر : المكتب
الإسلامي ، دار صادر - بيروت .
 - موارد الظمان / للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي /
الناشر : المطبعة السلفية ومكبتها - القاهرة .

- الموطأ / للإمام مالك بن أنس / الناشر: دار إحياء التراث العربي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر / للحافظ أبي السعادات «ابن الأثير» / الناشر: دار إحياء الكتب العربية .
- الوافي بالوفيات / لصلاح الدين خليل الصفدي / الناشر: فرانز شتايز بفيسادن .
- وفيات الأعيان / لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان / الناشر: دار صادر - بيروت .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	فضل العلم والعلماء
١٩	توجيهات ومواقف في إخالص النية
٣٠	من مواقف أبي الدرداء رضي الله عنه
٣١	من مواقف أبي جعفر القارئ
٣١	من مواقف سفيان الثوري والفضيل بن عياض
٣٧	من مواقف سفيان بن عيينة
٣٨	من مواقف هشام الدستوائي
٤٠	من مواقف الإمام الشافعي
٤٣	مواقف في الاهتمام بالعلم
٤٥	من مواقف أبي هريرة رضي الله عنه
٤٦	من مواقف تميم الداري رضي الله عنه
٤٦	من مواقف أبي الدرداء رضي الله عنه

الصفحة	الموضوع
٤٧	من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
٥٠	من مواقف مكحول الدمشقي
٥١	من مواقف عكرمة مولى ابن عباس
٥٢	من مواقف أبي الزناد
٥٣	من مواقف أبي بكر الباغندي
٥٤	من مواقف سعيد بن المسيب وقتادة
٥٥	من مواقف الإمام أبي حنيفة
٥٧	من مواقف هاشم السلمي وأبي شيبة
٥٨	من مواقف عبد الملك بن جريج
٥٩	من مواقف الإمام مالك بن أنس
٦٤	موقف لعبد الله القعني
٦٨	من مواقف أبي يوسف الفسوي
٧٠	من مواقف ابن المبارك وعلي بن الحسن بن شقيق
٧٠	من مواقف إسماعيل بن عياش

الصفحة	الموضوع
٧٢	من مواقف أبي جعفر المنصور مع أحد العلماء
٧٣	من مواقف عاصم بن علي
٧٤	من مواقف علي بن عاصم
٧٨	موقف لعبد الله الخريبي
٧٨	موقف لابن المديني
٧٩	من مواقف أبي حاتم التميمي وزملائه
٨١	من مواقف سليمان بن حرب
٨٤	من مواقف يحيى بن معين
٨٩	من مواقف علي الشقيقي
٨٩	من مواقف أبي رجاء قتيبة
٩٠	من مواقف ابن حنبل وأبي زرعة وابن راهويه
٩٩	موقف لعبد الملك الأصبغي
١٠٠	موقف لأحمد الرمادي
١٠١	من مواقف أبي عبد الله البخاري

الصفحة	الموضوع
١٠٥	من مواقف ابن أبي حاتم وزملائه
١٠٦	من مواقف مسلم بن الحجاج
١٠٧	من مواقف أبي مسلم الكجي
١٠٨	موقف لأبي حاتم الرازي
١١٠	من مواقف علي بن أبي طاهر
١١٢	من مواقف أبي بكر الإسماعيلي
١١٣	من مواقف محمد السناني
١١٦	من مواقف أبي علي النيسابوري
١١٧	من مواقف أبي نعيم الأصبهاني
١١٨	من مواقف محمد بن طاهر
١٢١	من مواقف محمد الحميدي
١٢٢	موقف لمحمد المازري
١٢٤	من مواقف محمد الحازمي
١٢٥	من مواقف أبي الوفاء ابن عقيل

الموضوع	الصفحة
من مواقف ابن تيمية	١٢٦
مواقف وعبر في بذل الجهد في حفظ السنة	١٢٩
المقصود من عرض أخبار الحفاظ	١٣١
من أخبار عائشة رضي الله عنها	١٣٢
من أخبار زيد بن ثابت رضي الله عنه	١٣٣
من أخبار أبي هريرة رضي الله عنه	١٣٧
من أخبار عبد الله بن عباس رضي الله عنهما	١٤٢
من أخبار ابن شهاب الزهري	١٤٧
من أخبار قتادة السدوسي	١٥٢
من أخبار وكيع بن الجراح	١٥٣
من أخبار الإمام أحمد بن حنبل	١٥٥
من أخبار شعبة بن الحجاج	١٥٦
من أخبار علي بن المديني	١٥٧
من أخبار إسحاق بن راهويه	١٦١

الصفحة	الموضوع
١٦٢ من أخبار أبي عبد الله البخاري
١٧٠ من أخبار أبي بكر الأثرم
١٧١ من أخبار إسحاق بن بهلول
١٧٢ من أخبار أبي عيسى الترمذي
١٧٥ من أخبار الحسن بن سفيان
١٧٦ من أخبار النيسابوري وأحمد بن جوصا
١٧٨ من أخبار عبد الرحمن بن الحُتَيْبِ
١٧٨ من أخبار محمد العقيلي
١٧٩ من أخبار محمد بن المظفر
١٨٠ من أخبار ابن جوصا
١٨٢ من أخبار أبي الحسن الدارقطني
١٨٣ خبر الحاكم مع بديع الزمان الهمداني
١٨٥ من أخبار أبي نصر ابن ماكولا
١٨٦ من أخبار القاسم الشاطبي

الصفحة	الموضوع
١٨٦	من أخبار أبي زرعة والشاذكوني
١٨٩	من أخبار محمد بن يحيى الذهلي
١٩٢	من أخبار عبد الله بن بكير
١٩٣	خبر في بيان أهمية الذاكرة
١٩٤	من أخبار أبي بكر الأنباري
١٩٦	من أخبار أبي بكر بن أبي داود
١٩٨	من أخبار أحمد بن عقدة
٢٠٢	من أخبار محمد بن عبد الواحد
٢٠٣	من أخبار أبي عبد الله الحاكم والخليل بن عبد الله
٢٠٥	من أخبار عبد الغني المقدسي
٢٠٩	من أخبار محمد اليونيني
٢١١	معاناة العلماء وتعرضهم للمشقة
٢١٣	موقف لأبي حاتم الرازي
٢١٤	موقف آخر لأبي حاتم وصاحبيه

الصفحة	الموضوع
٢١٧	موقف لمحمد بن طاهر
٢١٩	موقف لأبي القاسم الطبراني
٢٢٠	موقف لمحمد بن إسحاق ابن منده
٢٢١	موقف لأبي المظفر السمعياني
٢٢٢	موقف لأبي عبد الله البخاري
٢٢٣	موقف لمحمد بن يحيى الذهلي
٢٢٤	من مواقف حجاج بن يوسف
٢٢٥	خبر المحمدين الأربعة في مصر
٢٢٧	موقف لأبي الفضل العجلي
٢٢٩	من مواقف أبي القاسم ابن عساكر
٢٣١	موقف لحنبل بن عبد الله
٢٣٣	من مواقف أبي الوقت السجزي
٢٣٨	من مواقف ابن طاهر القيسراني
٢٣٩	من مواقف عبد القادر الجيلاني

الموضوع	الصفحة
مواقف وعبر في الأدب العلمي	٢٤٣
من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما	٢٤٥
من أخبار طلاب العلم من التابعين	٢٤٦
من مواقف القاسم بن محمد	٢٤٧
من مواقف الإمام مالك بن أنس	٢٤٨
موقف لسفيان بن عيينة	٢٥٢
موقف ليحيى بن معين	٢٥٢
موقف للقاسم بن سلام	٢٥٣
من مواقف عبد الله الأنصاري وناصر المروزي	٢٥٥
من مواقف ابن المبارك وحماد بن زيد	٢٥٦
موقف لعطاء بن رباح	٢٥٨
توجيهات ومواقف في النقد العلمي	٢٥٩
من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما	٢٦١
موقف للإمام مالك بن أنس	٢٧٢

الصفحة	الموضوع
٢٧٣	موقف للإمام الشافعي
٢٧٦	موقف ليحيى القطان
٢٧٧	من مواقف يحيى بن معين ونعيم بن حماد
٢٨٠	من مواقف أبي حاتم وأبي زرعة
٢٨٦	من مواقف الإمام ابن حنبل وأحمد بن صالح
٢٩٠	من مواقف ابن المنادي
٢٩١	موقف للخطيب البغدادي
٢٩٢	موقف لموفق الدين ابن قدامة
٢٩٤	من مواقف محمد بن الطيب المالكي
٣٠١	توجيهات ومواقف في إعزاز العلم وتكريم أهله
٣٠٣	من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
٣٠٤	من مواقف الإمام مكحول
٣٠٥	من مواقف الإمام مالك بن أنس
٣١٠	من مواقف أبي جعفر المنصور

الصفحة	الموضوع
٣١٣	من مواقف هاشم السلمي وأبي شيبة
٣١٣	من مواقف هاشم السلمي وأبي شيبة
٣١٤	موقف للقاضي شريك النخعي
٣١٥	من مواقف الإمام ابن المبارك
٣١٦	من مواقف الإمام البخاري
٣١٧	من مواقف أمير المؤمنين هارون الرشيد
٣١٨	من مواقف أمير المؤمنين المأمون
٣٢١	موقفان لطاهر بن الحسين وابنه عبد الله
٣٢٣	من مواقف الوزير ابن هبيرة
٣٢٥	من مواقف القاضي علي الجرجاني
٣٣٩	فهرس المصادر والمراجع
٣٣٧	فهرس الموضوعات